الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص : في الفلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص الفلسفة الموسومة بـ:

إشكالية تطور نظرية المعرفة العلمية بين القطيعة والاستمرار

غاستون اشلار أنموذجا

إعداد الطالبة:

– قطاف صافية

إشراف الأستاذ:

– حجاج خليل

أعضاء اللجنة المناقشة:

الأستاذ: بوروينة محمد	رئيسا
الأستاذ: حجاج خليل	مشرفا
الأستاذ: حفصة الطاهر	مناقشا

السنة الجامعية: 1435هـ–1436هـ/2014–2015م

كلمة شكر

لحمد لله القائم بنفسه الواحد العظيم في جلاله وقدسه، القادر العليم بأحوال جنه وانسه، والصلاة والسلام على نبيه الكريم خير المبشرين وآخر المنذرين قال عليه الصلاة وأزكى السلام:" من لا يشكر الناس لا يشكر الله" .

إلى من شيم الكرام والإقرار بالجميل والعرفان نشكر الله عز وجل ونحمده حمد الشاكرين على توفيقه لإتمام هذه المذكرة.

فالشكر كل الشكر إلى الأساتذة المشرف حجاج خليل الذي تفضل علي بجهده ووقته، وأمدني بغزير عمله وصادق توجيهه ونصحه، فلا نستطيع أن نتقدم أروع ولا أجمل من كلمة شكر وعرفان والدعاء يخرج من صميم قلوبنا بكل صدق وإخلاص.

كما لا يسعني أن أتقدم بشكر الجزيل والامتنان إلى الأستاذ بن ناحي.

ومن منطلق الوفاء بالعهد والتقدير بالعرفان مقدمة جزيل الشكر ألذ من الوصال في طيف الخيال إلى

Taxi-phone خالد

وسفيان" الذي فتح لنا أبوابه

لقاء الناس لا يفيد في شيئا سوى الإكثار من قيل وقال

فقلل من لقاء الناس لا لكسب العلم أو الإصلاح حال

إذا جار الوزير وكاتباه وقاضي الأرض أجحف القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء.

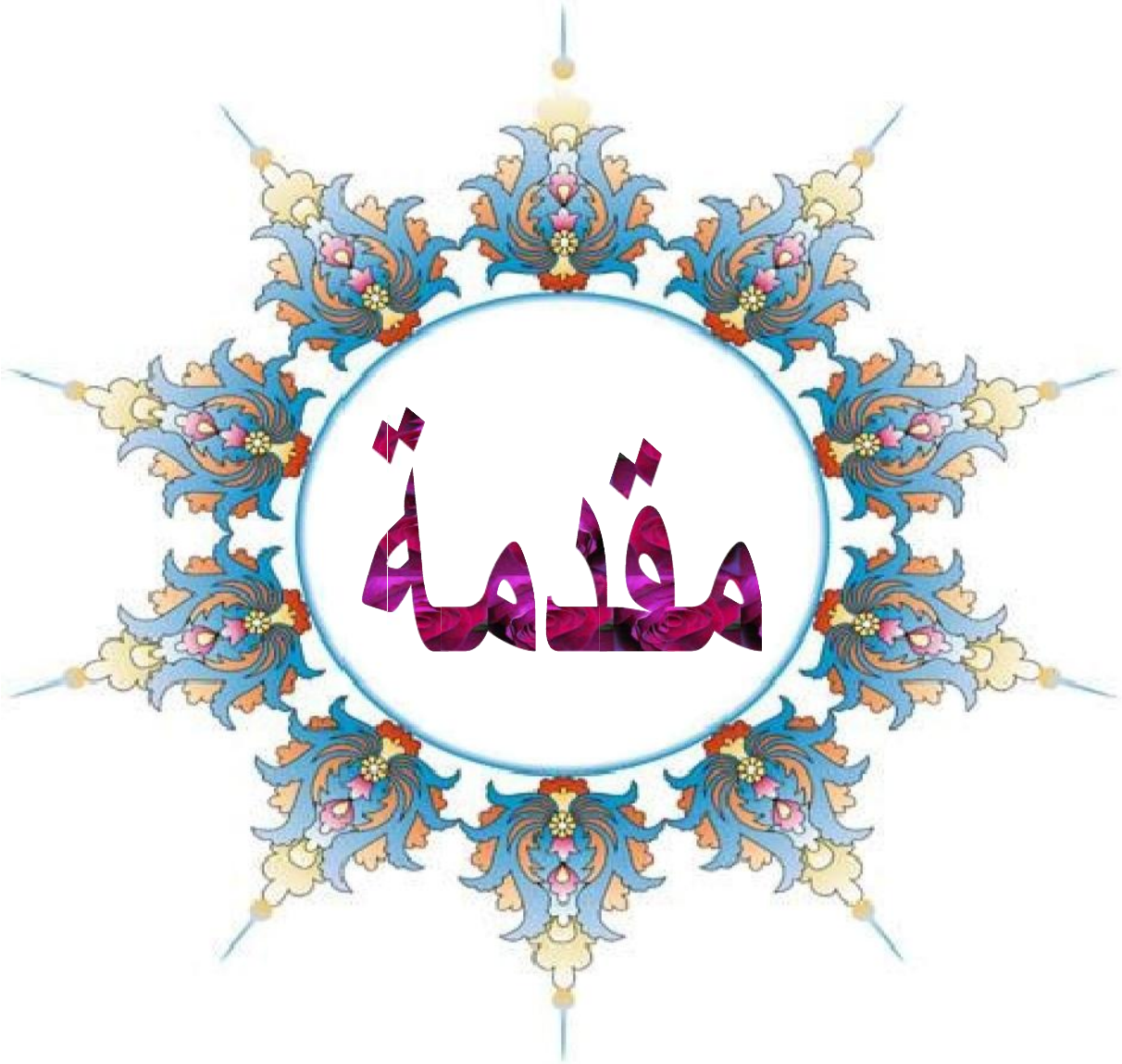
مقدمة

إن التطورات العلمية في العصر المعاصر،أحدثت تغيرا كبيرا في مفهوم الإبستومولوجيا، بعدما كانت الإبستومولوجيا التقليدية تبحث في إمكانية قيام المعرفة وإذا كانت ممكنة أو غير ممكنة، حيث تولد على ذلك إشكالية أخرى هي إشكالية الاتصال والانفصال في المعرفة العلمية، من خلال طرح العلاقة التي تربط بين المعرفة العامية، والمعرفة العلمية، فحول هذه القضية ظهر اتجاهين متعارضين، فالأول يمثله الاتصاليون الذين يرون أن تاريخ المعرفة العلمية هو اتصالي، ولا الانقطاع، لأن العلم في نظرهم يتطور عن طريق التراكم، معناه ما وصل إليه العلم المعاصر ما هو إلا امتداد للعلم الكلاسيكي، أما الانفصاليون وعلى رأسهم "غاستون باشلار"الذي ينتمي إلى الإبستومولوجيا المعاصرة،فإنه يعارض الاتصاليون فيما ذهبوا إليه،ويرى أن المعرفة العلمية تتطور عن طريق الانقطاع، أي فصل بين المعرفة العامية ،والمعرفة العلمية،والدعوة إلى إحداث قطيعة الإبستيمولوجية بينهما،لقد كانت الركيزة الأساسية التي كان ينطلق منها هي الثورة العلمية المعاصرة،التي بدأت منذ منتصف القرن الثاني من القرن التاسع عشر، واستمرت خلال القرن العشرين.

لقد عاصر باشلار هذه التطورات العلمية،من خلال ما أحدثته من تغيير في بنية العلم، ويتجلى هذا في التغير الذي طرأ على المفاهيم العلمية،والفلسفية على حد السواء، إن هذه الأخيرة كانت تتمثل في قيام المندسات اللاإقليدية،أما بالنسبة إلى العلوم الفيزيائية، فهي تتجلى في قيام الميكانيكا النسبية من جهة، وقيام الميكانيكا الكوانتية من جهة أخرى.

إن هذه الثورة العلمية التي غيرت مجرى العلم مست أولا ميدان الهندسة، بعدما كان النسق الإقليدي يسيطر فترة زمنية على الفكر البشري، الذي مصادرته من نقطة خارج مستقيم لا يمكن سوى رسم خط واحد موازي له، إن هذه المصادرة عمل بها العلماء لفترة زمنية طويلة، وكانت تعتبر صادقة ويقينية، ولا شك فيها، ولكن مع ظهور الرضيات المعاصرة، حطمت فكرة البداهة،وأصبح من نقطة خارج مستقيم يمكن رسم مالا نهاية من

المتوازيات، وتغير المكان بعدما كان مستوي إلى مكان مقعر، ومحدب، ولكن الثورة العلمية في العلوم الفيزيائية زعزعت الفكر العلمي القديم، وقضت على كل ما بناه. إن هذه الأخيرة تمثلت في النظرية النسبية لدى انشتاين، وميكانيكا الكونتا التي أطلقت مع "ماكس بلانك" إن هذين النظريتين كانتا بمثابة ثورة على نسق نيوتن، من خلال الإعلان على قيام فكر علمي جديد قائم على مراجعة المفاهيم والتصورات التي كان يرتكز عليها العلم الكلاسيكي، بالإضافة إلى الثورات أخرى مست العلم منها ظهور لاحتمية في العلم. من خلال هذا كله نصل إلى طرح الإشكالية التالي: لقد اختلف الفلاسفة حول المسار الذي يتخذه العلم في تطوره، هل يمكن إعتبار المسار التاريخي للعلم هو مسار مستقيم أم إنه إظطرابي إنكساري؟ والإجابة على هذه الإشكالية اقترحنا مجموعة من الفرضيات وهي كالأتي:

1. يكمن اعتبار القطيعة الإبستيمولوجية شرط كافي في بناء المعرفة العلمية.
2. نفترض أن العلم يتطور عن طريق التواصل مع المعارف الأخرى.
3. يمكن اعتبار أن المسار الذي يسلكه العلم وهو مسار تراجعي انقطاعي.
4. يمكن اعتبار أن الطبيعة الأساسية للمعرفة العلمية هي التراكم والتواصل مع المعرفة العامية،بالنسبة للدوافع التي دفعتها إلى اختيار هذا الموضوع كانت تتراوح بين ذاتية، وموضوعية.

ومن بين الدوافع الذاتية هي:

1- أنني رأيت الأهمية الكبرى التي تحتلها الدراسات الإبستيمولوجية في ميدان التجريدية من صياغة نظرة علمية تتوافق مع متطلبات العصر الراهن، ومحاولة تجسيدها على أرضية الواقع.

2- الميل الشخصي الدراسات الإبستيمولوجية التي أجدها تقوم بدراسة مواضيع تتعلق بالواقع المحسوس المعاش.

3- المكانة التي تحلها الإبستيمولوجيا الباشلارية داخل الفلسفة الفرنسية.

أما الدوافع الموضوعية هي تتراوح بين:

1- وفرة المصادر والمراجع التي تختص بالدراسات الإبستيمولوجية حول باشلار لأن الباحث العلمي لا يجد أي عناء في ذلك.

2- الإطلاع على بعض المراجع التي كانت تخص باشلار في السنوات التي مضت، فوجدت أن هنالك أهمية كبرى تحتلها الإبستيمولوجية الباشلارية بين باقي العلوم الأخرى، إن هذه الدراسة تتعلق بما حققه العلم من نتائج في العصر الراهن، فرأيت أنه يجب الابتعاد عن المواضيع التي لا تتعلق بالحياة اليومية للمجتمع، وحاولت القيام بإبراز الأهمية العظمى للدراسات العلمية وما مدى علاقتها بالإنسان.

أما بالنسبة إلى الهدف من هذه الدراسة كان يتمثل فيما يلي:

هو تسليط الضوء على الدراسات الإبستيمولوجية خلال القرن العشرين، وما وصلت إليه من تطورات جعلتها تحتل الصدارة عند العلماء الإبستمولوجين، لأنها تركز على مواضيع لها أهمية كبرى داخل العلم، ومن بينها نظرية المعرفة العلمية الفلاسفة منذ العصر القديم،إلى عصرنا هذا لأن العلم هو بمثابة جوهرة الفكر البشري الذي يسعى دائما إلى تقديم الجديد،من أجل تجاوز القديم،من خلاله رأينا أن له أهمية كبيرة داخل الدراسات العلمية.

أما أهمية هذا الموضوع: تظهر من خلال ما يلي:

أن الدراسات الإبستيمولوجية تحتل أهمية كبرى بين باقي الدراسات الأخرى لما تحتويه من جدة كبيرة التي تعطيها للعلم والعلوم الأخرى، من أجل إبراز الطابع الثوري للعلم المعاصر، على الفكر القديم وصياغة نظريات علمية تتلاءم مع متطلبات العلم المعاصر.

وبناء على ما سبق ارتأينا أن نقسم دراستنا هذه إلى ثلاث فصول مسبوقة بمدخل نظري ومفاهيمي، حيث يعالج الفصل الأول الإبستيمولوجيا وإشكالية تطور المعرفة العلمية وينقسم هذا الفصل بدور إلى مبحثين، أدرجنا في المبحث الأول كرونولوجيا الإبستيمولوجيا والعلم، أما المبحث الثاني وضعية أوغست كونت والمبحث الثالث كان يحمل عنوان تواصلية العلمية عند مايرسون، برغسون برونشفيك. أما الفصل الثاني كان يندرج تحت المشروع الفكري لدى باشلار وينقسم بدوره إلى ثلاث مباحث المبحث الأول مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية والمبحث الثاني كان نظرية المعرفة العلمية، أمل الثالث فكان يحمل عنوان التحليل النفسي ودوره في المعرفة العلمية والعوائق الإبيستيمولوجية.

وفي الفصل الأخير يحمل عنوان المؤيدين والعارضون للمشروع الباشلاري ينقسم ثلاث مباحث، المبحث الأول معنون بالثورة والتعدد الرديغمات عند توماس كون، أما المبحث الثاني فكان يحمل القطيعة واللاتواصل عند التيسير وميشال فوكو، كانغيلام، أما المبحث الثالث كان يندرج تحت عنوان أهم الإنتقادات والاعتراضات العلمية التي انتقد عليها باشلار.

وختمنا بحثنا هذا بخاتمة كانت خلاصة المسارات نظرية العلمية المعاصرة بين القطيعة والاستمرار.

المدخل المفاهيمي

المدخل المفاهيمي:

إن من بين أهم المفاهيم الأساسية والجوهرية التي ارتكزنا عليها في بحثنا هذا وهي كالآتي:

الابستيمولوجيا، علم المعرفة، العائق، العقل، الانفصال والاتصال والتحليل النفسي، حيث رأينا انه يجب أن نضع مدخل مفاهيمي نحدد من خلاله كل مفهوم ودوره في المعرفة العلمية.

الإبستيمولوجيا: هي مصطلح جديد استخدمه للمرة الأولى الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فريديريك 1806– 1864 في كتابه مبادئ الميتافيزيقا عام 1854، حيث قسم الفلسفة إلى قسمين: انطولوجيا وابستيمولوجيا، أما بالنسبة إلى هذا المصطلح فهو مركب من كلمتين يونانيتين هما :ابستيمي ومعناها العلم، و لوقوس معناها النظرية أي دراسة علم[1].

من خلال هذا التعريف نستنتج ان الابستيمولوجيا هي عبارة عن مصطلح جديد، حيث كان يعني هذا الأخير نظرية العلم وهو في الأصل يتكون من كلمتين يونانيتين التي كانت تدور حول العلم بأكمله، إن هذه النظرية تحاول أن تفهم العلم أثناء مساره التاريخي، بالإضافة على ذلك نجد أن هنالك تعدد كثير في تعريف هذه الأخيرة إلا أن المعنى واحد، ومن بين هذه التعاريف المختلفة لها ما يلي:

إن كلمة épistémologie التي تعني حرفيا théorie de la science نظرية المعرفة، كلمة قريبة العهد فهي لا توجد في معجم liter ولا في Nouveaux la وأما Le dictionnaire deropert فإنه يرجع ظهورها في المعاجم الفرنسية إلى كامل المعاجم la rousse Illustre (1906) وحوالي هذا التاريخ نفسه أيضا عند تأليف معجم

[1]– زينب إبراهيم شوريا: الاسبتيمولوجيا دراسة تحليلية لنظرية العلم في التراث، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 05.

philosophie de lalande فإنه جوال لا شولي كان مايزال يعتبرها كلمة مستحدثة يؤسف لها[1].

من خلال هدا التعريف نرى أن مفهوم الابستومولوجيا كان يعني نظرية العلم ،أما محمود يعقوبي يعرفها كالآتي :**(هي النظر النقدي في مبادئ العلوم و فروعها و نتائجها للوقوف على أحوالها المنطقية وعلى قيمتها المعرفية)** [2].

أما بالنسبة للمعجم الفلسفي للدكتور إبراهيم مذكور نجد لها تعريف كالآتي: **(ابستومولوجيا هي دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها تهدف إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية)**، أما في اللغة الإنجليزية نطلق على نظرية المعرفة بوجه عام يقول "رونز" **(الابستومولوجيا احد فروع الفلسفة الذي يبحث في اصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها)** [3].

ومن هدا كله نستنتج أن التعريفين يتفقان على معنى العام للابستومولوجيا أنها تبحث في مجال المعرفة والطرق المؤدية إليها ومناهجها بالإضافة إلى ذلك أن هده الأخيرة هي عبارة عن فرع من فروع الفلسفة التي تبحث في أصل نشأة المعرفة .

أما معنى الإبستومولوجيا في المعجم الفلسفي لجميل صليبا(هي لفظ مركب من لفظين إحدهما :إبستيما وهو العلم ،والأخر لوغوس :وهو نظرية أو دراسة ،فمعنى الإبستومولوجيا ادن نظرية العلوم أو فلسفة العلوم تعني دراسة مبادئ العلوم وفرضيتها ونتائجها دراسة إنتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية .أما في الانجليزية مرادف لنظرية المعرفة أما في اللغة الفرنسية فهو مختلف عنه لان معظم الفلاسفة الفرنسية لا

[1]– روبير بلانشي: نظرية العلم الابستيمولوجي، تر: د. محمد يعقوب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د،ط)، 2004، ص 09.

[2]– محمود يعقوبي: معجم الفلسفة، الميزان، الجزائر، ط2، 1998، ص 8.

[3]– إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع، الأميرية، مصر، القاهرة، (د، ط)، 1982، ص2.

يطلقونه إلا على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي[1]. من خلال هذا التعريف نستنتج أن الابستومولوجيا هي عبارة عن نظرية تبحث في المعرفة ومسارها التاريخي من خلال نقد الفروض والنتائج والمبادئ إن هذا يبرز القيمة التي تحتلها هذه الأخيرة داخل كل علم إنها تحاول الوقوف على مساره التاريخي من خلال النقد والتمحيص له .

تعريف الجدل: لغة الجدل والجدل ذكر الرجل، وقد جدل جدولا، فهو جدل وجدول قال ابن سيده (ورأى جدلا على النسب ورأيت جديلة رأيه أي عزيمة) والجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها. وقد جادله وجدالا، ورجل جدل ومجدل ومجدال، شديد الجدل، ويقال جادلت الرجل وجادلته جدلا، أي غلبته ورجل جدل إذا كان اقوي في الخصام وجادله أي خاصمه[2].

مجادلة وجدالا والاسم الجدل، وهو الشدة الخصومة وفي الحديث ماؤتي، الجدل قوم إلا ضلوا الجدل مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة .

والمراد به الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة لإظهار الحق لقوله تعالى ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[3].

الجدل اصطلاحا: هو تحويل الخصم عن رأيه بحجة أو شبهة، أو هو الحرص على إظهار المذاهب وتقريرها عندئذ يسمى جدالا، أو هو قياس مؤلف نمن قضايا مشهورة ومسلمة لا تبلغ درجة اليقين، في مقابل القياس البرهاني من قضايا يقينية والذي يسمى البرهان (عند أفلاطون 429-347ق م) هو صعود الفكر من مظاهر العالم المحسوس إلى حقائق العالم المعقول التي هي المثل[4].

---

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الجزء الأول، 1982، ص 33.

[2]- ابن منظور : لسان العرب، دراسات العرب، بيروت، الجزء الأول، (د،ط)، 1982، ص 420.

[3]- سورة النحل، الآية 125.

[4]- محمود يعقوبي: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 25.

من خلال هذا نستنتج أن الجدل هو بمثابة الحجة التي نبرهن بها على ى ما نريد من اجل إقناع الآخر بأن ما نقوله هو صحيح لا شك فيه، إن هذا الأخير كان له جذور تاريخية داخل الحضارات الشرقية من خلال ممارسة الجدل عن طريق الكلام، من أجل البرهنة على ما كانوا يقولونه من كلام "إن الجدل هو منهج أو طريقة و في الحوار والاستدلال والمناقشة، وهو يعد قياسا مؤلفا من المنشورات والمسلمات وكثيرا من مناطق المسلمين يعتبرونه داخل في مصادر المعرفة غير اليقينية"[1].

من خلال هذا نرى أن الجدل كان مرادفا للمعرفة، وكان بمثابة مصادرات ومسلمات، أي هو نوع من القياس كان يستعمل هذا الأخير من أجل البرهنة غير اليقينية، أي هنالك معارف يقينية وأخرى غير ذلك، هذا ما يدفع إلى اللجوء إلى هذا النوع من البرهان.

ويلخص ابن رشد: الجدل بأنه هو القياس يؤلف من مقدمات مشهورة ذائعة والمقدمات المشهورة الذائعة إنما يحصل التصديق لها من جهة شهادة الجمع أو الأكثر لا من جهة أن الأمر كذلك في نفسه بخلاف ما عليه يبين قول ابن رشد: أن الجدل هو بمثابة القياس يستخدمه الإنسان من اجل البرهنة على مايريد من القضايا الاستدلالية من اجل إثباتها .

التحليل النفسي:

تحليل لغة: اليمين وهو أن يحلف الرجل ثم يستثني استثناء متصلا باليمين غير متصل عنها[2].

نفساني لغة: نفسي عقلي مرض نفساني خاص بعلم النفس من الوجهة النفسانية طب نفساني طب الأمراض العقلية يهتم بحالات المرض العقلي وتفسير الاضطرابات النفسية

[1]– عاطف العراقي: نحو معجم للفلسفة العربية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002، ص 36.

[2]– عاطف العراقي: نحو معجم للفلسفة العربية، المرجع السابق، ص 36.

طبيب نفساني طبيب الأمراض العقلية نفساني طبيعي مختص بالعلاقات بين النشاط الوظائفي والنفسانية طريقة نفسانية طبيعية[1].

التحليل النفساني: اصطلاحا مصطلح حديث أطلقه "فرويد" على إحدى طرق البحث والعلاج في علم النفس المرضي وقد انتشر هذا المصطلح في علم النفس الحديث حتى أطلق على جميع التقنيات المستعملة في دراسة الأفعال النفسية الشعورية والكشف عن العقد الكامنة في الشعور فان هذه العقدة المؤلفة من الرغبات المكبوتة والذكريات المنسية والأفكار والمشاعر المتضاربة تحدث اضطرابات نفسية وجسمية مختلفة[2].

من خلال هذا نلاحظ إن مصطلح التحليل النفسي مصطلح جديد أطلقه الطبيب النمساوي فرويد على إحدى طرق البحث والعلاج وهو مركز على الحياة النفسية اللاشعورية للإنسان ويعتبرها جانب أهم لأنها تحتوي على المكبوتات والعقد النفسية التي يعاني منها الإنسان. أما في المعجم الفلسفي عند محمود يعقوبي نجده يعرفه كالأتي: (التحليل النفساني طريقة في العلاج النفساني بناها فرويد (1856– 1939) على نظرياته في بنية الجهاز النفساني وتمثل، هذه الطريقة في الاستعمال خاصية تداعي الأفكار للكشف عن أفكار مكبوتة، يكون عدم الشعور بها هو الذي يحدث إضرابات في بعض الأحوال إضرابات جسمانية، والشعور بها هو الذي يزيلها[3].

تحليل النفساني: إن مصطلح التحليل النفساني كان موجودا عند "فريد وبرنتانو" الذي كان يعالج المرضى انطلاقا من تداعي الحر، حيث يترك المرضى يصرحون بما يشعرون به من الغرائز والمكبوتات انه علاج هام وضروري لحياة الأفراد ومع تطور العلوم أصبح علم

[1]– ابن منظور: لسان العرب، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 921.

[2]– أنطوان نعمة: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط2، 2001، ص 1435.

[3]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 257.

النفس يعرف تقدما وتطورا في جميع الميادين فهو موجود في المدارس الابتدائية المعالجة النفسية للأطفال، بالإضافة إلى مراكز السجون من خلال معالجة الظواهر الاجتماعية مثل الاغتصاب والقتل والانتحار إلى غير ذلك.

العلم: لغة مجموع العلوم بمجموعة مسائل في موضوع معين، علم الهندسة، علم الفلك، الطب، المعرفة، الحكمة، إننا بحاجة إلى علمك مجموع العلوم المكتسبة بالدرس رجل واسع العلم ليكن في علمك اعلم العلوم الإنسانية[1]. علم العلم علما وسم بعلامة يعرف بها علم الأسماء بقلم الأحمر علما، درى وأدرك وعرف العلم قدوم صديقه، يعلم الله[2].

العلم: مرادف للمعرفة فلفض العلم science مشتق من أصل لاتيني بمعنى يعرف وفي اللغة العربية فإن لسان العرب يطابق بين العلم والمعرفة فنحن نقول علم الشيء أي عرفه[3].

العلم اصطلاحا: أما فلسفيا فهو الإدراك مطلقان كان يقينيا أو غير يقيني... وإذا كان العلم مرادف للمعرفة فهو يتميز عنها بكونه مجموعة من المعارف التي تتصف بالوحدة والتعميم[4]. هو الإدراك النسبة بين الطرفين على ما هي عليه الحقيقة والواقع، ويقابله الجهل والظن والاعتقاد[5]. ومن هنا نستنتج أن العلم يعني طلب المعرفة والابتعاد عن الظن والاعتقاد والجهل أي أن مبدأ الاعتقاد يعني الشك. من خلال هذا يتضح أن العلم هو المعرفة، معناه أن هذا الأخير يتميز بالوحدة الموضوعية، وخاصية التعميم وهذه الخصائص هي نفسها خصائص المعرفة العلمية الغاية منه طلب المعرفة بعدما كنا نجهله، سواء كان

---

[1]– محمود يعقوبي: معجم الفلسفة، المرجع السابق، ص 112.

[2]– أنطوان نعمة: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق، بيروت، ط2 ، 2001، ص1013.

[3]– المرجع نفسه، ص، ص 1011 ، 1012.

[4]– عبد الفتاح محمد ديدوي: فلسفة العلوم، دار البقاء، القاهرة، (د،ط)، 2001، ص 40.

[5]– محمود يعقوب: معجم الفلسفة، مرجع سابق، ص 112.

ذلك من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، إن العلم عبارة عن المنظار يكتشف الإنسان من خلال ما كان يجهله، بالإضافة إلى ذلك نجد كلمة العلم تعني كلمة science مشتقة من كلمة لاتينية ومعناها يعرف، فالعلم إذا نظرنا إليه في المعنى الفضفاض يدل على ما نعرفه وعلى مجموع المعرفة الإنسانية بأسرها[1].

من خلال ما تقدم نستنتج أن العلم هو عبارة عن معارف إنسانية، يستطيع الإنسان من خلالها أن يعرف ما كان يجهله من معارف، عن قيمة العلم تكمن من خلال إبراز المعارف داخل الساحة العلمية وتلقينها والهدف الأساسي للعلم هو اكتشاف معرفة جديدة.

تعريف المعرفة :

المعرفة لغة: عرف المعرفة وعرفانا أدرك بحاسة من الحواس، أي أعاد إلى ذهنه أو استخراج من ذاكرته صورة شخص ما أو شيء رآه أو سمعه[2]. عرف صديق طفولته عرف شخصا من صورته وعرف الطريق أي أدركه فهم، علم معرفة ما يتكون في ذهن من مفهوم للشيء إدراك حدس لأمراها وتميز بين ما هو ضار وبين ما هو نافع[3]. إن الإنسان البدائي كان يفسر المعرفة من خلال المعتقدات الموجودة لديه إل أنه كان يضن مثلا أن عندما يحدث الفيضان سببه أن الطبيعة تغضب على الإنسان، بالإضافة إلى العديد من الظواهر الطبيعة، تلك المعرفة العامية لديه تجاوزها العلم، وأصبح التفسير عن طريق مبادئ العلم وقوانينه.

المعرفة: هي اكتشاف الشيء العيني أو الذهني على ما هو عليه وعلى هذا فالمعرفة لا تكون إلا بعد الجهل، بخلاف العلم الذي هو إحاطة بحقيقة الشيء فإنه حضور دائم لهذه

[1]– محمد قاسم محمد: مدخل إلى فلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د،ط)، 2006، ص 3.

[2]– انطوان نعمة:المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 927.

[3]– المرجع السابق، ص ص 927–928.

الحقيقة في ذات العارفة، فالمعرفة بعدية بينما العلم إنما العلم قبلي فيقال: أعرف أن النار محرقة أو تحرق، ولا يقال أعلم ذلك[1].

إن هذا التعريف للمعرفة بين إن المعرفة تحصل بعدما يكون الإنسان جاهل لذلك الشيء، الذي لم يتمكن من معرفته أم العلم الذي هو البحث عن الحقيقة وأسباب ذلك الشيء الذي تمكن من معرفته بالإضافة على ذلك نجد لها تعريف آخر وهو ما يلي:

المعرفة حالة عقلية يدرك فيها الإنسان غيره أو ذاته، وهي علاقة احد جوانبها بالذات العارفة، والجانب الآخر بموضوع المعرفة الذي تتجه إليه الذات العارفة بصورة مباشرة أو غير مباشرة[2].

نرى أن المعرفة خاصة بالقدرات العقلية التي يمتلكها الإنسان من اجل اكتساب معرفة، أي أن موضوع المعرفة يتعلق بالدرجة الأولى بالذات العارفة، التي تتجه نحو الموضوع من اجل معرفة مباشرة أو غير مباشرة ، إن هذا يبرز قيمة الذات العارفة للموضوع .

" بالإضافة إلى ذلك يقصد بالمعرفة تذكر المعارف السابقة تعلمها ، ويتضمن ذلك الاسترجاع استدعاء مدى عريض واسع من المعارف ، ومن الحقائق المحددة إلى كامل النظريات ، ويتطلب ذلك استحضار العقل ويستدعي الذهن المعارف الملائمة ويتصور المعرفة لمستوى الأدنى للمعطيات التعليمية في مجال المعرفي [3].

من هذا كله نستنتج إن المعرفة تعني استرجاع الماضي وتذكره من خلال القدرات العقلية التي يمتلكها الإنسان مثل قوة الذاكرة نهيك عن القدرات النفسية، مثل أن الإنسان الذي

---

[1]– محمود يعقوبي: معجم الفلسفة، الميزان، الجزائر، ط2، 1998،ص 103.

[2]– صلاح إسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ط1، 2005، ص 14.

[3]- محمد البغدادي: تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1، 2003، ص 122.

يحب شيء ما يستطيع أن يعرفه بسهولة غير الذي يكرهه لا يمكن تعلمه ، إن المعرفة هنا راجعة للرغبات وقدرة الذات .

العقل لغة:جمع العقول، مركز الفكر والحكم والمخيلة ، مجموع القوى العقلية ما يكون به التفكير والاستدلال عن غير طريق الحواس عقل محدود ، عقل ضيق هذا يتخطى العقل رأي مبني على العقل، العقل يميز الإنسان عن الحيوان،بال،فكر،خاطر [1].

العقل اصطلاحا:

العقل بوجه عام ما يميز به الحق عن الباطل و الصواب من الخطأ يطلق على أسمى صور العمليات الذهنية عامة و على البرهنة خاصة[2].

يراد به أيضا المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعا و هي مبدأ الهوية، مبدأ التناقض و مبدأ العلمية.[3]

و يطلق العقل على ثلاثة أوجه:

1.معيار العلم الغزالي لأنه يرجع إلى وقار الإنسان و هيئته و يكون أيضا هيئة محدودة للإنسان في كلامه و إختياره.

2.يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية.

3.يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده أي أنه قوة تدرك الأشياء.[4]

و العقل عند أفلاطون و أرسطو قوة و ملكة أو جزء من النفس و يتميز بين سائر قوى النفس التي هي الإحساسات و الخيال و الشهوة و الإنفعال.[1]

---

[1]- نعمة انطوان: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،المرجع السابق ، ص 1002

[2]- ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، (د،ط)، 1982، ص120.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 120،122.

[4]- صليبا جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1982، ص 84.

الإتصال لغة:

إتصل الشيء بالشيء، لم ينقطع ووصل الشيء إلى الشيء وصولا وتوصل إليه بمعنى إنتهى إليه.

و باللغة و الوصل: ضد الهجران و التواصل ضد التصارم و أوصله غيره ووصل بمعنى إتصل،و قال أبو عمر: "الاتصال دعى الرجل رهطه دنيا و الاعتراء عند الشيء يعجبه".و الاتصال و الوصلة ما اتصل بالشيء قال ليث كل شيء إتصل بشيء فما بينهما وصلة، هو الجمع و الوصل[2].

الاتصال اصطلاحا:

يعرفه تشارلز:" بأنه الآلية التي توجد فيها العلاقات الإنسانية و تنمو عن طريق إستعمال الرموز و وسائل نقلها و حفظها".[3]

إن هذا يوضح على أن الاتصال هو عبارة عن وسيلة يستخدمها الإنسان للتواصل مع العالم الآخر.أو الإنسان الآخر بالإضافة إلى أن هناك تعاريف أخرى للاتصال و هي كالآتي:

الاتصال هو عملية أو طريقة التي يتم بواسطتها انتقال المعرفة من شخص إلى آخر حتى تصبح مشاعا بينهما و تؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر.[4]

من هنا يتضح أن الاتصال هو ذلك النمط الخاص من المعرفة الإنسان عن طريق هذه الوسيلة يتمكن من إكتشاف المعارف كان يجهلها و هناك معنى آخر للإتصال" إنه عملية يقوم بها شخص في ظرف ما، ينقل رسالة ما تحمل معلومات، أو آراء أو إتجاهات أو

---

[1]- بدوي عبد الرحمن: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ج1، 1984، ص 73.

[2]- ابن منظور :لسان العرب ،ج1، المرجع السابق، ص ص 4850،4851.

[3]- نصر الله عمر عبد الرحيم: مبادئ الإتصال التربوي والإنساني، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 30.

[4]- نصر الله عمر عبد الرحيم: مبادئ الإتصال التربوي والإنساني، المرجع السابق، ص 31.

مشاعر إلى الآخرين بهدف ما، عن طريق الرموز بغض النظر عما يعترضها من تشويش[1].

إن الاتصال هنا يمكن أن يكون إما رسالة، أو مجموعة من الآراء أو الرموز...إلخ لأن الهدف الواحد هو تبليغ الخبر للمرسل إليه.و هنالك من يعتبره أنه نشاط من المعلومات المشتركة.[2]

قد توصل أرسطو إلى أن عملية الاتصال تقوم على ثلاثة عناصر رئيسية و هذه العناصر هي المتحدث و الحديث نفسه أو الخطبة نفسها التي تلقى على المستمعين.[3]

الإنفصال لغة:

يعرفه إن سيدة" الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فإنفصل، و إنفصلت الشيء فإنفصل إي قطعته فإنقطع و الإنفصال : مطاوع فصل".[4]

الانفصال اصطلاحا: الثابت المنطقي الذي يربط بديلين بالأداة إما و أما أو طرفين في الأداة أو حيث أن هنالك معنيين للإنفصال.[5]

المعنى الأقوى أو الاستبعاد فيه يكون بين بديلين عناد تام فلا يصدقان معا و لا يكذبان معا، و يتوقف صدق الدالة الانفصالية على صدق أحد البديلين و كذب الآخر فصورته ق أكبر من ك.

---

[1]- ابو أصبع صالح خليل: الإتصال الجماهير، دار الشروق، عمان ، الأردن، ط1، 1999، ص 11.

[2]- شرف عبد العزيز: نماذج الاتصال في الفنون والإعلام والتعليم وإدارة الأعمال، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003، ص 22.

[3]- نصر الله عمر عبد الرحيم: مبادئ الإتصال التربوي والإنساني، المرجع السابق، ص 129.

[4]- ابن منظور: لسان العرب، ج3، المرجع السابق، ص 3041.

[5]- وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، (د،ط)، 2007، ص 109.

المعنى الضيق أو الضمني و هو هذا المعنى لا يكون هنالك تعارض بين الطرفين فيجوز اجتماعهما معا، و في هذا المعنى يكون صدق الدالة الإنفصالية متوقفا على صدق أحد الطرفين على الأقل و لا يكذب إلا إذا كذب الطرفان معا و صورته ق أكبر من ك.[1]

العائق لغة:

أراد بقوله عاق عائق فقبله، وقيل هو على توهم عقوته قال الأزهري:"يجوز عاقني عنك عائق و عاقني عنك عاق بمعنى واحد على القلب". و عاقه عن الشيء يعوقه عوقا، صرفه و حبسه و وصل عاق عوق ثم نقل من فعل إلى فعل و عاقني عن الوجه الذي أردته عائق و عاقتني العوائق الوحدة،عائقة".[2]

العائق اصطلاحا:

عاقه عن الشيء منعه و شغله، و عوائق الدهر شواغله و أحداثه و العائق ما يعوق الفكر أو الإرادة من الشواغب الداخلية و الخارجية، و عوائق النمو هي الأسباب التي تمنع الكائن الحي من بلوغ الكمال الخاص من نوعه من هذه العوائق ما هو طبيعي كالنقص الجسمي أو المرضي منها و إقتصادي كالفقر.[3]

---

[1]- وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، المرجع السابق، ص 110.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطية، بيروت، ج3، ط1، 2005، ص ص 2721،2717.

[3]- صليبا جميل: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 39.

المبحث الأول :الابستيمولوجيا و العلم

لقد اختلف العلماء والمؤرخون حول ظهور الابستيمولوجيا، كعلم قائم بذاته يتناول القضايا العلمية بالدراسة والنقد فهنالك من رأى أن لها جذور تاريخية داخل الحضارة اليونانية وهنالك من حدد ظهورها مع كانط ولكن بتطور العلوم وازدهارها، برزت هذه الأخيرة كمبحث من مباحث المعرفة تتناول القضايا العلمية بدراسة والنقد والتحليل، ونجد وجود ابستيمولوجيات مختلفة من بينها الديكارتية و الباشلارية، في القرن العشرين ومن هذا كله نطرح السؤال الأتي:ماهي الابستيمولوجيا ؟وما هي العلاقة التي تربطها بالميادين الأخرى؟ إذا كانت الإبستيمولوجيا تعني حرفيا نظرية العلم معنى هذا إنها قريبة العهد والجديدة،حيث نجد "لاشوي "(يعتبرها كلمة مستحدثة،وان ما تشير إليه ليس قديما جدا،حيث نجد أن كل مذهب فلسفي يتصور تصورا خاص للمعرفة،فنجد في محاورة أفلاطون تيتياتوس مثلا قد تعرض إلى نظرية العلم ومنذ القرن الثامن عشر نجد أن معناه أصبح ضيق أدق[1].

إن الابستيمولوجيا هي عبارة عن نظرية العلم،تهتم بتاريخه والأسس والمبادئ التي يرتكز عليها العلماء أثناء تفسيرهم للنظريات العلمية،إن هذه الأخيرة عن نظرة نقدية لفروض ومبادئ العلوم،ومهمة الرئيسية لها من خلال إبراز الأخطاء وتصحيحها ومحاولة تجاوزها.لكننا نجد لها جذور تاريخية داخل المذاهب الفلسفية وتجسد ذلك من خلال محاورة أفلاطون التي تثبت إن هناك نظرية للعلم كانت موجودة عند اليونان .

بالإضافة إلى اعتبارها حركة نقدية واعية تتناول بالتمحيص والتدقيق مبادئ وأسس أي نسق علمي، وعلاقتها بالنظريات والنتائج المشتقة منها، بالإضافة إلى فحص وتحليل بعض

1- روبير بلانشي: نظرية العلم، تر: محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات؛ الجامعية، بن عكنون، الجزائر،(د،ط)، 2004، ص ص 09-10.

المفاهيم التي يستند إليها العلماء في دعم استدلالاتهم [1]. إن مهمة الأساسية لدى الإبستيمولوجيا هي النقد،ويكون هذا الأخير من خلال النقد الفروض معناه الفرضيات التي يصوغها العلماء والنتائج التي يتوصل إليها من خلال الأبحاث التي يقومون بها و هي ترتكز على صياغة مفاهيم، صياغة دقيقة مثلا نجد أن الإبستيمولوجيا الباشلارية، كانت بمثابة نقد لكل الذاهب الفلسفية من أجل محاولة بناء ركام فلسفي جديد، يتلاءم مع بنية الفكر العلمي جديد، هذا يدل على أنها اعتبرت المعرفة الكلاسيكية لا تتلاءم مع متطلبات العصر الراهن، و إن من بين المفاهيم التي حدث فيها تغيير نجد مفهوم الحتمية الذي تحول إلى اللاحتمية.

" من هذا كله نجد للإبستيمولوجيا معنى آخر أحدث بكثير من المعنى السابق، ذلك أنه بعد الانقلاب الذي أحدثته الثورة النسبية و المبدأ اللاتعيين ليهيزنبرخ أدى إلى ذلك التحول من الإعتقاد الإمكان الحصول على المعرفة اليقينية في العلوم الإمبريقية، إلى الإعتقاد بأن من الممكن فقط هو الحصول على المعرفة النسبية و الإحتمالية، كل هذا أدى إلى نشوء إبستيمولوجيا جديدة، و هي إبستيمولوجيا علمية[2].

كان ظهور الإبستيمولوجيا من خلال التطورات العلمية التي شهدها القرن العشرين هنا أصبحت هذه الأخيرة معنى دقيق وثابت، لأنها اهتمت بالمجال العلمي المعاصر الذي أحدثته الثورة العلمية، وتبرز مظاهر هذه الأخيرة ظهور الرياضيات اللإقليدية، و النظرية النسبية مع أنشطاين، بالإضافة إلى ذلك بروز نسق الإكسيوماتيكي، أي أن الإبستيمولوجيا هنا ومن خلال تلك الثورة ظهرت كعلم قائم بذاته و جديد العهد،يتناول النقد الإيجابي لبناء

1- محمد اسم محمد: مدخل على فلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د،ط) 2006، ص ص 43-44.

2- شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم، مدخل لفلسفات العلوم، مؤسسة الثافة الجامعية ، الإسكندرية، (د،ط)، 2009، ص 90.

معرفة علمية، حيث كانت لهذه الأخيرة علاقة وطيدة لنظرية المعرفة من خلال طرق إمكانية المعرفة و السبل والوسائل، و الطرق التي تمكن الإنسان من خلالها الوصول إلى المعرفة ومن هنا نطرح السؤال التالي: ما هي العلاقة التي تربط بين الإبستيمولوجيا و نظرية المعرفة.

" مجال العمل لهذه الإبستيمولوجيا كما يرى توفيق الطويل هو أنها تعترض البحث في إمكان قيام المعرفة، فتواجه الشك في الحقيقة أو التيقن، و التفرقة بين المعرفة الأولية التي تسبق التجربة و المعرفة التي تأتي بالاكتساب وتدرس شروط التي تجعل الحكام ممكنة و التي تبرز وصف الحقيقة بالصدق".

ولقد طرحت المسألة على مستويين هما: مذهب الشك و مذهب اليقين، لم يقف الفلاسفة من هذه القضية موقفا واحدا، فبعضهم كان يرى إمكان المعرفة والبعض الأخر كان يشك في ذلك وبعضهم كان ينكرها تماما ويرى إستحالة الوصول إلى المعرفة أو حقيقة ما[1].

إن قضية المعرفة أثارت جدلا كبيرا بين الفلاسفة في العصر القديم، حيث اختلفوا حولها فانقسموا إلى ثلاث فرق فهنالك من رأى أن المعرفة موجودة و أن الإنسان في القديم كان يعرف قبل أن يعلم، من خلال البحث عن الوسائل التي تلبي له متطلبات الحياة اليومية مأكل، ملبس، مشرب...إلخ هذا ما دفعه إلى البحث عن هذه الطرق التي تدفع عنه المشقة و عندما وفر الضروريات، بدأ البحث عن معرفة أخرى و هي إيجاد وسائل النقل التي توفر عنه التعب و مشقة السفر، هذا كله يبرهن على الإنسان كان يملك المعرفة و هي قبلية غير علمية، تعتمد على الحواس والملاحظة البسيطة للظواهر اليومية،بغية تسخيرها له ولي فائدته،بالإضافة إلى ذلك فهنالك من نفى المعرفة وقال لا توجد معرفة ولا يمكن الوصول

[1]– شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم، مدخل لفلسفات العلوم ، المرجع السابق، ص 93.

إليها وهذا الرأي غير مقبول لولا البحث والتنقيب من طرف الإنسان الأول لما كانت هنالك معرفة بدليل أن الإنسان المعاصر،لم يصل إلى هذا التطور لولا وجود معرفة قديمة كانت لا توجد لديها أسس ومبادئ علمية.

"لقد تجسدت إمكانية المعرفة عند اليونان عندما بحثوا في أصل الكون وطبيعته،وهذا يظهر مع الفلاسفة الطبيعيين أمثال طاليس الذي ازدهر عام(585ق.م) فكانوا السابقين إلى ذلك من جورجياس السفسطائي،صاحب مدرسة الشك(500 ق.م)الذي قال "(لا توجد حقيقة) من هنا تبلور الشك كنظرية المعرفة[1]. قبل تبلور اليقين كنظرية للمعرفة،من هنا يظهر بأنه كان لليونان معرفة وتجسد هذه الأخيرة من خلال البحث في الوجود وأصله وكان ذلك مع الفلاسفة الطبيعيين أمثال طاليس الذي قال أن أصل الكون هو الماء وأن كل شيء هو الحي من هنا تظهر المعرفة وهي التي تبحث في أصل العالم الذي نعيش فيه.

إن اليونانيين كانوا من السابقين عن غيرهم من الشعوب،في طرح هذه المشكلة لكن المعرفة هنا كانت غير مؤسسة على اليقين،بل تعتمد على الشك بدليل اختلاف أصحاب المدرسة المالطية في تفسيرهم للكون هنالك من رآه أنه الهواء وهنالك من قال التراب،وهنالك من فسره على أنه عبارة عن عدد وهذا نحده عند فيثاغورس "وبعد أفلاطون بنظريته المثل، رائد من رواد اليقين،ولكنه اليقين العقلي، حيث أصبحت المثل هي الحقائق العقلية الثابتة ولأنها في مكان مفارقة بعيدة عن العبث والصيرورة[2]. إن أفلاطون من خلال نظريته في المثل جسد اليقين بعين ذاته حيث قسم هذا الأخير العالم إلى عالمين محسوس وأخر معقول، فالأول توجد فيه الأفكار السامية والمثالية أما الثاني هو عالم المعقول، نستطيع إدراكه من خلال العقل، حيث تعد هذه النظرية بمثابة تجسيد للحقيقة لأنه كان دائما يشك

[1]– شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 94.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 95 – 96.

في الحقيقة التي تتعلق بالعالم الحسي، واعتبره عالم وهم وزيف،بعيد عن المعقول وان الحقيقة الكامنة توجد في عالم المثل.

"لكن مع عهد كانط اتصفت المعرفة باليقين،وأعتبر اليقين أسلوب للعقل يخلو من كل نقد ويفترض في أصحابه القدرة على اكتساب المعرفة صحيحة بغير بحث في طريقة اكتسابها[1]. المطلق إن كان ذلك ممكنا،كما تبحث نظرية المعرفة في الأدوات التي تمكن من العلم بالأشياء،وتحدد مسالك المعرفة ومنابعها[2].

إن مهمة الإبستيمولوجيا تظهر من خلال إبراز هل يمكن إقامة المعرفة أم لا؟ وعملها يتجلى على مستوى المعرفة، ويظهر ذلك على إعطاء الأولوية إلى الوسائل التي يمكن لإنسان من اكتساب المعرفة، وهذه الأخيرة إما تكون مؤسسة على المبادئ العقلية أو التجريبية، أو على المعطيات الخاريجية، حيث إختلفت المذاهب الفلسفية حول المصدر الأساسي للمعرفة، فنجد العقليون يعطون الأولوية للعقل،ومن بينهم ديكارت ونجد التجريبين يرون أن لها منبع وهو التجربة، بالإضافة إلى مذاهب أخرى ترجع مصدر المعرفة إلى عوامل أخرى ترجع مصدر المعرفة إلى عوامل أخرى، وهكذا يظهر العمل الإبستيمولوجي من خلال إبراز العوامل والشروط، التي يمكن من خلالها تأسيس المعرفة العلمية، من خلال النقد لهذه المبادئ ."وهكذا نجدلها علاقة وطيدة بعلم المناهج"ويظهر هذا من خلال قول "زكي نجيب": "إن علم المناهج البحث ليس في الحقيقة علما يضاف إلى قائمة العلوم كأنه واحد منها بل هو وراء هذه العلوم كلها، يحلل طرقها ليستخرج ما يجوز أن يعد الطريقة العلمية في البحث كائنا ما كان"[3] .

---

[1]– شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 97.

[2]– المرجع السابق، ص 92.

[3]– شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم ، المرجع السابق، ص 152.

يعتبر زكي نجيب أن المنهج ليس فقط هو ذلك الطريق الذي يسلكه العالم للوصول إلى الحقيقة، بل هو أكثر من ذلك هو عبارة عن علم يحلل الطرق والأسس والمبادئ، التي ترتكز عليها المعرفة العلمية، وكأنه في نظره هو فلسفة العلم من هنا نجد أن الإبستيمولوجيا والمنهج هما واحد لأن الهدف مشترك وهو إعادة النظر في المبادئ العلمية، من أجل بناء صرح علمي يتفق مع متطلبات العصر، هذا كله له معنى واحد وهو المنهج و الإبستيمولوجيا علم واحد. ويعرف فلسفة العلم بأنها:"تلك التي تحلل العلم ولا تكون جزءا منه، فلو قلت عن ظاهرة الضوء مثلا قولا ما،كأن نقول قانونا من قوانين الضوء فهذا علم،إما أن نعلق على هذا القول بقول آخر يحلله أو يصله غيره من الأقوال أو غير ذلك، فهذا يكون فلسفة العلم،وعلم المناهج البحث من هذا القبيل.

إن عمل الإبستيمولوجيا داخل العلم يظهر من خلال فحص المبادئ العلمية وتحليلها، مثل ظاهرة الضوء كان في القديم عبارة عن ظاهرة معقدة تحتاج إلى دقة وتمعن، من أجل فهم الشبكة الكهربائية، وهنا يمكن دور الإبستيمولوجيا في تبيان الأسس والمبادئ التي يرتكز عليها العلم، وتحتوي فلسفة العلم بوصفها دراسة للمنهج على قدر كبير من مباحث المنطق التقليدي ونظرية المعرفة، كما تتضمن دراسة موضوعات الاستقراء، الاستنباط، الفروض، المعطيات، الكشف، التحقيق والمناهج والمنهجية مثل التجريب القياس الكمي التصنيف كما تلعب العلاقات دورا هاما في فلسفة العلم بوصفها أحد الأنساق الرمزية الهامة[1].

إن البحث الإبستيمولوجي متنوع من خلال بحث هذه الأخيرة في جميع مجالات العلوم والتركيز بالأساس على مبحث المعرفة بفحص الفروض والمبادئ التي يقوم عليها العلم.

إن الإبستيمولوجيا التي تعتبر فرع من فروع المعرفة التي تهتم بحركة العلم،أثناء تطوره بدليل ظهور الإبستيمولوجيات مختلفة تناولت دراسة نظرية بوجهة نظر مختلفة ."إن الإبستيمولوجيا

[1] – محمد القاسم محمد: مدخل إلى فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 44.

ومعناها التقليدي هي دراسة المعرفة أو الاعتقاد الصادق، وسعى الإبستيمولوجيين لإنجاز هذه الدراسة عن طريق الإجابة على الأسئلة الآتية: ما هي المعرفة؟ ما الذي يمكن معرفته ؟ وما هي الوسائل التي من خلالها يمكن أن نعرف؟[1]

إن مهمة الأساسية التي تتقدم بها الإبستيمولوجيا، هي طرح الأسئلة من خلال ما يخص الجانب المعرفي الذي يتعلق بالإنسان، من اجل معرفة ما الذي يجب معرفته وما هي الطرق التي من خلالها يمكن أن نعرف.

"إن السمة الأساسية التي تتميز بها الإبستيمولوجيا الطبيعية وتفصلها عن الإبستيمولوجيا التقليدية هي اتصالها بالعلم، حيث نجد هذا الاتصال هو سبب في الإختلاف والتنوع بين هذه المفاهيم [2].

هذا يبين أن هنالك فرق شاسع بين الإبستمولوجيا الطبيعية والتقليدية، ويظهر هذا من خلال أن الأولى اتصلت مباشرة بالعلم حيث بدأت تهتم بالقضايا التي يطرحها العلم المعاصر، مثلا نجد الإبستمولوجية "كارل بوبر"من خلال مبادئ قابلية التكذيب في المعرفة العلمية، من أجل إعادة النظر في الأسس، والمبادئ التي يرتكز عليها العلم، هكذا تميزت الأولى عن الثانية بينما نجد هذه الأخيرة تهتم بالمعرفة من خلال مبدأ الشك واليقين في مصادر المعرفة.

إن الإبستيمولوجيا هي بمثابة نظرية وتأملية، حيث تعتبر الإبستمولوجيا الديكارتية هي نموذج الإبستمولوجيا التقليدية، حيث نجد الفلاسفة منذ العصر القديم إلى يومنا هذا يسعوا إلى بناء معرفة على عنصر واحد ثابت ألا وهو العقل [3] .

---

[1]– اسماعيل صلاح: نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية، (ط1)، 2005، ص 190.

[2]– المرجع نفسه، ص 193.

[3]– إسماعيل صلاح: نظرية المعرفة العلمية،المرجع السابق،ص 195

هكذا كانت مهمة الإبستمولوجيا التقليدية دائما البحث داخل المذاهب الكلاسيكية التي تبحث في المعرفة حيث نجد أن كل واحد يؤسس المعرفة على يختلف عن الآخر،ولكن التطورات العلمية أدت على ظهور أنماط مختلفة من الإبستيمولوجيات لكل منها تصوره الخاص للمعرفة.

"أورد ريشنباخ ثلاثة مهام للإبستيمولوجيا من خلال كتابه التجربة والتنبؤ وهي كالأتي:المهمة الوضعية، ومهمة النقدية، مهمة استشارية .إن الأولى نابعة عن النفس والاجتماع ومجالها هو الكشف العلمي،أما الثانية فإن دورها هو إعادة البناء العقلي لتيار الكشف العلمي، من خلال عملية التحليل، أما الثالث لها دور أساسي وهو النقد من خلال التخلص من كل الأبعاد التجريبية المتعلقة بالكشف العلمي" [1].

لقد حدد ريشنباخ عمل الإبستمولوجيا من خلال ثلاثة مهام وهي كالأتي:

إن مهمة الوصفية وهي تتعلق بوصف الظواهر الإنسانية وعلاقتها من بين هذه العلوم علم التاريخ وعلم الاجتماع من هنا يبرز عمل الإبستيمولوجيا وهي تهتم بالمجال الداخلي للمعرفة فندرس مثلا ظاهرة التدخين والأمراض الناتجة عن هذه الظاهرة والطرق والوسائل التي يمكن اتخاذها من اجل الحد منها، أي أن عمل الإبستمولوجيا هنا هو الوصف لتلك الظواهر فقط من أجل تكوين معرفة أولية تخص الظاهرة، أما المهمة التي تقوم بها وهي النقد وهنا النقد البناء من اجل الفحص الدقيق ومتين الأسس والمبادئ التي ترتكز عليها تلك المعرفة وهنا تتخلص من كل معطى خارجي و تهتم بالبناء الداخلي، أما المهمة الثالثة هي إعادة بناء العقلي من اجل بناء معرفة ابستيمولوجيا تساير المنهج الجديد.

1- علي حسين: فلسفة العلم عند هازرينشنباخ، الدار المصرية السعودية ، القاهرة، (د،ط)، 2005، ص 84.

إن المهمة الأساسية لدى الإبستيمولوجيا عند ريشنباخ هي النقد ، وان هذه الأخيرة تفترض وجود المهمة الوصفية والاستشارية وهو يرى إذا اتخذنا العلم كموضوع للدراسة يجب ان ننظر إليه ناحيتين هما كونه معطى واقعي يعبر عن وجود الاجتماعي و التاريخي و النفسي ويزعم التوصل الى الحقائق لا تتعلق أشخاص ولا بالزمان.

يعبر ريشنباخ ان المهمة الأساسية الابستيمولوجيا تتمثل في النقد، وهو خاص بميدان المعرفة من خلال تجاوز النظرية الكلاسيكية و التأسيس المعرفة علمية تتلائم مع التطورات العلمية الراهنة "إن المهمة الوصفية الإبستمولوجيا حسب رأي ريشنباخ هي وصف للمعرفة كما هي موجودة، ومن خلال هذه الحالة تعتبر الإبستمولوجيا جزء من علم الاجتماع، ومن خلال طرح بعض الأسئلة التي تتعلق بالمعرفة كظاهرة اجتماعية[1]. إن اهتمام الإبستمولوجيا بالمعرفة معناه هنا وصف الموضوع المعرفي، كما هو موجود دون تدخل العوامل الذاتية والموضوعية، لهذا تعتبر هذه الأخيرة جزء لا يتجزأ من العلوم الإنسانية، وخاصة علم الاجتماع، الذي يدرس الظواهر الاجتماعية ويعتبرها قابلة للفحص والنقد والتدقيق.إن العمل الإبستيمولوجي يهتم بدراسة الظواهر الإنسانية كجزء لا يتجزأ من المعرفة الإنسانية.

إن ريشنباخ يطالب بإبعاد الإبستمولوجيا عن مجال علم النفس لأن المعرفة النفسية تتصف إلى حد ما بالغموض والاضطراب ولهذا نجد إن هنالك فرق بين المهمة التي تطلع بها نظرية المعرفة، وبين تلك التي يقوم بها علم لنفس لان نظرية المعرفة ألا تتناول عملية التفكير من خلال حدوثها العقلي إن المهمة الخاصة بعلم النفس.

---

[1]– بشتة عبد القادر: ابستيمولوجيا مثال الفلسفة الفيزياء النيوتينية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1995، ص 36.

"إن موضوع الابستيمولوجيا هو العلم بصفة عامة حيث نجد ان هناك من الابستيمولوجيين من تخصص بمناهج علمية، أمثال باشلار في أبحاثه عن المناهج العلمية، أما مراسل فاهتم مسألة المناهج العلمية وخاصة الرياضية[1] من خلال هذا يظهر أن العمل الابستيمولوجي لا يخرج عن إطار من خلال دراسة مناهجه، وتاريخه والطريقة التي يتطور بها هذا الأخير يوم فحص المناهج العلمية وتيان مدى موافتها من الدراسة العلمية، أنما يرتكز عليه الابستيمولوجين بصفة عامة هو مسار التاريخ الذي تسير فيه المعرفة العلمية ونجد كثيرا منها فيلسوف القطيعة غاستون باشلار من خلال إحداث الطيعة بين الفكر العلمي الجديد والقديم". ونظرا لتطور العلوم وتطورها تفرعت الابستيمولوجيات وتنوعت هي الأخرى، فنجد ابستيمولوجيا الرياضيات حيث نظر بوانكاري إلى الرياضيات المجامع، ونقدها خاصة في مفهوم اللامتناهي تعيين الرياضيات الكلاسيكية والرياضيات الحديثة[2] .

كما هو معلوم ان الرياضيات الإقليدية سيطرت فترة زمنية على الفكر البشري، وكانت تمتاز باليقين وغير المشكوك في الأسس، والمبادئ التي تقوم عليها مثل فكرة البداهة الكل أكبر من الجزأ لكن وبتطور العلوم وازدهارها حطمت هذه الأخيرة وظهر نسق رياضي آخر يحمل مبادئ مخالفة للأولى، إن هذه الرياضيات تدعى بالرياضيات المعاصرة مع ريمان ولوباتشفسكي فتغير مكان من المستوي إلى المعرف والمحدد و تحطمت فكرة البداهة هذا كله أدى على مراجعة في مبادئ العلم القديم من خلال النقد والاتيان بالجديد فظهرت ابستيمولوجيات العلوم الفزيائية.

[1] –– بشتة عبد القادر: ابستيمولوجيا مثال الفلسفة الفيزياء النيوتينية، المرجع السابق ، ص 37.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 38– 39.

"إن الابستيمولوجيا العلوم الفزيائية قد حدد باشلار بنية عقلية العلمية الفزيائية من خلال مسايرته لتاريخ المفاهيم العلمية إلى حد وصولها إلى فزياء اينشتاين ولقد أكد على عقلانية الفكر العلمي وعلى القطيعة بين حلقات المتلاحة وبين الفكر الساذج"

"إن باشلار يؤكد بانه يجب تغيير المفاهيم من أجل مسايرة التاريخ المفاهيم العلمية الجديدة لقد قطع هذا الأخير الصلة بين الفكر القديم والجديد.

أما الابستيمولوجيا علوم الحياة فنجد اهتمام كانغيلام في السوي والمريض الذي بين نسبية مقهوم السوي وكذلك نسبية حالة الصحة، أما ابستيمولوجية العلوم الإنسانية إن المسألة الجوهرية على هذا المستوى تخص أساسا عملية الأبحاث الإنسانية.

إن هذا كله يبين أن الإبستيمولوجيا التي هي عبارة عن دراسة نقدية لفروض ومبادئ العلوم، إنها تقوم بدراسة شاملة لكل هذه العلوم من إعطائها نظرة عامة عن تلك العلوم.

إن موضوع نظرية المعرفة بصفة عامة هو المعرفة بكافة أنواعها وأنصابها من خلال تبيان آلة المعرفة ومصادرها ولقد إهتمت الفلسفة منذ نشأتها إلى الآن بصفة المعرفة حيث نجد أنصار الإتجاه التجريبي إن العقل صفحة بيضاء في البداية فإن مصدر معرفتها هو التجربة الحسية ومن بين أنصار هذا الاتجاه جون لو ودافييد هيوم[1]من هنا يتبين لنا أن نظرية المعرفة موضوعها عام وكيف تحصل وما هي الطرق التي من خلالها يمكن ان نعرف، لأن مصدر المعرفة ليس واحدا بل هنالك مصادر متنوعة.

"أما أنصار مذهب العقلي يرو أن العقل يتكون من أفكار فطرية هي مصدر معرفتنا وأن دور التجربة هو دور ثانوي مع الدور الذي يقوم العقل ومن بين أنصار هذا الاتجاه ديكارت هو مصدر رئيسي للمعرفة".

[1] – بشتة عبد القادر: ابستيمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية، المرجع السابق ، ص 40.

أما أنصار الاتجاه المثالي بعيد عن مسألة العقل والحس والعلاقة بينهما، هنالك اتجاه ثالث يرى أن الأولوية تعطى للأنا الأعلى في عملية المعرفة فهذا الأخير هو المصدر الوحيد للمعرفة [1].

ومن هذا كله نستنتج ان للمعرفة مصادر متنوعة.

المبحث الثاني:وضعية أوغست كونت

لقد وجد الإنسان القديم نفسه أمام العديد من الظواهر،كان لابد من تفسيرها والبحث عن أسبابها،أي أنه بحاجة إلى قاعدة ينطلق منها لأن التفسير القديم للظواهر كان تفسيرا خرافيا ميتافيزيقيا، بعيدا كل البعد عن التفسير العلمي، لهذا نجده أمام معرفة عامية ساذجة،

[1] – بشتة عبد القادر: ابستيمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية، المرجع السابق، ص 41.

لابد من تطويرها إلى معرفة علمية، ومن هنا نطرح السؤال التالي:كيف تطورت المعرفة العلمية؟

"حسب أوغست كونت* (1798–1857) كان يرى هذا اللأخير أن المعرفة العلمية هي بمثابة نضج للعقل، حيث إكتسب هذا الأخير نضجه عبر مراحل تاريخية طويلة ومتطورت،ويبرهن ذلك من خلال مايلي حيث كان فهمه للتاريخ فهما مثاليا في نظرة تسييره للأراء، وتقدم المجتمع ليس إلا تقدم الفكر، والتقدم الفكري ليسبق التقدم الإجتماعي، فحسب بل وبشكل علته وأساسه، أنه يجعل من التاريخ العام للروح الإنسانية نجما ثابتا، يهتدي به كل من يريد دراسة التاريخ البشري ونقطة البدء يجب أن تكون إصلاح للأراء ، ومن ثمة إصلاح الأخلاق والعادات، وإنتقال أخير إلى المؤساسات[1] . من خلال هذا نجد أن تقدم المجتمع لا يسبق الفكر، حيث يعتبر هذا الأخير علته وأساسه وهو يجعل من التاريخ العام للبشرية نجما ساطعا، يهتدي به الجميع، حيث قسم هذا الأخير مذهبه إلى ثلاثة مراحل. "في المرحلة اللاهوتية تكون المعارف التي يتمتع بها الناس محدودة ويسيطر الخيال على الفكر،ويقحم الناس في تفسيرهم للظواهر الطبيعية، كائنات وهمية، الآلهة، والأرواح وتميزت هذه المرحلة من الناحية العلمية بالقوة المطلقة للنصوص المقدسة،ومن الناحية السلبية سلطة الكهنة والملوك[2]. أما المرحلة الميتافيزيقية فلا تعدوا الله العلة الأولى، وإنما الطبيعة ماهية مجردة، عن العلة الأولى تتفرق مختلف القوى كالقوة الكميائية ، والحيوية وغيرها، إن المرحلة الميتافيزيقية هي الأخرى المرحلة الإنتقالية في تطور المجتمع، أما المرحلة الوضعية من

*–كونت أوغست (1798–1857)فرنسي رياضي في تنشته، وهو فيلسوف الوضعية ولديه كتاب مذهب في السياسة الوضعية (1851–1854) زاخرا بالعبر. ديديه جوليا:المرجع السابق،ص 436.

[1]– فيصل عباس:موسوعة الفلاسفة، دار الفكر، العربي ، بيروت، لبنان،ط1،1996،ص ص 169–170.

[2]– فيصل عباس: موسوعة الفلاسفة ، المرجع نفسه، ص172.

آخر ، أسمى مراحل تطور المعرفة والمجتمع عامة في هذه المرحلة العلمية يستعيض العقل عن التفسيرات اللاهوتية، ويسعى لإقامة المعرفة ليست وفق على العلوم الرياضيات لفلك والطبيعة والكيمياء، وإمنا تتعداه إلى علم الأحياء وعلم الإجتماع.

إعتبر كونت أن المراحل التعاقبة في الزمان بحيث أن حلول الثالثة، يعني زوال التفسير لاهوتي والميتافيزيقي،أي أن التفسير الوضعي هو الذي يبقى داخل بعض المجتمعات، مثل تفسير أسباب حدوث الظواهر وإرجاعها إلى الآلهة، أو مشابهة ومن هنا نرى أن التفسير يعتمد على المراحل الثلاثة ، التي يمر بها الفكر. كان كونت يرى بأن العلم الوضعي ، يحقق النظام والقوانين الطبيعية و المجتمع .فهو يرى بأن الجانب الميتافيزيقي ومسألة الوجود من بين المسائل غير قابلة للحل"ويبرهن ذلك من خلال مايلي:

"وأخير في الحالة الوضعية، فإن الفكر البشري الذي يعترف بإستحالة الحصول على أفكار مطلقة، يعبر عن طلب الكون ومصيره، وعن معرفة العلل الصميمة في الظواهر ليهتم فقط بالكشف، بواسطة الإستعمال المنظم للإستدلال، والملاحظة عن قوانين الحقيقية أي علاقتها الثابتة في التعاقب والتشابه، فتفسير الحوادث المقصودة عندئذ على حدودها الواقعية، لا يعود عندئذ سوى العلاقة القائمة بين مختلف الظواهر الجزئية وبعض الحوادث العامة التي يعمل تقدم العلم على التقليل من عددها أكثر فأكثر[1].

من خلال هذا كله نستنتج أن العلم يهتم بالكشف عن الحقيقة، بواسطة الإستدلال والملاحظة، والهدف من الوضعية هو الحد من غلو النزعات الروحية المتطرفة الدينية إن هذا يهدف إلى بلورة علم قائم بذاته. كان كونت يهدف من وراء الوضعية إلى الحد من غلو النزعات الروحية، وإن لم يكن هو من دعاة المادية ولا التجريبية المطلقة فهو قد أخذ على المادية نفسها إنها غير علمية، لأن المادية لترى في المادة موضوعا غير معين تتجاوزه

[1]– محمود يعقوبي: المختار من النصوص الفلسفية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2004، ص 220.

الظواهر، وإنها في تفسيراتها ترد الأعلى إلى أدنى على أنه غير علمي،لأن المادية ترى في المادة موضوعا يجب أن يلاحظ أن كونت قد تطور تطورا شديدا من تجريبية تكاد تقرب من المادية إلى وضعية تنجو نحو التوسع في التفكير العقلي على حساب الميدان التجريبي، حتى إنتهى به الأمر في خاتمة المطاف إلى القول:"آراء لا يمكن ردها إلى المعرفة التجريبية وحدها مثل لأحوال الثلاثة الذي فسر به تطور الفكر البشري"[1].

ما هو ملاحظ أن أوغست كونت لا ينتمي إلى دعاة المادية ولا للتجريبية من هذا كله نستنتج أن كونت تتطور تطورا ملحوظا من التجريبية تكاد تقترب من المادة إلى الوضعية، تبحث عن الحقيقة من الإستدلال والملاحظة وهو يضيف هذه المرحلة بما يلي: "وأخيرا في الحالة الوضعية ، بعد أن يكون العقل البشري قد إعترف باستحالة الحصول على مفاهيم مطلقة، فإنه يتخلى عن البحث في أصل وتميز الكون وعن معرفة الأسباب الحميمة التي تقف وراء الظواهر، ويكتفى بالسعي إلى إكتشاف القوانين الفعلية التي تتحكم الظواهر، أي علاقتها الثابتة وذلك بإستعمال التفكير والملاحظة معا"[2].

لقد أعطى كونت ميزة أساسية للفكر وهي عدم الحصول على مفاهيم مطلقة وثابتة، ولهذا فهو يرى بأن الفكر قد مر بثلاثة مراحل ، حتى إكتمل نضجه وتطوره ، وأصبح قادرا على إنتاج مفاهيم أساسية.وهو يرى "أن الميزة الأساسية للفلسفة الوضعية هي ملاحظة كل الظواهر الخاضعة لقوانين طبيعة ثابتة. حيث أن الإكتشاف الدقيق والإختزال إلى أقل عدد

---

[1]– بدوي عبد الرحمان: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت لبنان، ط1، 1950، ص 10.

[2]– نتشه فريرينيك: الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تر: سهيل القش، المؤسسة الجامعية، ط2، 1982، ص 23.

ممكن هو الهدف الأساسي، وذلك بإعتبار أن البحث عن الأسباب الأولى والثانية هو فارغ من أي معنى ولا يمكن الوصول إليها على الإطلاق[1].

من خلال هذا يرى أن الميزة الأساسية التي ميزت الفلسفة الوضعية، هي البحث عن القوانين التي تخضع لها الظواهر، حيث يتم من خلالها إكتشاف دقيق للقوانين وإختزالها، وكان يرى بأنه هنالك علاقة بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية.

إن العلاقة بين المعرفة العامة والمعرفة الخاصة هي التي تسمح بأن يوضح بدقة هذا التميز وهكذا فإن كونت يكتب: "الهدف الخاص لهذه الدراسات قد عرض، زمن السهل فهم هدفها الثاني، هدفها العام وهذا سيكون درسا للفلسفة الوضعية وليس فقط درسا للفيزياء الاجتماعية"[2].

كان كونت يرى بأنه هنالك علاقة وطيدة بين المعرفة العامة والخاصة، ويظهر ذلك من خلال أن كل منهما يعتمد على الأخر من خلال تقديم درسا للفلسفة الوضعية .

"كان كونت يرى أن فلسفة العلوم هي عبارة عن البديل العلمي الوضعي، للفلسفة الميتافيزيقية وفي تصور كونت هي عبارة عن نظرة وحيدة تركيبة معا يلقيها المرء على جميع العلوم، وعلى القوانين التي تكتشف عنها، والمناهج التي تستخدمها والغايات التي تسعى إليها"[3].

---

[1]– ماشيري يبار: كونت الفلسفة والعلوم، تر: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 44.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 36 – 37.

[3]– عابد محمد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 2006، ص 26.

إن التصور الذي إعطاء كونت لفلسفة العلوم هي إنها عبارة عن أحادية يلقيها المرء على جميع العلوم بغية الكشف عن قوانينها والمناهج التي يستعملها والهدف الذي تسعى إليه.

يرى كونت إذا تصفحنا تاريخ العلوم، وهذه هي البرهنة التاريخية على قانون الحالات الثلاث، وجدناه يشرح بوضوح إلى أن قد تمت هكذا، إذ ليس فيه ما يدل على أن تطور حدث بالعكس، ليس هنالك أي علم وصل الآن للمرحلة الوضعية دون أن يكون قد مر بمرحلة سيطرت عليه فيها تصورات الميتافيزيقة، وجدناه خاضعا لتصورات لاهوتية[1].من هذا كله نستنتج أن التصور الذي أعطاه كونت لتاريخ العلوم وإعتبره البرهنة على قانون الأحوال الثلاثة معناه أن العلوم مرت بمراحل حتى وصلت إلى هذا التطور الذي هي عليه اليوم فهو يشبه تاريخ العلم، بالمراحل التي يمر بها والإنسان كفرد مرحلة الطفولة،التي تسيطر عليه المفاهيم والتصورات لاهوتية، ومرحلة الشباب التي تهيمن فيها التصورات الميتافيزيقية، وفي الأخير مرحلة الكهولة التي يصل فيها إلى الحالة الوضعية.

أطلق كونت قواعد علم الإجتماع الذي أطلق عليه أول إسم الفيزياء الإجتماعية معتبرا أن غرضه الأول دراسة الظواهر الإجتماعية، أي العلاقات الإنسانية، وبما أن هذا العلم لم يبلغ بعد مستوى العلم الوضعي، فلا بد من بنائه على هذا المستوى، إن كونت يعتبر علم الإجتماع كباقي العلوم الأخرى حيث يقوم هذا الأخير، بدراسة الظواهر الإجتماعية وعلى سبيل المثال ظاهرة الإنتحار، هي حالة إجتماعية إن دراسة هذه الأخيرة تكون كالآتي: أول محاولة معرفة الأسباب التي دفعت هذا الشخص إلى إرتكاب هذه الجريمة، ثم تحديد الوقت الذي وقعت فيه، بالإضافة إلى البحث عن العوامل النفسية التي تكون سبب في إرتكاب

[1]– المرجع نفسه، ص 28.

الجريمة، إما تكون داخل أو خارج هذا هو العمل علماء الإجتماع هو تشخيص الظواهر الإجتماعية، من أجل إكتشاف معرفة إجتماعية لهذا نجد كونت أطلق عليه أسم الفيزياء لأن لديه غرض من هذه الدراسة.

"وبإمكاننا أيضا أن نقيم تراتبا للعلوم ففي القمة نجد الرياضيات ويأتي بعدها علم الفلك، الفيزياء، الكيمياء، علم الأحياء وصولا إلى علم الإجتماع.

نلاحظ من خلال هذا التصنيف الذي وضعه أوغست كونت للعوم، أنه أعطى الأولوية للعلوم الدقيقة،من رياضيات وفيزياء...إلخ التي أطلق عليها الوضعية من خلال ما وصلت إليه من دقة ويقين أثناء تطوراتها، وفي الأخير وضع الاجتماع الذي رأى بأنه لم يصل إلى مرحلة العلم.

"إذن ما هو وضعي له دلالات مختلفة وكالآتي الواقعي، والنافع معناه الفصل بين النظرية والتطبيق العلمي، واليقيني يقابله الشيء الذي يحتوي على لبس وغموض أي يقابله الدقة[1].

من هنا يبين أن المعاني المختلفة لمصطلح ما هو وضعي، فرآه بأنه ما هو وضعي للواقع، بعيدا كل البعد عن الخيال والميتافيزيقي، أي علم يمتاز باليقين.

"أن أفكار كونت كانت منبثقة من وحي التصورات العلمية، بإضافة إلى إلحاح الغاية الإجتماعية، حيث رأى أنه يجب بناء علم ينظم المجتمع بعد إنهيار النظام الأخلاقي في النظام الأخلاقي في المجتمع الفرنسي بعد الثورة الفرنسية، حيث ناضل هذا الأخير من أجل

[1]– عابد محمد الجابري : مدخل إلى فلسفة العلوم العلانية المعاصرة والتطور الفكري، المرجع السابق، ص 165.

تجاوز الآثار السلبية، التي خلفتها الثورة الفرنسية من خلال استبدال البحث في العلاقات الثابتة بين الظواهر[1].

إن كل التصورات والأفكار التي جاء بها كونت كانت من خلال معايشة الظروف والأوضاع التي عرفها المجتمع الفرنسي، لأن هذا الأخير صاغ نظريته من خلال ذلك، لأنه تأثر بالثورة من الحروب ودمار والخراب، كان له أثارسلبية على نفسية كونت، هذا الذي دفعه إلى التأسيس إلى علم جديد أسماه الفيزياء الإجتماعية ، من أجل تنظيم المجتمع على أحسن صورة.

إذ يرى كونت"أن دراسته لتاريخ المعرفة إلى إكتشاف قانون كبير وشامل لتطور المعرفة الإنسانية، مبرر بضرورة لا تتغير ومبرهن عليه، بأدلة عقلية ووقائع تاريخية[2]. من هذا نرى أن كونت نظر إلى المعرفة وتاريخها، من أجل صياغة قانون يحكم الفكري البشري، ويوجه مساره.

كتب كونت في عام 1822 يقول:"**نحن لأن لدينا فيزياء فلكية وفيزياء أرضية وفيزياء آلية أو كيميائية ولدينا فيزياء نباتية وفيزياء حيوانية. ولكنها مازلنا في حاجة إلى فيزياء أخرى، وأخيرة الفيزياء الإجتماعية ليكتمل نظام معرفتها بالطبيعة**"[3].

ومن هنا يقصد كونت تصفيته للعلوم وفي الأخير نجد علم الإجتاع، الذي يدرس الظواهر الإجتماعية، إن هذا الأخير يقوم بالإكتشاف العلاقات الثابتة التي تربط بين الظواهر،إنه يطمح إلى الوصول إلى تأسيس علم وهو علم الفيزياء الإجتماعية،من أجل إكتمال المعرفة العلمية ويقول كونت:"**وأقصد الفيزياء الإجتماعية إنها العلم الذي يدرس**

[1]– بوخناس نورة: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010، ص 53.

[2] – المرجع نفسه، ص 55.

[3] – عبد العطي السيدوآخرون: أسس علم الإجتماع، دار المعرفة، جامعة الإسكندرية، 2005، ص 14.

الظواهر الإجتماعية بطريقة موضوعية بنفس الروح التي ينظر بها إلى ظواهر الفلك، والفيزياء، أو الكيمياء...إلخ أي أنها تخضع للظواهر الإجتماعية لقوانين ثابتة " [1]. يؤكد على موقفه بأنه يهدف إلى علم جديد قائم بذاته مثله مثل العلوم الأخرى له أسس ومبادئ تحكمه.

لقد رأى كونت أن العلم الجديد هو ملك العلوم، فلقد رأى أن الإنسانية تلتمس الفكر الإجتماعي منذ البداية و تطور الفكر الإنساني من التطور اللاهوتي إلى الميتافيزيقي إلى ما سماه كونت بالمرحلة الوضعية حيث بدأ الناس في السعي، وراء القواعد العلمية للحياة الإجتماعية، ليتمكنوا من توجيه مصائرهم على ضوء القوانين المكتشفة، والتحقق منها عن طريق البحث والتجريب [2]. حسب كونت أن الفكر البشري مر بثلاثة مراحل في البداية كان التفسير المعتمد عليه تفسيرا خرافيا، يعتمد على المعرفة المتعلقة بالحواس وبعض الوسائل البسيطة، لكن يتطور العلوم كان لابد من معرفة أخرى تكون أكثر دقة ويقين، من السابقة أي أنه يريد التأسيس لها من خلال علم جديد، وهو علم الفيزياء الإجتماعية. يرى أوغست كونت أن لا يدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة، وما بينها من علاقات أو القوانين التي تفسر هذه العلاقات وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية، وبالتالي فإن الفكر الإنساني يجب أن يسعى إلى معرفة طبائع الأشياء وأسبابها القصوى، وغاياتها النهائية وأن يكتفي بما تقدم له التجربة من معرفة ظواهر الأشياء، والعلاقات بينها والقوانين التي تحدد هذه العلاقات[3].

---

[1]– المرجع نفسه ، ص ص 15 –17.

[2]– نفسه، ص 31.

[3]– شكشك أنس عبدو: فلسفة الحياة، دراسة الفكر والوجود، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 25.

إن كونت يركز على أن الفكر الإنساني لا يدرك إلا ما هو واقعي محسوس، وإن درجة اليقين موجودة في العلوم التجريبية، التي تعتمد على المنهج التجريبي، الذي يعتمد على الملاحظة والتجربة للوصول إلى القانون العام. "إن **الفلسفة الوضعية عند كونت تقوم على مبدأين هما مبدأ الإنقسام من خلال صياغته كما يلي بقدر ما تكثر معارفنا تنزع إلى الإنقسام .أما الثاني هو التوحيد ويمكن صياغته كالآتي بقدر ما تنقسم معارفنا تصبح حاجتنا إلى توحيدها مؤكدة**"[1].

إن هذين المبدأين هما عبارة عن قانون الفكر،يقوده أثناء نموه ويتحكم فيه، من أجل بناء معارف صحيحة. غير أن كونت يؤطر فلسفته داخل النسق الوضعي، الذي يتلو النسق اللاهوتي، والنسق الميتافيزيقي بحيث لاتشغله التصورات الإنسانية إلا من حيث هي تعتني بالواقع. معناه بمجال الظواهر فيجعل هدفها التنسيق بين الظواهر المعاينة حيث أن هدف الفلسفة الوضعية التنسيق بين الوضعية والعلوم عنده.

إن هدف العام للوضعية هو التنسيق بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية إن هدف كونت هو التأسيس لعلم الجديد هو الفيزياء الإجتماعية تشبه العلوم الطبيعية من حيث الدقة واليقين[2].

[1]– الحمدي محرز: الفكر والحياة في فلسفة العلوم، التنوير للطباعة، بيروت، لبنان ط1، 2010 ص 74.

[2]– الحمدي محرز: الفكر والحياة في فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص ص 75 – 76.

المبحث الثالث :تواصلية المعرفة العلمية عند مارسون، برغسون وبرونشفيك

أ- رؤية مارسون:التواصلية الاستمرارية في المعرفة العلمية.

لقد انقسم العلماء إلى طائفتين الأولى ترى أن المعرفة العلمية تتطور عن طريق الإتصال، أي أن المعرفة الأولى التي يكونها الإنسان هي إمتداد لمعارف أخرى، أما أنصار الاتجاه الثاني يرون عكس هذه الرؤية أن المعرفة تتطور عن طريق الإنفصال، ومن دعاة الإستمرارية نجد مارسون وبرونشفيك من هذا نصل إلى طرح السؤال التالي:على أي أساس يبرهن أصحاب الإتجاه الإتصالي، أن المعرفة العامية هي إمتداد للمعرفة العلمية؟

أن المراحل الأولى التي مر بها العلم في تطوره تؤكد أن الإنسان عرف قبل أن يعلم، بمعنى أن الإنسان البدائي حينما التقى بالطبيعة الحسية لأول مرة، واحتك بخشونة الواقع، لم يكن بداهة يطلب علما وإنما إستمرت الحياة على الأرض إلى اللحظة التي نتكلم فيها بل مجرد معرفة تؤمن له حياته وذريته من بعده، هذه المعرفة كانت موجهة بشكل أساسي إلى النتائج العلمية والفائدة المباشرة[1].

يثبت هذا الكلام إن العلم أثناء مساره التاريخي عرف معرفة بدائية منذ وجد الإنسان للمرة الأولى على وجه الكرة الأرضية، إن هذا الأخير لم يكن يعرف التطور الذي عرفه في القرن العشرين، أي أن الإنسان في ذلك الوقت كان يمتلك معرفة عامية بعيدة كل البعد عن المعرفة العلمية، لكن مع تطور الحاجة بدأ يطور تلك الأخيرة حتى أصبح يغزوا العالم بامتلاك معارف فاقت تصور كل الفكر البشري". وإذا كان يقصد بالتراكمية إن يبدأ العالم بحثه العلمي من النقطة التي انتهى عندها العلماء السابقون في نفس المجال، ومن ثمة تكون النتائج التي توصل إليها سابقون، هي بمثابة المقدمات التي يبدأ منها اللاحقون الأمر في مجمله يشبه البناء الذي يعلوا طابقا فوق طابق وكلما إرتفع البنيان طابقا أعلى، إنتقل إليه سكان الطابق الأسفل، فالعلم باستمرار بناء فكري متصاعد لا يكرر نفسه أبدا [2] . يعتقد مايرسون بأن هنالك مبادئ عامة واحدة، نفسية عقلية، هي التي يصدر عنها هذا الفكر في كل ميادين نشاطه ومن البداية . يعتقد مايرسون* بأن هنالك مبادئ عامة واحدة، نفسية عقلية، هي التي يصدر عنها هذا الفكر في كل ميادين نشاطه ومن البداية إذن أن

[1] – بدوي محمد عبد الفتاح: فلسفة العلوم، دار القباء، القاهرة، (د،ط)، 2001، ص 45.

[2]– بدوي محمد عبد الفتاح: فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص ص 97 – 98.

* – مارسون إميل (1859 – 1933) فيلسوف فرنسي الأصل من أصل بوليوني تابع دروسه للكمياء في ألمانيا ثم فرنسا اهتكم منذ 1890 بفلسفة العلوم ووضع حين إذن كتبه التالية: (الهوية والواقع 1980)، ديديه جوليا: قاموس الفلسفة ص 548.

مايرسون يريد أن يكون فيلسوفا للمعرفة بصفة عامة العادية منها والعلمية، ولكنه يرى من جهة أخرى، بأن البحث في هذه الآليات والمبادئ العامة ليمكنه أن يتم بشكل واضح إلا بعد فحص تدقيق لمناهج العلوم وطرق الإستدلال فيها، معناه هنالك هوية بين العمليات العقلية التي يقوم عليها تفكير الحس المشترك وبين تلك التي تصدر عنها المعرفة العلمية، أي هنالك تواصلا وإستمرارية بين مختلف أنواع المعارف من حيث إستنادها في الجوهر إلى نفس الآليات الفكرية والنفسية.[1]. من خلال هذا إن مايرسون يؤكد على المبادئ العامة للمعرف وإعتبرها إثنان هما عقلية ونفسية، التي من خلالها يصدر الفكر نشاطه حيث أكد على وجود هوية ما، بين العمليات العقلية وبين التي تصدر عن كل معرفة علمية، أي تواصلا دائما بين المعرفة العامية والعلمية فلا إنقطاع بينهما، لأنهما يستندان إلى القدرات النفسية الخاصة بالذات والمدركات والقدرات العقلية.

"لقد أكد مايرسون على إستمرارية المعرفة العلمية مستندا على ما قرره في كتابه الذي ينتمي من حيث المنهج المستخدم فيه إلى فلسفة العلوم ويضيف مثال في الفيزياء، ويعتقد بأنه كل المشكلات المتعلقة بالحس المشترك، فإن أفضل طريقة هي تلك التي تتمثل في فحص المناهج التي يتبعها العلم[2].

إن موقف مايرسون هو أن المعرفة العلمية تعرف دائما تواصلا ولا يوجد إنقطاع، بين فترات العلم، لأنه لا يوجد إنطلاقة من العدم، أي أن لكل شيء بداية يبدأ منها، من أجل الوصول إلى الهدف المبتغى. "ويجب دراسة طرق التفكير بكيفية غير مباشرة أي أنها تنطلق من العمليات الفكرية المعرفية التي تقوم عليها المعرفة العلمية ويرى مايرسون بأن إعتماد

---

[1]– محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجيا عند غاستون باشلار، إفريقيا الشر، المغرب، (د،ط)، 2006، ص 26.

[2]– محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجيا عند غاستون باشلار، المرجع السابق، ص ص 27 –28.

هذه الطريقة مشروع، إذ أن الإستدلالات التي يستند إليها العلماء لتكوين العلم تقدم ذاتها بصراحة ووضوح في الأعمال التي ينجزونها ومن ثم يسهل على الفيلسوف المعرفة إذ يجدها جاهزة للإستعمال، أستعمالها الإنشاء تصور نظري عام من خصائص المعرفة العلمية وقيم الفكر العلمي وبالتالي تشغيلها لبناء تصور أعم عن آليات النفسية المعتمدة في المعرفة الحسية المشتركة[1]. إن مايرسون يؤكد على أنه يجب دراسة طرق التفكير من أجل إكتشاف معرفة معينة، فالمعرفة العلمية في نظره تعتمد على مبادئ الفكرية التي هي النفسية والعقلية، ولتوضيح ذلك من خلال مثال مايرسون "يعتبر هذا الأخير الممثل لنظرية فيثاغورس التقليدية حول المثلث القائم الزاوية، المثبتة أن مربع المقام على وتر المثلث يساوي مجموع المربعين على الضلعين الآخرين، مايرسون يجعلنا نشاهد على التوالي التماثلات المثبتة للنظرية، بعدما كان العلم قد رسم الخطوط المستقيمة الإضافية وقع الأجزاء التي تستلزم المماثلة بينهما بوجه الخصوص والإجمال[2].

إن مايرسون يبرهن ويقدم أدلة على إثبات إتصالية المعرفة العلمية، من خلال ما تصوره عن نظرية المثلث لفيثاغورس بأنه متصل الأضلاع ومجموع زواياه180.

قبل النظر في النظرية على مثلث م قائم الزاوية، سنحاول أن نتخيل من جديد، بصورة من الصور، فبتاريخ البرهنة الفيثاغورية ذلك أننا لاحظنا بنفسها في التعليم أن بإمكان هذا قبل لتاريخ أن يقوم على نحو نافع مقام إستقراء فيقول مايرسون: "**جميعنا مقتنعون تمام**

[1]– المرجع نفسه، ص 29.

[2]– باشلار غاستون: العقلانية التطبيقية، تر: بسام الهشام، المؤسسة الجامعية، بيروت، بيروت، لبنان، 1991، ص 162.

الإقتناع مسبقا، حتى قبل أية هندسة، بأن الإنتقال في الحيز لا يستطيع في شيء أن ينال من التماثل، بأن الموضع يكون إزاء هذا التماثل ظرفا لايثيرأي إكراث على الإطلاق"[1] .

إن هذه البرهنة التي يقدمها هذا العالم من خلال الشكل الهندسي، وهو المثلث أن أضلاعه الثلاثة متصلة، إن هنالك أمثلة كثيرة تثبت إتصالية المعرفة، لأن هذه الأخيرة لا تعرف أبدا الإنقطاع مثل أعمال مندل في الوراثة هي بمثابة إنطلاقة لمورغان من خلال ما حققه في علم الوراثة.

إن إميل مايرسون يسمى الوحدانية، عن طريق البحث عن الواقع والمماثل، بواسطة تقنيات بحث وقياس هي دائما أقوى وأدق، على الواقع في مستويات متعددة، إن مايرسون يؤمن مثل اوغست كونت في ثبات مناهج العقل وطرقه وفي الوحدة بين الفكر العلمي والحس مشترك، وبطبيعة الحال فإن كونت العدو الحميم لمايرسون.

إن تواصلية المعرفة العلمية عند مايرسون تظهر من خلال ثبات مناهج العقل وطرقه وإنسجام الوحدة بين الفكر العلمي والحس المشترك.

لقد فحص مايرسون الهندسات اللاإقليدية والفيزياء الكوانطية، لمحاولة منه إستخلاص درس جديد منها بل بحثا عن سند لأطروحة تجد مكانها الطبيعي في تاريخ الفلسفة، تعتبر أن الفكر الإنساني يعمل تبعا لقواعد ثابتة، تقوم على إرجاع الكثرة إلى الوحدة والمتغاير إلى المتماثل[2] .

---

[1] – المصدر نفسه، ص 163.

[2] – كانغيلام جورج: دراسات في تاريخ العلوم وفلسفاتها، تر: بنساس محمد، الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 271.

إن هدف مايرسون هو البحث عن قاعدة داخل العلم الكلاسيكي، تقوده إلى التأسيس إلى علم جديد من أجل البرهنة على أن المعرفة دائما في نمو مستمر ومتواصل. [1]

في الوقت الذي لم تعد فيه العلوم المعاصرة تقر بواقع كذلك الذي يقول به الموقف الطبيعي والذي نعثر عليه في الفلسفات التقليدية، نجد هذه الأخيرة لازالت تحت وطأة الميل إلى مماثلة الواقع بالجوهر، والمعطي الحسي المباشر، إن تماثل الفكر ووحدته في الأنا أفكر أمر واضح متميز في عين الفلسفات التقليدية، إلى حد إن الوعي به كتماثل هو وعي باليقين وبإمكان تأسيس العلم عليه[2].

إن مايرسون يؤكد على إستمرارية المعرفة العلمية وبأنه لا توجد قطيعة إبستيمولوجية بين المعارف السابقة والمعرفة المعاصرة، ويعطى برهانا قاطعا على أن الفكر الإنساني يعمل وفقا لقواعد ثابتة، من خلال إرجاع الكثرة إلى الوحدة، وهذا دليل على إستمرارية نمو الفكر الإنساني وعلاقته بالأشياء الأخرى.

إن هذه الأخير يدافع دوما عن نظرية المطابقة داخل العلم، أي هو يعتبر أن النظريات العلمية المعاصرة هي مستمدة من النظريات الكلاسيكية القديمة، أي أن العلم يعيش التواصل ولا يعرف الإنقطاع في مساره. "دائما نجد الدفاع المستمر عن فرضية في العلم من طرف مايرسون وهي الفرضية التي تنفي كل جدة عن النظريات العلمية المعاصرة وتعتبرها مستمدة من النظريات العلمية السابقة، هكذا نظرته كانت إلى النظرية النسبية، فالعقل في تطور النظريات العلمية إنما يطابق ذاته بإستمرار[3].

---

[1] – سالم يفوت: العقلانية المعاصرة بين الند والحقيقة، دار الطليعة للطباعة بيروت لبنان، ط2، 1989، ص 162.

[2] – المرجع السابق، ص ص 62– 63.

[3] – وقيدي محمد: الابستيمولوجيا، إفريقيا الشرق، المغرب، (د،ط)، ص 154.

إن مايرسون يؤكد على موقفه وهو إن العلم يتطور عن طريق الإتصال لا الإنفصال، فهو يرى بأن النظريات العلمية تطورت من خلال العودة إلى العلم القديم، ومن بين هذه العلوم نجد النظرية النسبية لدى أنشتاين، إن العقل البشري دائما في تجدد مستمر. "وقد دافع مايرسون عن هذا التصور معارضا به النظريات الإنقطاعية في تاريخ العلوم، رغم ما كان يبدوا على التطور العلمي الذي عاصره من جدة في الإكتشافات والنظريات، من جهة وما كان يبدوا في تطور العلم بشكل تظهر فيه الأنساق العلمية التي تتفاعل داخلها المفاهيم في مجموعها ويقوم بداخلها جدل بين البنيات[1].

خلاصة القول إن التصور الذي قدمه مايرسون على أن العلم في مساره التاريخي يتطور بطريقة خطية مستقيمة، لا تعرف الإنعراج ولا الإنقطاع.

نظرية مايرسون حول العلية،وهي ترتكز حول مفهوم المطابقة أو حول الشكل المسبق وتبعد كل جدة أن كل إنتاج يصدر عن الفعل، جديرة حقا بإنتباه، في نظر يباجي لأنها تقدم لنا مثالا عن التصورات المضادة التكوينة لعملية المعرفة[2]. إن نظرية العلية عنده يعتبرها ضد فكرة أن التفكير العلمي قائم لصياغة القوانين، تحكم بين الظواهر بل إن غاية العلم تكمن في تفسير الطريقة التي تحدث بها الظواهر، وهذا لا يكون إلا عن طريق قانون معين، وهدف العلم هو الكشف عن كيفية التي يتم من خلالها حدوث الظواهر في حد ذاتها لأن العلماء عندما يقومون بالبحث ليس هدفهم في ذلك هو وصف الواقع فحسب، وإنما هدفهم أكبر وذلك من خلال التمكن من فهم الطبيعة والواقع من أجل الوصول إلى تفسير تلك الظواهر عن طريق مبدأ العلية. "لقد تميز تحليل برونشفيك بالمتابعة التاريخية للمعرفة العلمية ومفاهيمها، وهو الأمر الذي قاده إلى التصور النسبي لتلك المفاهيم، مثل مفهوم

---

[1]– المرجع نفسه، ص ص 55–56.

[2]– محمد وقيدي: الابستيمولوجيا التكوينية للعلوم، المرجع السابق، ص 130.

الواقع أو العقل أو العلية ذاتها، فليس هنالك حسب ما يوصلنا إليه التحليل الذي يقوم به برونشفيك أي مفهوم علمي يكون على ما هو عليه دفعة واحدة دون علاقة بصيرورة المعرفة العلمية[1]. "إن مايرسون يذهب إلى القول بالاستمرارية على مستويين،هناك في المستوى الأول استمرار من التفكير العامي إلى التفكير العلمي، وهنالك في المستوى الثاني إستمرار بين الفكر العلمي الجديد وبين الفكر العلمي السابق له[2].

لقد أكد على إستمرارية المعرفة العلمية ولا توجد قطيعة إبستيمولوجية، حيث تعتبر المعرفة العامية هي إمتداد للمعرفة العلمية .

ب- الديمومة والإستمرارية في المعرفة العلمية عند برغسون.

إن التأكيد على إستمرارية المعرفة العلمية، ومن بين أنصار هذا الإتجاه نجد الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون*(1859-1941)، الذي يؤكد على ذلك من خلال إستخدامه المنهج الحدسي، ويعتبر أن المعرفة العلمية أثناء مسيرتها التاريخية هي متصلة مع اخرى،لأن الحياة النفسية لدى الإنسان لها جانبين أول متعلق بالشعور، أما الثاني هو لاشعور، وهذا

---

[1]- محمد وقيدي: الابستيمولوجيا التكوينية للعلوم، المرجع السابق، ص 56.

[2]- نفسه، ص 172.

* - هنري برغسون (1859-1941) فيلسوف فرنسي، حصل على جائزة نوبل للأدب عام 1927، ويعتبر من اهم فلاسفة العصر الحديث، من مؤلفاته: محاولة في الوقائع المباشرة للوجدان، المادة والذاكرة، التطور الخلاق،: http ، wikipediaK ory/ wiki

الأخيرة لا يعرف الإنقطاع والتوفق من الإتصال لا الإنفصال؟ "في كتابه المعطيات المباشرة للشعور يؤكد برغسون أن الحياة النفسية هي عبارة عن تيار غير منقطع من الظواهر المتنوعة، أي تقدم متصل من الكيفيات المتداخلة، بخلاف الظواهر المادية التي هي كثرة من الأحداث المتمايزة المتعاقبة[1].

"إن برغسون يؤكد على إستمرارية المعرفة العلمية، من خلال الشعور الذي هو عبارة

عن تيار دائم الجريان لا يعرف الإنقطاع والتوقف، إن الحياة النفسية في نظره هي بمثابة النهر الذي هو دائم التدفق وما دام الإنسان يشعر فهو يفكر، أي أنه على إتصال دائم من خلال شعوره، أي أن المعارف التي يكونها تكون على إتصال دائم بمعارف أخرى. لقد حاول برغسون بذلك "تجاوز التفرقة بين الذات والموضوع بوصفها قطبين متضادين، ولكنه نظر إلى هذا التجاوز نظرة مثالية، مقدما العالم الخارجي للإنسان، حدسه وحريته، بوصفهما بديهيات أساسية في الفلسفة"[2]. إن منهجه الحدسي لا يعني التفرقة بين الذات التي تقوم بإدراك الموضوع والموضوع المستخدم في المعرفة، مثلا هنالك صورة موجودة ويحاول الإنسان معرفتها، إن الصورة هي الموضوع، وذات الإنسانية هي التي تحاول معرفتها، إن هذا لايدفعنا إلى التفرقة بينهما، إنه يركز على الجانب النفسي وهو الشعور الذي يعتبر من الركائز الأساسية داخل الحياة النفسية، من خلال البرهنة على الإستمرارية والتواصل الدائم عن طريق الشعور. "فالعالم حسب برغسون هو بناء من حركات خلاقة مبدعة ومتواصلة تقارب إشكالية الطبيعة وفق حركية الزمان المتصلة وعن طريق إدراك ماهيتها بقوة الحدس الباطني، إذ أن الحدس هو التجربة الميتافيزيقية تكتشف ذواتنا من

---

[1]– أبوعطيات المسعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية،الطباعة،(د.ط)،(د،س)، ص17.

[2] – المرجع نفسه ص ص 18–19.

خلالها وتستجيب دوما لفعل التطور الخلاف في الحياة، وتهيء لنا أفضل السبل لإدراك ماهية الحقيقة المتمثلة أساسا بالشعور والزمان المستمر[1]

من خلال هذا نستنتج أن الشعور تيار دائم الجريان ولا يعرف الإنقطاع، إنه يبرهن على تواصلية التفكير الإنساني بأنه حركة مستمرة. "المنهج الحدسي هو عبارة عن تجربة خلاقة، تكشف الذات، وتعطي دوما إستجابة، من إدراك ماهية الأشياء، ويقول برغسون*في هذا الصدد:"هنالك معنى أساسي،أن تفكر حدسيا هو أن تفكر في".

إن المنهج الحدسي يبرهن على الإستمرارية وعدم انقطاع المعرفة العلمية،في نظر برغسون أن المعرفة متواصلة لا تعرفة التراجع والهدم، بل هي دائما متواصلة مع غيرها من المعارف السابقة عنها.

"إن خواص العالم هي:الإمتداد والتعدد العددي والحتمية والسببية، ويرى الإنسان العادي أن العالم يتكون من أجسام صلبة ذات إمتداد،وأجزائها تتجاوز إلى جوار بعضها البعض، وأن العالم يتميز بخاصية المكان المتجانس وبخاصية الفواصل المحددة التي تفصل بين الأشياء في المكان، كما أن كل الأحداث محددة مسبقا تحت سلطان قوانين لا تتبدل[2].

إنه يرى بأن من الخواص العالم هي الإمتداد والتعدد، وهو خاضع لمبدأ الحتمية أي أن نفس الأسباب تعطي نفس النتائج، فإنه تاريخ العلم إتصالي مع كل المعارف التي سبقته.

"ومن الخصائص الحدس هي على الضد من خصائص العقل والذكاء إن الحدس هو عضو الإنسان المتأمل، بالتالي فإنه ليس في الحياة العملية، موضوع الحدس هو المتحرك، وهو العضو ما هو في الحركة وتطور، إنه الذي يدرك الديمومة[3].إن هذه المقارنة التي

---

[1]–بن شرقي بن مزيان وآخرون، مناهج الند الفلسفي، دار الغرب، وهران، (د،ط)، (د،س)، ص 41.

[2]– عباس فيصل: موسوعة الفلاسفة، المرجع السابق، ص 214.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 215 –217.

يقوم بها برغسون من خلال خصائص العقل والذكاء والحدس، إن هذا الأخير الذي هو عبارة عن عضو رئيسي، وهو بمثابة المنظار الذي من خلاله يتأمل ما هو موجود في الكون، أي أننا نرى ما يوجد داخل الحياة النفسية.

ويقول برغسون:"إن حلولا ثلاثة قد قدمت لتلك المشكلات حتى الآن الثنائية الشائعة المعتادة، المذهب الكانطي، المثالية[1].

إن البرغسونية* تؤكد على أن الحلول التي تم إقتراحها هي بمثابة حلول الخاطئة، إنها لن تصل إلى المعرفة الحقة ومازالت بعيدة كل البعد عن الفعل والعمل. "والمثالية في نظر برغسون تخطيء، لأن الأشياء التي يتكون منها العالم هي صورة حقيقية، وليست كما تدعي المثالية، مجرد عناصر في الوعي، وتخطئ الواعية العادية والنظرية كانت تخطئ وأبعد من الساب حيث يضعان ما يتوصل بين الوعي والواقع الخارجي.[2]

أنه يرى أن المثالية خاطئة عند ما ترى أن الإشياء التي يتكون منها العالم هي عبارة عن حقيقة،هذا ينفي ما دعته بأنه مجرد عناصر تظهر في الوعي، بالإضافة إلى الخطأ الذي وقعت فيه الواقية عندما وضعت الأشياء بين الوعي أي الشعور والواقع المحسوس الملموس إنه تصور خاطئ في نظر برغسون، حيث يرى هذا الأخير أن الحقيقة أن

---

[1]– إ.م بوشنيسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزة القرني، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، الكويت، (د،ط)، 1978، ص 146.

* – البرغسونية مذهب فلسفي معاصر، وضعه بارغسون سنة 1941، تغلبت عليه النزعة الروحية، ويقوم على تطور خلاق، ويعد كردة فعل للنزعة المادية في أواخر القرن الماضي (إبراهيم المذكور: المعجم الفلسفي ، المرجع السابق، ص 32)

[2]– إ.م بوشنيسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، المرجع السابق، ص 148.

شخصيتان ككل هي منبع ومصدر أفعالنا، والقرار الذي تصدره يخلق ويبدع شيئا جديدا لم يكن من قبل،والفعل إنما يخرج عن الذات وعن الذات وحدها[1].

إن مصدر الحقيقة هي الذات وحدها فهي مصدر كل فعل أخلاقي،وإن كل قرار ناتج عنها أي هي المسؤولة الأولى والأخيرة عن ما يصدر من الأشياء ."لقد إتجه برغسون إلى الوقائع السيكولوجية والبيولوجية يفحصها ويحاول النفاذ إليها بضرب من التعاطف فكان من ثم ميلاد الديمومة في لأن نفسه الذي تم فيه فحص هذه الوقائع، وهذا سوف يولد منهج كشف موحد يتطور بتطور فلسفة برغسون، ويكون منحنى للفلسفة بجدارة، وبهذا كانت التجربة الداخلية البسيطة والمباشرة هي الدليل الأول على الوجود والمنهج[2].

من خلال هذا نلاحظ تركيز برغسون على الجانب النفسي للحياة النفسية الشعورية، بالإضافة إلى إهتمامه بالجانب آخر وهو الجانب البيولوجي، حيث حاول هذا الأخير الغوص داخل أعماق النفس من أجل معرفة محتواها من الحدس، من أجل تجاوز التعريف الكلاسيكي للمعرفة وهو يرى بأنه يجب أن نصحح المعرفة من خلال ضبط الحدس، أي ضبط التجربة الشعورية."نقطة الإرتكاز الأولى في البرغسونية هي الولوج إلى الباطن وأول ما تكشف عنه نظرية حدس الديمومة هو الأنا التي تدوم في الزمن، والمقصود دوام يعادل التغيرالصيرورة، صيرورة تدوم وتغير هو جوهر الوجود في ذاته".[3]

إن هدف البرغسونية هو إكتشاف أعماق النفس من خلال المنهج الحدسي،أن عمل الذات هنا يبرز من خلال التعرف على المكبوتات والغرائز الموجودة في النفس من أجل إستخراجها إلى العالم الخارجي إن التغير والصيرورة التي يتحدث عنها برغسون هنا راجعة

---

[1] – المرجع نفسه، ص 149.

[2] – بوخناس نورة: إشكالية القيام في فلسفة برغسون، المرجع السابق، ص 46.

[3] – بوخناس نورة: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، المرجع السابق، ص 117.

إلى أن كل الأشياء الموجودة في الكون تتغير وتتحول، وهذه الفكرة موجودة عند هيرقليطس إنك لا تنزل إلى النهر مرتين، أي أن الشعور هنا لا يعرف إنقطاع.

إننا نجد في كتابه المعطيات المباشرة للشعور حيث يتلخص الحدس وهو شعور منبه للباطن من كل قرابة تربطه بالمكان والزمان التجريبيين، كما أنه يحظى بالذوق للواقع فيميز مواطن الكيف والكم بضرب من التعاطف لايقسم ولا يجزئ.

من خلال هذا نرى أن المبدأ الأساسي داخل فلسفة برغسون هو مصطلح الحدس الذي إعتبره كمنهج لدراسة الجانب النفسي للإنسان.إن الحدس هو عبارة عن شعور غير منقطع وليس مرتبط بالمكان ولا بالزمان،من خلال الإهتمام بالواقع المعاش والإبتعاد كل البعد عن الزمان .ويظهر أن برغسون يعترف بالقمتين المتوازيتين للحدس والعقل في إمكانية المعرفة،فالحدس والعقل يعبران عن إتجاهين متضادين في العمل الشعوري.[1]

إن الحدس والعقل وسيلتين من أجل تكوين معرفة رغم إختلافهما لأن مجال الأول هو فهم الحياة النفسية، بينما الثاني هو ملكة عقلية فطرية موجودة عند الناس عامة، حيث إعتبره ديكارت أعدل قسمة بين البشر."الصيغة النفسية وتعتبر هذه الأخيرة أطروحة سيكولوجية بحثت في الخطاب الشعوري، بالإضافة إلى الصيغة الحيوية التي قدمت إنطولوجيا الذات من أجل نقل الخطاب الشعوري إلى الحياة، ليكتسب الوجود بنية مماثلة لبنية الشعور،أما الصيغة الأخيرة وهي الأخلاقية من خلال المزاوجة بين مبدأين المبدأ السيكولوجي والمبدأ الحيوي[2].

من خلال هذا نستنتج أنه أعتبر الذات كعنصر أساسي داخل العملية الشعورية،لأن هذه الأخير هي التي من خلالها الغوص في أعماق النفس، من أجل معرفة أغوارها.

---

[1] – المرجع نفسه، ص ص 120 – 122.

[2] – بوخناس نورة: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، المرجع السابق، ص ص 147 – 148.

"إن كل شعور عند برغسون هو أستباق للمستقبل، لأن إتجاه الفكر هو أنه يهتم بما هو موجود،ولكنه يهتم في سبيل ما سيوجد في الدرجة الأولى حيث يعتبر الإنتباه هو إنتظار ولكن لا يوجد شعور بدون شيء من الإنتباه إلى الحياة.[1]

إن برغسون على أن الحياة النفسية هي عبارة عن جريان مستمر لا يعرف الإنقطاع، مادام الإنسان يفكر فإنه يؤكد لا ينقطع عن الشعور بما يجري حول من حوادث،إن الفكر هنا دائما على إتصال مستمر بالعالم الخارجي بواسطة ما سيتلقاه عن طريق الحواس،أو القدرات الذهنية. " إن المستقبل موجود دائما فهو يدعون إليه من خلال التقدم في الزمان من أجل العمل"[2]. إن فكرة الزمان مهمة في فلسفة برغسون،حيث يعتبره اللحظة المهمة للشعور، لأن في نظره هنالك علاقة وطيدة بين الزمان والمستقبل لأن هذا الأخير يدفعنا بالتفكير في المستقبل القادم. يقول برغسون :"**إن الوجود الذي نتقنه أكثر من أي وجود آخر هو ريب وجودنا، لأننا نشعر به في داخلنا وبكل شعورنا** ".[3]

لقد ربط برغسون الوجود الإنساني بشعوره،لأن الإنسان عندما يشعر يثبت أنه موجود لكن هذا الشعور يختلف حسب طبيعة الحدث، إما أن يكون الشعور باللذة أو الألم. " إن الحدس البرغسوني هو طريقة عسيرة في التفكير، بل هو جهد شاق يستلزم استعداد عقليا سابقا،ومن هنا فقد حرص برغسون نفسه على أن يؤكد أن حدسه هو الأقرب إلى التفكير منه إلى العاطفة" [4]. إنه مهمة صعبة وشاقة،لأنه يعتمد على القدرات الذهنية والعقلية، لأنه المنهج الحدسي عند برغسون هو بعيد كل البعد عن الميل العاطفي،بل هو إدراك الذات لأحوالها وأفعالها.

---

[1] – مصطفى غالب: برغسون، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط2، 1982، ص 30.

[2] – المرجع نفسه، ص 35.

[3] – مصطفى غالب: برغسون، المرجع السابق، ص 79.

[4] – زكريا ابراهيم: برغسون، دار المعارف للتوزيع، مصر، القاهرة، ط2، 1968، ص 37.

"إن الحياة النفسية في نظر برغسون هو عبارة عن إتصال مستمر، أو الديمومة[*]حية ليس فيها أدنى موضع لعناصر ثابتة تتكر في نفسها مجرى الشعور، وهذه الديمومة التي قادتنا إلى القول إن الحياة الباطنية في صميمها تعدد كيفي لا يمت بأدنى صلة إلى التعدد الكمي"[1].

ج- موقف برونشفيك: الإستمرارية في تاريخ العلوم . "لقد كانت فلسفة ليون برونشفيك*تظهر الرغبة في العودة إلى النظرة الروحية في صورة أخرى، وإلى صورة متميزة بصفة خاصة، فإن مشاهدة التقدم العجيب للعلوم والفنون العلمية التي حولت الظروف كليا، حتى فيما يتعلق بظرف حياتنا الخاصة تنتهي إلى نوع من تقديس العلم والصناعة الذين يرى كثير من الناس أنهما قادران على إشباع جميع حاجات الإنسان.[2]

إن موقف برونشفيك من المعرفة العلمية، هو أنها متصلة ولا يوجد قطيعة إبستمولوجية بين المعرفة العامية والعلمية، مادام هنالك تواصل في التفكير إذ في رأيه إنه تقدم الذي شهدته العلوم والفنون هو نوع من تقديس العلم، والصناعة اللذان هما الركيزة الأساسية لحياة الإنسان. ويرى برونشفيك إن العلم يتطور بإستمرارعن طريق تصحيح الأخطاء وإدراكها من خلال قوله "إن الحتمية العلمية لا تقود أبدا إلى فكرة عالم يكون خاضعا في كليته، القانون كوني وحيد، طبقا لتناغم مسبق يمكننا بخصوصه أن نتخيل أن فكرا أقوى من فكرنا قد تمكن بصورة قبلية من الإحاطة بكل مبادئه وبسط كل نتائجه، إن

---

* – الديمومة: هي الزمان كما هو معطى مباشر في الوجدان على أنه حاضر غير منقسم وهو جوهر التطور الميدع. (إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 86)

[1] – المرجع نفسه، ص 74.

* – برونشفيك ليون: (1869 – 1944) فيلسوف ومؤرخ للفلسفة، عمل كأستاذ في سربون (1909) وتقيم فلسفته في الأحكام (1897) (ديديه جوليا: اموس الفلسفة، المرجع السابق، ص 96)

[2] – بربيه ايميل: اتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر: محمد اسم، دار الطتاب، مصر، 1956، ص 27.

التناغم يتكون ويتفكك ويعيد تكوين نفسه، لأن العلم يعيد النظر في يصحح باستمرار تفاصيل عمله، ولأن الطبيعة بالحتمية ذاتها مدعوة إلى التغيير تحت تأثير السلطة المرتبطة بحقيقة المعرفة"[1].

إن الحتمية عند ليون برونشفيك لا تعطي أي فكرة عن العالم، إن التناغم والتناسق الذي يخضع له هذا العالم يتكون ويتجدد دائما بإستمرار من خلال إعادة تكوين نفسه.حيث كان يرى أن الفكر والطبيعة دائما في تطور مستمر وهما مرتبطان ترابطا، ويوضح ذلك من خلال قوله:"وبما أنه ليس هناك، في المثالية، أي مكان لنظرية الطبيعة في ذاتها، فليس هناك أيضا فيها، أي مكان لنظرية للفكر في ذاته، ينتظر قبل أن يتشكل حدث النظرية الأولى ليوضع عليها، إن الطبيعة والفكر يظهران وهما يتطوران ويتعمقان ويضيء الواحد منهما الآخر في ترابط وثيق متضامنين لتطور وحيد وفريد"[2]. من خلال هذا يرى برونشفيك بأنه لا يوجد مكان لنظرية الطبيعة داخل الفلسفة المثالية، ولا لنظرية الفكر في حد ذاته، من هنا نستنتج أن تطور الفكر والطبيعة كان تطورا ملحوظا حيث يعتبر العلم ضرورة لحياة الأفراد، لأنه بمثابة القاعدة التي ينطلق من خلال[3]."ويرى برونشفيك أن العلم هو المبدأ الصحيح لكل حياة روحية ثم يختم إنتاجه الفلسفي هذه العبارة التي يتمنى فيها الإنسان أن العلم كيف ينقل مجال الحياة الأخلاقية والحياة الدينية الإحساس بالحقيقة الذي يتسم بالحذر والدقة، والذي نما في نفسه سبب تقدم العلم، الذي يعد أثمن وأنذر، نتيجة للحضارة الغربية[4]. لقد كانت رؤية برونشفيك للعلم رؤية كبيرة فاقت كل التصورات حيث

---

[1] – محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجيا عند باشلار، المرجع السابق، ص 173.

[2] – محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجيا عند باشلار، المرجع السابق،ص ص 174 – 175.

[3] – بربيه إيميل: اتجاهات الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص ص 28 –29.

[4] – إ.م بوشنيسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، المرجع السابق، ص 148.

إعتبره الركيزة الأساسية لكل الفلسفات الأخرى وللحياة برمتها، والأمنية التي كان يتمناها بأن الإنسان يستفيد من العلم في مجال الحياة الأخلاقية والدينية، حيث إعتبره أثمن وكنز للحضارة الغربية وأن الفكر دائما في نمو وتطور باستمرار من خلال المراحل التي يمر بها. "كتب برونشفيك عددا من الكتب حول تاريخ العقل الإنساني، وهي تكتشف عن واسع معرفته، وفيها يقدم صورة عامة في خطورتها الرئيسية عن تطور العقل، ويقول برونشفيك إنه يمكن أن نميز في الأساس بين مرحلتين في ذلك التطور هما: مرحلة الطفولة ومرحلة العمر الناضج، أما الأولى فهي عصر الإهتمام بالخارجيات، عصر العلم السمعيات، عصر إنسان العقدة السمعية، أما الثانية فهي عصر الإنسان الذي توصل إلى العلم. إن موفق برونشفيك هذا يبرهن أن المعرفة العلمية تنمو عن طريق إتصالها بمعارف أخرى سبقتها تاريخيا،من خلال هذا يعطي دليل على أن العقل الإنساني يتطور عبر مراحل زمنية متعاقبة، فمرحلة الطفولة، ثم مرحلة النضج التي من خلالها يصبح عقل قادرا على غزو العالم، "ترتكز إشكالية ليون برونشفيك على تصور خاص للفلسفة يفضي بأنها معرفة، أي نظر في المعرفة ونقد لها، لا تأمل ميتافيزقي في الوجود، يصدر عن نشاط عقلي صميمي ينتج المعرفة ويتجلى فيها، ومن شأن هذه الفاعلية العقلية أن تنعكس بالضرورة على نفسها لكي تدرك ذاتها".[1]

لقد كانت الفلسفة في نظر ليون برونشفيك هي عبارة عن نظرية للمعرفة من خلال نقدها، حيث ترتكز هذه الأخيرة على الذي هو دعائم التفكير الفلسفي، من خلاله تتجلى المعرفة عن طريق إدراك الذات لذاتها، ويقول برونشفيك في هذا الصدد"إن النظر الفلسفي، من حيث هو ضرب من المعرفة، لا يمكنه أن يعرض للوجود إلا من حيث هو معروف،إنه يضع مشكلة المعرفة بصورة مطلقة فيحكم بذلك على المعرفة من حيث هي وجود،يكون في

[1] – محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجيا عند باشلار، المرجع السابق، ص 177.

نظرنا مكافئا للعدم". إن مقولة برونشفيك تؤكد أن الفلسفة هي معرفة، إن هذه الأخيرة تتعرض إلى قضايا متنوعة من بينها قضية الوجود من أجل فهمها وإستيعابها. [1]

"إن المعرفة الإنسانية،فيما يقرر برونشفيك هي موضوع الخبرة البشرية لا تكون حقيقة إلا عندما يكون ترابط أساسيا بين العقلانية والموضوعية، أو بين العقل والتجربة،لذلك تكاد تنحصر مهمة الفيلسوف، كما أشرنا قبل، في تتبع الصيرورة المزدوجة للعقلانية و الموضوعية، لا في نقدها مهما اللامتناهي وحسب ولكن أيضا في ترابطها وتكاملها العضوي"[2]. لقد أكد برونشفيك على مشروعه ودافع عنه وحاول أن يوضح بأن المعرفة العلمية تتطور عن طريق الإتصال وكأنها كالبنيان يشد بعضه البعض إن هذا الأخير يرى إتصال العقل بالتجربة، حيث يتطور العقل عبر مراحل تاريخية من خلال الإنفتاح على باقي الثقافات الأخرى ولقد كان موقفه هذا أن المعرفة العلميةلا تعرف القطيعة في مسارها التاريخي، ومن هذا المنطلق والتحليل لتواصلية المعرفة عنده نطرح الأسئلة التالية:ماهو الجديد الذي أضافته ابستيمولوجية إميل مايرسون؟ أو بمعنى أخر كيف نعتبر فلسفة مايرسون التي تعتبر هدفا مستمرا للجدال الباشلاري؟ وما هو البرهان الذي برهن على إستمرارية المعرفة العلمية؟ "إن فلسفة مارسيون كانت قد سجلت مع ذلك تميزا أساسيا داخل الميتافيزيقا الروحية، فهو على عكس كثير من زملائه الفلاسفة،كان يتابع عن كل التحولات العلمية المعاصرة وكان يسجل أفكاره حولها ويدلي بتفسيراته لها في سلسلة من المؤلفات اكتسب في حينها شهرة واسعة. إن مايرسون كان يريد لهذه المتابعة أن تقدم له فقط وثائق وشواهد على صحة أطروحات روحية قررها سلفا كأساسيات لنظام تفكيره " [3]

---

[1] – المرجع نفسه ، ص ص 176 – 178.

[2] – نفسه: ص 181.

[3] – محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجيا عند باشلار، المرجع السابق، ص28

يعتبر المناخ الفكري الذي عاش فيه مايرسون هو عصر التطورات العلمية، في شتى المجالات فهو كان يتابع كل هذه الأحداث التي كانت تجري داخل الساحة العلمية، هذا كله دفعة إلى تسجيل أفكار ونظريات حولها من أجل صياغة نظرة علمية.

إن برونشفيك هنا يتابع تاريخ المعرفة العلمية من خلال صيرورتها التاريخية، فهو يرى بأن المفاهيم العلمية طرأ عليها التغيير و التحول من مرحلة الى أخرى ، ويؤكد على أن تاريخ العلم متصل وليس منفصل، إن المعارف دائما ترجع إلى جذورها التاريخية لتكون كإنطلاقة جديدة لها.

الفصل الثاني

المشروع الفكري لدى باشلار

المبحث الأول: مفهوم القطيعة لدى باشلار

المبحث الثاني: نظرية المعرفة العلمية لدى باشلار

المبحث الثالث: التحليل النفسي ودوره في المعرفة العلمية والعوائق الإبستيمية

المبحث الأول: نظرية المعرفة العلمية لدى باشلار

1- باشلار والمقدمات العلمية لعصره:

سجلت ظهور الهندسات للاإقليدية ثورة في عالم الهندسة وتجاوز مبادئ إقليدس الرياضية والتي سادت أكثر من ألفي عام لم يتطرق إليها واعتبرت مثالا واضحا للوضوح واليقين.

وأول الأرهاصات لظهور هذه النظريات الجديدة ما قام ببه العالم الايطالي جيرو لامو ساكشيرو (1667-1773) والألماني يوهان لامبرت 1728 - 1777 بالإضافة إلى محاولة الرياضي جون بولياي1806-1820 تلاه الألماني كارل جاوس (1777-1855) وعرفت هذه المحاولات بأزمة الأسس في الرياضيات[1].

وأول ظهور لأول نسق هندسي " لا إقليدي" يرجع فيه الفضل إلى عالم الرياضيات الروسي نيكولاي لوباتشفسكي (1796-1852) حيث استطاع أن يبني نسقا هندسيا على مبادئ جديدة فافترض أن السطح مقعر، وبالتالي بإمكان رسم عدد لانهائي من المستقيمات المتوازنة انطلاقا من نقطة خارج مستقيم وأن مجموع زوايا المثلث تكون أقل من مجموع زاويتين قائمتين وفي نفس الفترة وضع الرياضي الألماني بيرنهارد ألمان (1822-1832) نسق هندسي آخر افترض فيه أن السطح الكروي وعليه من نقطة خارج المستقيم لا يمكن رسم أي موازي لأن جميع الخطوط متقاطعة وتكون مجموع زوايا المثلث أكبر من 180 وأن أقرب مسافة بين نقطتين هو الخط المنحني " المحدب " وعلى الرغم من هذه الثورات التي شهدتها الرياضيات كانت سابقة لباشلار إلا أنها ساهمت بشكل جلي في تشكيل فلسفة العلمية"[2].

وفي الفيزياء برزت الثورات العلمية في مطلع القرن العشرين ففي سنة 1900 أعلن ماكس بلانك 1858- 1947 عن فرضية الكوانطية وهي كلمة لاتينية تعني كمية أو وجبة وتنص هذه الفرضية على أن الأجسام تكتسب الطاقة أو تعطيها لاستمرار كسيل متصل به على العموم" وكم الضوء أو الكوانطا بمثابة قطاع ضئيل للغاية من الطاقة إدراكه ليس أسهل من إدراك الذرة يؤلف الوحدة الأولية للضوء كما تؤلف الذرة الوحدة

[1] - حنفي عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2010، ص 259.

[2] - المرجع نفسه، ص 260.

الأولية للمادة، هذه الحقيقة العلمية الجديدة قلبت قوانين فيزياء نيوتن كليا فقد توصل بلانك إلى قناعة عميقة تتمثل بضرورة التخلي عن القانون الذي يعد تبادل المادة والإشعاع يحصل بكيفية متصلة ووصل إلى قناعة بأن هذا التبادل يحصل بصورة منفصلة ومتقطعة ويكون بلانك بهذا الانجاز قد صرف نظرية ماكسوبل الكهروقياسية وفي سنة 1916 صرح نيلزبور بنظريته التي توضح أن نموذج الذرة عند رذفور1871-1937 ينبغي أن يرتبط بكم الطاقة عند بلانك ويكون بور بذلك قد وحد بين الذرة والإشعاع ايدا اينشابن 1879- 1955 نظرية بلانك وطبقها في دراسة التأثير الكهروضوئي فحين تصطدم حزمة ضوئية أو حزمة من الأشعة فوق الاسفنجية مع سطح معدني تنطلق منه الكترونات، وهذا ما يسمى بالظاهرة الكهروضوئية التي تقتضي وجود حبيبات للطاقة وجسيمات للضوء فسر علماء القرن التاسع عشر الضوء على أساس له موجة واستبعدوا التفسير الجسمي فاتشتاين يصر على أن كل كم طاقة حتى بعد أن يخرج من المادة لن يسعى فقط الموجة كما قال ماكسويل بل لابد أن يسلك بصورة ما سلوك الجسم[1].

هذه المستحدثات العلمية مهدت لميلاد الميكانيكا الموجية على يد رائدها الفرنسي لوي دي بردي ففي رسالته للدكتوراه عام 1917 صرح بأن طبيعة الضوء مزدوجة موجية وجسمية وهنا يسجل العقل بداية التفكير المزدوج وقد تم تطور الميكانيكا الموجية على يد المساوي شرودنجد 1787-1961.

فتحت الفيزياء الموجية الباب للعلماء للقول بلا حتمية الظواهر الفيزيائية ولذلك رأوا ضرورة الاستعانة بحساب الاحتمال لفهم هذه الظواهر مما دعا فيريز هيزنبرغ 1901-1976 ليقول بفكرة الحتمية أو اللاحتمية وهو مبدأ يضع في اعتباره أجهزة القياس والتقنيات في الظواهر المتناهية الصغر وينص هذا المبدأ على استحالة التحديد الدقيق لموضع الالكترون ولسرعته في آن واحد يضاف إلى انجاز نظرية النسبية الخاضعة ثابتة

[1] – عثمان عي: بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار، رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008، ص 27.

نظرية النسبية العامة 1916التي تعالج الأجسام أو المجموعات التي تتحرك بالنسبة إلى بعضها البعض بسرعة متزايدة أو متناقصة[1].

لقد استفاد باشلار الكثير من هذه الانجازات العلمية ففي سنة 1989 صدر كتابه " القيمة الاستقرائية للنظرية النسبية " حاول فيه إبراز القيم الاستمولوحية الجديدة التي أفرزتها الفيزياء المعاصرة.

إن أهم ميزة في الفلسفة المعاصرة هي طغيان النزعة التجريبية وتقليص نفوذ المتالية المحضة حيث تماشت التجريبية مع النظريات الحاصلة في العلم التجريبي في الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وحتى في العلوم الانسانية التي حاولت تقليد خطى العلوم الطبيعية وتطبيق هذه العلوم الرياضيات في دراسة الواقع ومن أبرز رواد الفلسفة التجريبية جون لوك فرانس سيكون دافيد هيوم ...الخ وصولا إلى جون ستيورات سيل وهي نزعة معادية للتيار الميتافيزيقي والتي حاولت استبدال الفلسفة بالمنهج العلمي القائم على أساس الملاحظة والتجربة قصد الكشف عن العلاقات بين الظواهر دون الاهتمام بالبحث في الغايات وطبائع الأشياء يقول رائد هذه النزعة فرانس سيكون ينبغي إلا نعزوا إليه فيمة حقيقية إلا للمعرفة العملية القائمة على الاستقراء التجريب العلم قوة ينبغي إبعاد البحث عن الغايات خارج النطاق العلمي[2].

إذن التجربة الانجليزية نظرت إلى المعرفة كمعطى مستمد من التجربة النسبية وكلن شعارهم " لا شيء في العقل لم يكن خارج الحواس([3]).

وفي فرنسا ساد تيار النقد العلمي أو التيار الوضعي الذي يرجع لمؤسسه أو غست كونت 1798- 1857

ففي كتابه محاضرات في الفلسفة الوضعية الصادر عام 1842 جاول فيه تحديد معنى العلم يختلف عن المعنى الشائع في عصره وهو المعرفة المنظمة المتعلقة بموضوع واحد فكلمة" علم لا تطلق إلا على المعرفة التي تكتفي باكتشاف العلاقات الظاهرة بين الظواهر وهذه المعرفة لا تكون ممكنة إلا في المرحلة الأخيرة من التطور الذي يمر

[1] – يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2000، ص 116.

[2] – حنفي عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، المرجع السابق، ص 260.

[3] – سالم يفوت: عبد ابن عبد العلي، درس ابستيمولوجيا، دار توبقال، دار البيضاء، المغرب، ط2، 1988، ص 188.

العقل البشري كما اهتم كونت بمعالجة علاقة الفلسفة بالعلم إذا رأى أن الفلسفة إذا أرادت البقاء الابتعاد عن التأملات الميتافيزيقية وحدد لها وظيفة جديدة تتمثل في دراسة تطور العلوم ومناهجها ونتاجها للوقوف على الأسس المشتركة بين مختلف هذه العلوم الجزئية فوظيفة الفيلسوف التأملي سابقا كانت مبرر لعدم وجود تخصص أما في الحالة الوضعية فعلى فيلسوف أن يجمع شتات هذه العلوم وفق منهج واحد وهو المنهج الوصفي فالفيلسوف الوضعي يعتبره كونت من فئة العلوم إلا أن ما يميزه عنهم كونه لا يبحث في تفصيلات العلوم الجزئية وإنما دوره يتمثل في دراسة عموم العلوم ولذا يشترط كونت على الفيلسوف الوضعي أن يكون مكونا تكوينا علميا كما ينصح العلماء المتخصصين بالاستفادة من دراسات هؤلاء ليتمكنوا من تصحيح نتائجهم الجزئية وبالتالي تنموا المعرفة الانسانية نموا عظيما تتخلص من الجانب السلبي الذي قد تترتب عنه تقسيم العلوم .

في مطلع القرن 20 حاول التيار الوضعي حصر الحتمية العلمية في نطاقها الأبستمولوجي ليحمل بذلك حريته وأرادته وتنقسم الوضعية إلى الوضعية الروحية التي جمعت بين فلسفة كانط الأخلاقية وفلسفة مين دي بيران 1777– 1864 ومثل هذا التيار جون لاشييه 1832–1918 ففي رسالته الدكتوراه في " أساس الاستقراء" صرح بأن التجربة لا تكتفي من تحديد الأسباب الفاعلة للظواهر الخاضعة للحتمية إذا لا بد من إضافة العلل الغائبة التي هي مجال حرية الانسان أميل بوتروا 1845– 1921 الذي قال بأن قوانين العلم هي مجرد كيانات معدنية لا بستمولوجية ولا شأن لها بالابطولوجيا " ومبحث الوجود" أو بالوجود الواقعي أما الفرع الثاني تمثله الوضعية النقدية ومن روادها أوغست كونت[1].

المبحث الأول: مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية لدي باشلار

[1] – يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 190.

إن توجه الفكر الباشلاري الذي عرف به من خلال ابستيمولوجايته لم يأتي من فراغ أو عدم بل هناك مؤهلات وعوامل ساعدته على هذا الطرح وقد كانت بمثابة التربة الخصبة التي زرع فيها باشلار بذور أفكاره التي ساعدته على بناء مشروعه الفكري وفلسفته. عن ما هو مؤكد في القرن العشرين شهد تطورا جذريا مغارا في مجال العلم ما جعله أكثر فعالية وتوسع نحو التقدم والرقي، رغبة للوصول إلى كشف الحقيقة وبلوغ أقساها، خاصة عندما توجهت الفلسفة نحو العلم ومحاورتها له وخروجها ونجد أنها لامست مجالات العلم بما فيها الرياضيات والفيزياء ابتداء من هندسة إقليدس واكتشافات هندسات اخرى مع رمان ولوباتشفسكي التي نتج عنها بما يعرف بأزمة التوازي بالإضافة إلى نظرية المجموعات هي الأخرى في الرياضيات والتي حطمت فكرة البداهة والوضوح والتي تعتبر اهم فكرة في العقل الإنساني والبشري التي يؤمن بها، كذلك نظرية كوانتوم في مجال الفيزياء أما النظرية النسبية التي جاءت تصحيحا لفيزياء نيوتن وأفكاره المسلم بها آنذاك بما فيها مبدأ الحتمية التي تم التشكيل في مصداقيته وإعادة النظر فيه. كل هذا ساعد على ظهور الفكر والطرح الباشلاري ويستفيد هو الآخر من طريقة مباشرة او بأخرى ولا ننسى أن هذه التحولات والتغيرات التي شهدها العلم سواء في الرياضيات أو الفيزياء من فترة إلى أخرى كانت سببا وتأكيدا أيضا في تنبيه لفكرة القطيعة وإحداث الانفصالية على مستوى العلم([1])، وأما عن الفلاسفة الين عاصروا باشلار واستفادوا منه قد وجد معهم اتفاقا وتطابقا ليقوي أفكاره ويرسخها وتلقى قبولا ليرتقي بذلك إلى مستوى الموضوعية ومن بينهم توماس كون الذي توافق معه في فكرة القطيعة ونجد ايضا برونشفيك وكارل بوبر وغيرهم من الوضعية المنطقية واتفقوا معه في النقاط التالية: محاورة الفلسفة للعلم، تحور التجربة مع العقل، المعرفة لا تعرف الثبات

فهذه النقاط تعتبر جوهر ولب فلسفة باشلار. وهو ما يؤيده ويتفق معه في حين نجد تيار آخر يتعارض معه وينقده([2]).

لقد كان الإنسان القديم يفسر الظواهر انطلاقا من معرفة عامية لديه قد اكتسبها عبر مر الزمن مثل تفسير ظاهرة الفيضان والعواصف ولكن مع تطور العلوم وازدهارها

[1] – حنفي عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط3، 2010.

[2] – يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالن المعرفة، الكويت، ط1، 2000.

خرجت بعض الظواهر عن نطاقه فكان لابد له من تكوين معرفة علمية تساعده على ذلك من أجل تجاوز التفسير الخرافي فلهذا كان لابد من قطيعة ابستيمولوجية تفصل بين هذه المعارف ومن أنصار القطيعة الفيلسوف الابستيمولوجي غاستون باشلار الذي نادى بالقطيعة الابستيمولوجية بين المعرفة العامية والعلمية.

"هكذا فقد لاحظ الأستاذ سالم يفوت في مقال له عن كتاب فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار بأنني توقفت عند معنى واحد لقطيعة الابستيمولوجية هو الذي يكون فيه احتواء الجديد للقديم ولم أتعرض لهذه القطيعة عندما تعني قطع الصلة بما هو قديم وبعبارة أخرى فقد كانت ملاحظة الأستاذ سالم يفوت تهد ف إلى إبراز الكيفية التي أستطيع الخروج من التباس المعنى الباشلاري للقطيعة الابستيمولوجية ومن تجاوزه"[1] من خلال موقف الأستاذ سالم يفوت يبرز لنا مايلي:

– أن هذا الأخير توقف عن معنى القطيعة الابستيمولوجية عند باشلار التي كانت تعني فصل المعرفة العامية عن المعرفة العلمية، لكن الدكتور سالم يفوت يرفض هذا الذي جاء به باشلار فهو يرى أن هذه الأخيرة ماهي إلا احتواء الفكر الجديد للقديم.

– إن باشلار لا يقبل أي مبدأ عقلي ولا أية فكرة مشبهة ولكنه مع ذلك يعتقد أن العقل قادر على أن يقوم انطلاقا من التجربة بصياغة منظمة للمعرفة يتحقق فيها الانسجام تدريجيا بفضل التقدم العلمي والمراجعة الدائمة التي يفترضها العلم على العلماء فالعلم يغذي العقل وعلى هذا الأخير أن يخضع للعلم الذي يتطور باستمرار[2].

– إن هذا يبين أن باشلار لا يقبل أية فكرة على أنها يقينة بل هو يرى بأن العقل قادر على ضياغة منظومة للمعرفة العلمية يتحقق من خلالها التكامل وأن يكون هذا الأخير خاضعا للعلم الذي يتطور باستمرار من خلال منهجه وموضوعه من أجل بلوغ اليقين في المعرفة العلمية.

إن العلم هو بحاجة ماسة إلى إعادة مراجعة القوانين والأسس التي يقوم عليها من أجل بناء نسق معرفي جديد.

---

[1] – محمد وقيدي: جرأة الموقف الفلسفي ، إفريقا الشرق، بيروت، لبنان، (د،ط)،1999، ص 62.

[2] – الجابري محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي ، المرجع السابق، ص 36.

إن هذا يوضح أن تطور العلم يكون من خلال إعادة صياغة المفاهيم والنظريات وقطع الصلة مع كل ما هو قديم لأن هذا الأخير في نظر باشلار يعيق الفكر ويمنعه من التطور.

ومن خلال هذا كله يقول غاستون باشلار: إن تاريخ العلم هو أخطاء العلم وبعبارة أخرى: "إن تاريخ العلم ليس تاريخا للحقيقة بل هو تاريخ ما ليس العلم إياه وما لا يريد العلم أن يكونه وما يعارضه العلم تاريخ العلم هو تاريخ اللا علم"[1].

إن هذه المقولة تبين أن تاريخ العلم ماهو سوى تصحيح الأخطاء التي وقع فيها العلماء وإعادة بناء نظريات جديدة تتلائم مع التطورات العلمية المعاصرة إن هدف العلم هو إعادة صياغة المفاهيم بأسلوب جديد يجعل الفكر ينفتح على العالم الخارجي".

فهو يرى أن المعرفة العلمية تكون من خلال تجاوز العوائق الابستيمولوجية إلا أن هذا التجاوز يتخذ في تفكير باشلار طابع الانفصال التام بين العلم كعلم وبين كل مسبقات الفكر الطبيعية ويتقدم هذا الانفصال على أنه الحد الفاصل بين نوعين من المعرفة، المعرفة العامة المشتركة والمعرفة العلمية انفصال يعتبره باشلار بمثابة مصادرة أساسية بالنسبة للتفكير الابستيمولوجي[2].

يؤكد باشلار على أنه يجب تجاوز العوائق الابستيمولوجية من أجل بناء معرفة علمية مبنية على أسس متينة وهو يدعوا إلى وضع حد فاصل بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية لأن هذه الأخيرة هي بمثابة العائق الذي يعرقل تطور المعرفة العلمية.

ويقول غاستون باشلار: "**انفصالات دائمة متجددة بين المعرفة المشتركة والمعرفة العلمية وذلك بمجرد ما تنظر إلى علم متطور علم يحمل بفعل هذه الانفصالات ذاتها علامة الحداثة**"[3].

ومن هذه المقولة نستنتج أنه دائما هنالك انفصال بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية وهذا الانفصال في نظر باشلار هو نوع من الحداثة التي تعني التجديد والتطور في جميع الميادين.

---

[1] – الجابري محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة، وتطور الفكر العلمي، المرجع السابق، ص 43.

[2] – محمد هشام، تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية عند باشلار، المرجع السابق ص 215.

[3] – المرجع نفسه، ص 216.

ويقول غاستون باشلار: "**قل لي كيف يكون البحث عنك أقل لك من أنت**"[1].

إن هذا يبين بأنه لا توجد استمرارية في تاريخ المعرفة العلمية، وأن هذه الأخيرة تتطور وتتقدم من خلال الانفصال، لأن تاريخ العلم ما هو إلا عبارة في ثورات وأزمات وتصدعات، داخل بنية العلم لهذا يجب على الفكر العلمي الجديد تجاوزها عن طريق إحداث القطيعة الابستيمولوجية.

من هنا نطرح السؤال التالي: كيف اعتبر غاستون باشلار الاستمرارية في المعرفة العلمية بأنها مثل المخادع الذي يخدع الناس ويظلهم وهذا السؤال يدفعنا إلى الفهم أن المعرفة العلمية لا تتطور إلا عن طريق الانفصال والقطيعة ووضع حد فاصل بين المعارف السابقة.

"حيث يرى باشلار أن الروح العلمية لا تتقدم إلا إذا اكتشفت باستمرار مناهج جديدة، بل أن التصورات العلمية ذاتها تفتقد عموميتها مع الزمن"[2].

إنه يؤكد أن العلم لا يتطور إلا من خلال اكتشاف مناهج جديدة وتصحيح الأخطاء التي وقع فيها العلماء، لأن العلم المعاصر هو بحاجة إلى تغيير أسسه ومبادئه، التي يقوم عليها من أجل مواكبة التطورات الراهنة.

إن المنهج الديكارتي ليس كافيا من أجل فهم واستيعاب الظواهر من أجل تفسيرها، إنه في نظر باشلار يعرقل تطور المعرفة العلمية، لأنه يعتمد على تفسير الظاهرة من خلال إرجاعها إلى أصلها وهذا غير كافي لتحقيق الموضوعية العلمية داخل المعرفة العلمية.

ويقول باشلار: "في هذا الصدد أن المنهج الديكارتي الذي ينجح يتفوق في تفسيره للعالم لا ينجح في تعقيد التجربة، لذا فهو يفقد الوظيفة الحقيقية للبحث الموضوعي"[3].

لقد حاول ديكارت من خلال كتابه مقال في المنهج أن يؤسس لمعرفة علمية موضوعية تقوم بتفسير الظواهر واستيعابها، من خلال العقل الذي اعتبره الركيزة الأساسية

---

[1] – جعفر عبد الوهاب، أضواء على اللفلسفة الديكارتية، دار الفتح، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1990، ص 152.

[2] – المرجع نفسه، ص 149.

[3] – جعفر عبد الوهاب، أضواء على الفلسفة الديكارتية المرجع .السابق، ص 58.

للمعرفة، حيث تعتبر هذه المعرفة في نظر باشلار بأنها قاصرة على تحقيق الموضوعية داخل المعرفة العلمية.

إنه يؤكد على الثورات العلمية التي شهدها القرن العشرين التي أثبتت أن هنالك قطائع ابستمولوجية بين كل فترة وأخرى، بدليل أن العلم المعاصر ينفي ويقطع كل صلة مع العلم الكلاسيكي، وهذه الثورات كانت تخص الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا يعني العلوم الدقيقة التي إنفصلت عنها العلوم الأخرى.

"إن المرحلة المعاصرة فهي بالتحديد تستنفذ القطع بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية بين التجربة العامية والتجربة العلمية من وجهة نظر المادية مثلا يمكن أن يعين عهد هذه المرحلة الرابعة بالوقت الذي فيه باتت المادة تتحدد بميزاتها الكهربائية أو بالأصح بميزاتها الكهربائية إنها ميزات سنقيمها على نحو أفضل"[1].

إن العلم المعاصر أثبت بكل صراحة موقفه من المعرفة العامية، بأن لا وجود لها في أي مكان في عصر الذي هيمنت عليه التقنية الحديثة، حيث قضت هذه الأخيرة على كل تفسير خرافي ميتافيزيقي وأصبح العلم المعاصر يعتمد على اليقين المطلق في نتائجه.

إن موقف باشلار هو قطع الصلة مع المعارف العامية، ويقدم أدلة تثبت أن العلم في مرحلة من المراحل تتخلى على كل معرفة سابقة، وأصبح يبحث في الأسس والمبادئ التي يمكن من خلالها إنتاج معرفة جديدة. "ومن بين الأمثلة التي يقدمها هي طالما كان المقصود بالنسبية إلى العقل الوضعاني تحديد الوزن الذري، كانت تقنية الميزان الشديدة الدقة ولا ريب تكفي، لكن حيث صارت النظائر في القرن العشرين تفرز وتوزن، باتت تلزم تقنية غير مباشرة فمعطيات معامل الكثافة الذي لا غنى عنه من أجل هذه التقنية قائم على أساس فعل المجالات الكهربائية والمغناطيسية فعلم لا فوازيه الذي هو أساس وضعانية الميزان هو أيضا على صلة مستمرة بالجوانب المباشرة من التجربة العادية"[2].

هذه الأمثلة التي يبرهن من خلالها غاستون باشلار على أن هنالك قطيعة ابستيمولوجية بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية، حيث كان يرى أصحاب المذهب الوضعي بأنه يمكن تحديد وزن الذرة، بإضافة إلى تقنية الميزان، التي كانت عندهم نتائج

---

[1] –باشلارغاستون:العقلانية التطبيقية،المصدر السابق،ص188.

[2] – باشلار غاستون:العقلانية،المصدر السابق،ص 188.

يقينة وثابتة ومع التطورات العلمية التي شهدها العلم في القرن العشرين، أصبح معامل الكثافة يعتمد على أساس المجالات المغناطيسية الكهربائية، وهو يدعوا إلى وضع تمييز واضح بين المعرفتين.

أن نقترح تمييزا دقيقا جدا للفصل بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية غير أن ضروري هو أن التلوينات حاسمة فلسفيا، فليس المقصود أقل من أولوية التفكير ولا أقل من إعداد الماهية الظواهر المكونة تقنيا[1].

إنه فصل واضح يتكرر من خلال كل كتاباته يجب وضع قطيعة ابستيمولوجية بين المعرفتين، من أجل بناء فكر علمي جديد.

"إن التقنية التي ابتكرت الحبابة الكهربائية ذات المسلك المتوهج بمثابة قطع حقيقي مع جميع التقنيات الإنارة دارجة الاستعمال لدى الإنسانية جمعاء في القرن التاسع عشر، في جميع التنيات الديمة كانت الغنارة تقتضي إحراق المادة ،أما الحبابة اديسون فقوام الفن التقني الحؤول دون أن تحترق أية مادة فالتنية القديمة ، كهي تقنية احراق والتقنية الجديدة هي تقنية لا إحترافية[2] ".

إن القطيعة تظهر من خلال الإنارة التي كانت تستخدم في القديم وفي العصر الجديد أو المعاصر إنه اختلاف شاسع يثبت أن هنالك قطائع ابستيمولوجية بين كل مرحلة من مراحل الفكر، بدليل أن المصباح العادي لا يشبه المصباح الكهربائي.

"فالرؤية والقصد والمراجعة هي مقامات ثلاث للفصل المعرفي لكن المراجعة وحدها بإمكانها أن تؤسس عقلانية علمية بفعل هذه المراجعة هذا القصد المكرر يتلقى كل قصد معناه التقني بل محوره التقني ليست اصطناعية هذا القصد المراجع هذا القصد المضبوط تقنيا، مما يفوض قيمته بل أنها بالعكس ترجع إلى طرح قيمة عقلية على التجربة الجيدة التعين"[3] إن التطور العلمي في نظر باشلار يكون من خلال المراجعة والرؤية والقصد في المعرفة العلمية أي أن العلماء هنا يقومون بهذه الأعمال من أجل تكوين معرفة إن العلم عند باشلار هو مجموعة من القوانين والبراهين والنظريات التي يجب إعادة النظر فيها

---

[1] – المصدر نفسه،ص189.

[2] – باشلار غاستون : فلسفة الرفض/ المصدر السابق، ص 10.

[3] – باشلار غاستون: العقلانية التطبيقية، المصدر السابق، ص 223.

من أجل تكوين معرفة علمية موضوعية، وهو بحاجة ماسة إلى ما يسمى بالقطيعة الابستيمولوجية بهدف مراجعة المعارف التي تم بناءها.

"إن العلم الطبيعي المعاصر هو بناء عقلاني إنه يزيل اللامعقولية من مواد بناءه ولابد أن تحمي الظاهرة المتحققة في مواجهة كل اضطرابات لا عقلاني"[1].

أساس العلم المعاصر هو الاعتماد على المعقول في بناء النظرية، إنه يبتعد عن الخرافي والميتافيزيقي في بناء المفاهيم. بل ينطلق من الواقع بأدوات ملموسة تتفق مع منهجه في الدراسة.

إنه هنا يضع مقارنة بين التصور الخاص بالعالم والفيلسوف، إن الأول ينطلق من العقل بينما الثاني يكون العقل عنده متكونا ومزودا بمعارف بهدف فهم الوجود.

لقد وعى باشلار بادئ ذي البدء القطعيات الابستيمولوجية بعد ذلك صاغ المفاهيم الفلسفية القادرة على التعبير عنها وقد أدت به هذه الصياغة إلى اقتراح تصور للعلاقات بين العلم وتاريخ العلم بشكل هو الآخر قطيعة أنه تصور لا وضعي يقوم التصور الوضعي على قانون الحالات الثلاث وهو قانون للتقدم أي حسب أوغست كونت للتطور المتواصل الذي تكون نهايته في البداية، إن فلسفة باشلار تقوم على معيار للتصحيح يعبر عنه بثلاث قوانين للحالات الثلاث لكن لا انغلاق للحالة الثالثة على الأولى ولا جهل لواقع أننا لا نرجع في العلم أبدا إلى سلب في الواقع عندما يكون هذا السلب قد ترجم إلى تشويه المفاهيم الأولية يدعمه نمط جديد من الحساب[2].

إن غاستون باشلار قبل أن يبحث عن معنى القطيعة الابستيمولوجية بحث عن القطائع الابستيمولوجية من أجل صياغة المفاهيم الفلسفية الخاصة بها القادرة على التعبير عنها من خلال هذا أدرك العلاقة الموجودة بين العلم وتاريخ العلم وأن هذا الأخيرة في نظره يمثل قطيعة الابستيمولوجية.

"لقد اعتبر أحد الابستيمولوجين ميشال سير الرسم بصورة جيدة الدور الحاسم الذي تعطيه ابستيمولوجية باشلار لتاريخ العلوم يقول: "إن علما وصل إلى نضجه وهو علم أتم القطيعة بين الحالتين القديمة وحالته الراهنة وعندما يسمى تاريخ العلوم هكذا، فإنه قد

---

[1] – باشلار غاستون: فلسفة الرفض ، المصدر السابق، ص 10.

[2] – كانغيلام جورج، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، المرجع السابق، ص 280.

يستطيع حينئذ أن يقتصر على استكشاف البعد الذي يفصله عن هذه النقطة المحددة للقطيعة الابستيمولوجية... سيتعلق الأمر بعلم الآثار"[1]

إن هذا يوضح إلى أن ميشال يتفق مع باشلار حول مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية التي تعني الفصل بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية وأن هذه النظرية التي جاء بها باشلار تمثل مرحلة النضج والتطور الذي بلغه العلم من خلال قطع الصلة بينه وبين الفكر قبل العلمي.

لقد اعترف باشلار بتقدم الواقع من خلال إحداث ما يسمى بالقطيعة الابستيمولوجية بينه وبين الموضوعات التي كانت تدرس في الجامعة الفرنسية"[2].

إن رحم فكر باشلار هو علم القرن العشرين أي العقل العلمي الجديد فكتبه الاثنا عشر عن العالم الحديث تفحص تأثيره أي العلم والفلسفة مبنية كيف أن العلم قد قوض نظرياته المعرفية المألوفة لأنه لا للعقلانية. ولا المثالية ولا الواقعية ولا المادية تعد فلسفات ملائمة لعلم القرن العشرين بعد[3].

إن النقد الذي وجهه باشلار للمذاهب الفلسفية يدل على إحداث القطيعة الابستيمولوجية بين العلم الكلاسيكي والعلم المعاصر، أنه يرفض فكرة الاتصال والبناء إن مبدأه هو الهدم والانفصال من أجل بناء فكر علمي جديد.

"فالعام 1905 شهد قطيعة ليس فقط مع كل علم سابق ولكن مع كل فلسفة سابقة أيضا فمفهوم باشلار عن القطيعة الابستيمولوجية، الذي يعد على الأرجح أفضل شيء معروف والأوسع اقتباسا من عمله على نحو ما تردد أصداؤه من الباحثين في أن يروا أن هذه القطيعة الإبستيمولوجية تجلب النزعة الإنسانية من مجرى نزعة إنسانية التي بدورها تنفصل عن النزعة الإنسانية التقليدية وأهم من ذلك أن الأساس العقلي للعلم الحديث قد أحدث قطيعة مع العقل[4].

الدعوة إلى إحداث قطيعة مع كل العلوم التي سبقته أو التي عاصرها إن هذه الأخيرة هي التي تجعل الفكر يتطور من خلال الانفتاح على الآخر والتواصل معه من

---

[1] – المرجع نفسه ، ص ص 280–281.

2 – نفسه، ص ص 280–281.

[3] – باشلار غاستون، جماليات الصورة المصدر السابق، ص 127.

[4] – باشلار غاستون، جماليات الصورة ، المصدر السابق، ص 138.

أجل تحقيق الموضوعية العلمية داخل المعرفة العلمية. "إنه يؤكد أن العلم الحديث تأسس من خلال علوه عن الذات العارفة واهتم بالموضوع المدرك الذي يعتبر الركيزة الأساسية في عملية المعرفة من خلال هذا يرتبط الفكر بالتجربة عن طريق مبدأ التحقيق". لقد ترجم باشلار الانفصال والانقطاع في الزمان في سياق الفلسفة العلم عنده إلى فكرة القطيعة الإبستيمولوجية التي تجسد نظرية باشلار الثورة الفلسفية الجذرية فقد رفض باشلار الرأي التراكمي الذي يؤكد على استمرارية المعرفة العلمية كما لدى بيردوهيم وكارل بيروسون وجورج سارتون ولعل أبرزهم ارنست ماخ (1838– 1916) الذي شن حربه على نظرتي الكم والنسبية مما يوضح إلى أي حد وفق تفكيره عند العلم الكلاسيكي وعجز عن تجاوزها مما دفع باشلار أن يعرب أسفه لأن القرن الثامن عشر لا يزال يحيا فينا[1].

إن القطيعة حسب رأي باشلار هي قطع الصلة بالماضي معناه يجب شق طريق جديد من أجل بناء معرفة علمية جديدة وهذا لا يعني التنكر للماضي فالتقدم العلمي عنده هو ذلك الإبداع الخلاق من خلال الانفصال عن الماضي من أجل بناء نظريات علمية جديدة أي رفضه رفضا مطلقا للفكر القديم بل يجب هذا الفكر القديم أن يكون محتوى في الفكر الجديد.

"إن مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية يستند إلى التاريخ التراجعي وهو المفهوم عبارة عن مفهوم على أساسه يقيم ويعيد النظر في المعارف العلمية القديمة من أجل المراجعة ولتصحيح الأخطاء فنلاحظ أن مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية يمتد ليشمل قطع الصلة بين المعرفة العلمية والمعرفة المألوفة فالتقدم يظهر دائما قطيعة بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية ويجب على هذه الأخيرة أن تبتعد وتنفصل عن الثانية التي هي عبارة عن وهم أولي مشترك ولهذا يجب الفصل بينهما وإبعادهما عن بعضهما البعض من أجل أن يتقدم العلم ويسير في خط مستقيم من أجل تكوين معارف جديدة"[2].

إن القطيعة الإبستيمولوجية لدى باشلار هي رفض فكرة الاتصال التي كان أصحاب الاتجاه الاتصالي يؤكدون عليها، ويرون أن المعرفة العلمية تتطور عن طريق الاتصال، أي هنالك ترابط بين المعارف والمقصود هنا الربط بين المعرفة العلمية والمعرفة

---

[1] . المصدر نفسه، ص 107.

[2] باشلار غاستون، جماليات الصورة، المصدر السابق،ص 110

العلمية لكن رأيه مخالف لهم فهو يدعوا إلى لا تواصل والقطيعة من أجل تكوين فكر علمي جديد.

إن المهام الأساسية للإبستمولوجيا حسب باشلار هي إعادة النظر في المفاهيم التي كان العلم الكلاسيكي يقوم عليها وتصحيحها ومراجعتها من أجل تجاوزها بالإضافة إلى فكر علمي يتجاوز الفكر القديم ويؤسس لمعارف تتناسب مع بنيته.

"نعتقد إذن أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الثورات العلمية المعاصرة نستطيع أن نتحدث على غرار فلسفة كونت عن مرحلة رابعة، بحيث نوافق المراحل الثلاث الأولى العصور القديمة الوسطى والحديثة أما هاته المرحلة الرابعة تتبلور القطيعة بين التجربة العادية والتقنية العلمية" [1].

موقف باشلار هنا رفض المعارف السابقة، وكل المراحل التي مر بها العلم واعتبار أن القطيعة الإبستيمولوجية كنظرية جديدة تبرهن على وجود معرفة علمية جديدة قائمة على نقد لكل التيارات الفلسفة القديمة. إن التفكير العلمي هو تفكير مؤسس على أسس ومبادئ علمية، يختلف عن التفكير العام ويبتعد كل البعد عنه، إن باشلار يحارب المعرفة العامية ويعتبرها معارف ساذجة وهي بمثابة العقبة الإبستيمولوجية التي تعيق الفكر.

"إن باشلار كان يتحدث عن نوعين من القطيعة لا عن قطيعة واحدة، الأولى تخص القطيعة بين المعرفة العلمية الدقيقة والمعرفة العمومية الشائعة والثانية تخص القطيعة بين مختلف مراحل تاريخ الفكر أي قطيعة بين العصور الوسطى وعصور الحداثة[2].

لقد حدد باشلار نوعين من القطيعة فإن الأولى خاصة بالمعرفة العامية والمعرفة العلمية أما الثانية هي إحداث القطيعة بين مختلف أطوار الفكر العلمي.

لقد اهتم باشلار كثيرا بالقطيعة بين المعرفة العلمية والمعرفة العامية وهذا على عكس تلميذه فوكو فالمعرفة التي يتوصل إليها العلم في المختبر هي غير المعرفة تلك

[1] – محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي،الحداثة الفلسفية،الشبكة العربية للأبحاث ،بيروت،لبنان،ط1، 2009 ص 34

[2] – صالح هشام، محاضرات الحداثة التنويرية، القطيعة الابستيمولوجية في الفكر والحياة، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص 10

الشائعة في المجتمع عن الأشياء والظواهر، فنحن نتوهم أننا نعرف الأشياء بمجرد أن نلمسها أو نراها ونتحسسها مباشرة ولكن هذا النوع من المعرفة خادع حسب باشلار"[1].

إنه يرفض المعرفة العامية ويعتبرها معارف غير موثوق بها ويدعوا إلى محاربتها إن المعرفة الحقة في نظره هي التي تكون بعيدة عن الرأي العام.

"لقد أكد على أهمية نظرية المعرفة الإبستيمولوجية في العلم بالإضافة إلى أن أعماله كان لها تأثير على البنيوية من خلال ما يتعلق بتاريخ العلوم أما بالنسبة إلى العنصر الرئيسي في فكره الذي أثر في مفكرين آخرين هو عمله في تحليل أشكال الخيال وخاصة الصور المتعلقة بمواضع المادة والحركة"[2].

إن فلسفة باشلار ترتكز على عنصرين مهمين هما أنه اعتمد على التحليل النفسي في الكشف في المعرفة العلمية بالإضافة إلى وضع حد فاصل بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية من أجل بناء نسق علمي جديد.

"لقد وضح غاستون باشلارأن معرفة الواقع في العلم ليست أبدا معرفة مباشرة ومكتملة لأن إحاءاته هي دوما إحاءات تراجعية تعود إلى ماض من الأخطاء والألوان من الندم والمراجعة الفكرية"[3].

من خلال هذا نستنتج أن العلم عند غاستون باشلار يتطور عن طريق إحداث القطيعة الإبستيمولوجية بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية لأن تاريخ العلم ما هو في نظره سوى تصحيح لما وقع فيه العلماء من أخطاء من أجل تجاوزها وبناء فكر علمي جديد.

"لننظر إذن إلى العلم المعاصر من حيث مهمته في إنشاء الموضوعية التدريجية إن الفيزيائي لا يؤخذ أبدا الشمع الذي يؤتى به من الخلية بل الشمع النقي جهد الإمكان بالشمع إلى محدد كيميائيا المعزول في نهاية سلسلة طويلة من التداول المنهجي"[4].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 11.

[2] – ليشتيه جون، خمسون مفكرا أساسيا من البنيوية إلى ما بعد الداثة، تر: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص ص 22–25.

[3] – سالم يفوت: المناحي الجديد للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة، بيروت، لبنان، ص 25.

[4] – bachelard ;le nouvle epsrid scientique ;enag/editions ;1990,p187

من خلال هذا يتضح أن العلم المعاصر عرف تطورا ملحوظا في جميع الميادين، خاصة مجال العلم من خلال التخلي على الطرق البسيطة التي كان يعتمد عليها العلماء في مجال العلم من أجل تحقيق الموضوعية داخل المعرفة العلمية فالشمع المختار إذن هو بنوع ما لحظة دقيقة من طريقة إنشاء الموضوعية إنه لم يحتفظ البتة بأي أثر من رائحة الزهور التي اشترى منها ولكنه ينطوي على البرهان على العناية التي بذلت لتتقينه أنه إن صح القول قد يحقق في التجربة"[1].

إن هذا يوضح أن الطريقة العلمية تغيرت تغيرا كبيرا من خلال إحداث ما يسمى بالقطيعة الإبستيمولوجية مع الفكر العلمي القديم، إذ هذا يثبت أن العلم تطور عما كان من قبل ويظهر ذلك من خلال تغير طرق التفكير والممارسة العلمية في ميدان العلوم.

المبحث الثاني: نظرية المعرفة العلمية عند باشلار

لقد كان سبب ظهور ابستيمولوجيا راجعة إلى التطورات العلمية التي شهدها القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث مس هذا التطور الرياضيات والفيزياء كان لها تأثير على الفكر وحاول من خلال هذا التأسيس إلى معرفة علمية مبنية على أساس متين في معزل عن المعرفة العامية لهذا نجد أن ظهور الابستيمولوجيا باشلار كانت وليدة التطورات العلمية الراهنة ومن هنا نطرح السؤال التالي فيما تتجلى النظرية العلمية الباشلارية؟ "إن كتاب الفكر العلمي الجديد حيث يمثل هذا المؤلف إحدى بدايات الإبستمولوجيا الباشلارية ويؤكد باشلار في هذا الكتاب أن الابستيمولوجيا لا يمكن أن تكون عقلانية ولا يمكن أن تكون واقعية، بل من الضروري أن يوجد العمل الابستيمولوجي على مفترق الطريقتين والنظريتين المعرفتين"[2] لقد تجسدت نظرية المعرفة العلمية عن باشلار من خلال مؤلفه الفكر العلمي الجديد حيث أكد هذا الأخير على أن نظرية المعرفة تختلف عن المعرفة التي كانت عند العقليين وعند الواقعيين إنهاا مستقلة عنهما فهي عبارة عن رؤية نقدية للمعرفة الكلاسيكية من أجل بناء صرح علمي قائم على النقد بغية البناء لمعارف أخرى...والواقع أن باشلار أراد أن يربط الابستيمولوجيا بتطور العلم

---

[1]– 187 ibid ;p

[2] – عبد القادر بشتة: ابستيمولوجيا، مثال فلسفة الفزياء النيوتينية، بيروت، لبنان ، درا الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 43.

فاستلهم وقائع العلم وفروض الرياضيات وبدأ بالعلوم الفيزيائية حتى تأتى له أن يضع المادة موضعا جديدا وهذا هو الطريق الذي ضمن لباشلار الانتهاء إلى مذهبه في المادية العقلانية[1] إن الابستيمولوجيا التي جاء بها باشلار كان الهدف منها هو ربطها بالتطورات العلمية الراهنة خاصة في مجال الرياضيات والفيزياء ومع ظهور النظرية النسبية مع اينشتاين أدى ذلك إلى تغير في المفاهيم مما أدى إلى حدوث ثورة في داخل العلم ويقول باشلار في هذا الصدد:" **أنه لامناص للعقل العلمي من أن يتكون بمواجهة الطبيعة بمواجهة ما يكون فينا وخارجنا بمثابة الحافز والموجه للطبيعة**"[2].

إن باشلار يرى أنه يجب على العقل العلمي أن يكون على استعداد من أجل مواجهة العالم الخارجي بما فيه الطبيعة من أجل الفحص والتدقيق في المعارف التي يتلقاها من الحواس إذن العقل هو بمثابة الطبيب الذي يشخص المرض من أجل معرفة العلاج المناسب. وهو الدور الذي يقوم به العقل العلمي وفي هذا يقول باشلار: "**إذا وضعنا مشكلة الجدة العلمية على الصعيد النفسي الخالص لن يفوتنا أن نرى بأن السير الثوري للعلم المعاصر لا بد وأن يؤثر على بنية الفكر فالفكر بنية قابلة للتغير منذ اللحظة التي يكون فيها معرفة التاريخ**"[3].

إن قول باشلار يسن بأننا إذا أخذنا بجدة التطورات العلمية الراهنة التي طرأت على العلوم الطبيعية والفيزيائية بأنها سوف تحدث تغير داخل البنية التكوينية للفكر أي أن تاريخ المعرفة العلمية قابل التغيير وتصحيح الأخطاء التي وقع فيها العلماء من قبل من أجل تجاوزها والهدف وراء ذلك هو بناء فكر علمي جديد. "يتمسك باشلار بالعقلانية إلى جانب الواقع والتجربة باعتبار أن العقل والتجربة يكمل كل منهما الآخر وربما كان هذا الاتجاه قد تبناه باشلار من جراء التقدم العلمي الذي حد ث في مجال الميكروفيزياء فلقد اكتشف العلماء أن الأضداد لا تتسارع في المستوى الميكروفيزيائي لتنتهي إل تركيب

[1] – شعبان حسن: برونشفيك واشلار بين القطيعة والعلم، دراسة نقدية مارنة، دار التنوير للطباعة، ط1، 1993، ص 128.

[2] – شعبان حسن: برونشفيك واشلار بين القطيعة والعلم، المرجع الساب، ص 129.

[3] – المرجع السابق، ص ص 130–139.

بل أنها تتكامل وهذه هي الحقيقة الدياليكتيكية التي اكتشفها باشلار وأقام كتابه القيم فلسفة النفي على أساسها[1].

إن هذا يبين أن باشلار لم يرفض المذهب العقلي بالإضافة إلى تمسكه بالعقل والتجربة لأن التطورات العلمية التي عرفتها العلوم جعلته يتبنى هذا الاتجاه من خلال اكتشاف أن الأضداد لا تتصارع بل أنها تكمل بعضها البعض وهذا راجع إلى استخدامه المنهج الجدلي الذي يبرز من خلال فلسفة الرفض عنده أنه يطرح السؤال التالي: كيف يمكن الانتقال من المعرفة العامية إلى المعرفة العلمية؟.

إن صلب التأمل الباشلاري في التعارض بين الحياة النفسية المعيارية و الحياة النفسية الجائرة وإذا كان مكتسبا أن الخطأ أنتج بالضرورة وله تماسكه وطابعه الوصفي الخاص به فإن على باشلار أيضا أن يفسر أن ضرورة تحتم على العالم كبته لكي يقطع ما يصنع سحره ويضع أيضا في التغلب على العبودية والمعاناة الإنسانية[2].

إنه يرى بأنه هنالك تعارض بين الحياة النفسية والحياة الواقعية لأن الواقع يدفعنا دائما إلى البحث عن معيار الصدق، فما هو موجود داخل فكرنا مع معطيات الواقع المختلط والمضطرب إنه بحث غير منتهي هو دائما بحاجة إلى إعادة النظر في المعارف التي تكتسبها من العالم الخارجي.

وتتميز نظرية المعرفة العلمية عند باشلار بالمقارنات المتعددة على مستويات متنوعة وهذه المقارنات تأخذ شكلا تاريخيا نقديا وتركز بالذات على ثقافة القرن التاسع عشر العلمية وهذا الشكل التاريخي النقدي هو الشكل المنهجي الذي يجري تطبيقه على تاريخ العلوم وعلى الأفكار الأساسية التي يستخدمها ويبينها العلماء خلال تطورهم العلمي[3].

إن الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها نظرية المعرفة العلمية عنده هي الممارسة النقدية للمعرفة العلمية، من خلال نقد أفكار تاريخ العلوم إنه يرفض التطور الاتصالي ويدعوا إلى الانفصال عن باقي العلوم الأخرى.

---

[1] – نفسه، ص 136.

[2] – ديدييه جيل: باشلار والثقافة العلمية، تر: ساسيل محمد، المؤسسة الجامعية بيروت، ط1، 1996، ص 58.

[3] – شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، المرجع السابق، ص ص 137–138.

ويقول باشلار في تكوين الفكر العلمي منتقدا أن يكون للعلم استمرار للحس والرأي: إن العلم في حاجتهّ إلى الاكتمال كما في مبدئه، يعارض الرأي بصفة مطلقة وأنه إن حدث أن منح العلم مشروعية للرأي في نقطة محددة فإن ذلك لا يرجع لأسباب أخرى غير تلك التي يتماشى عليها الرأي بحيث أن الرأي خاطئ لأنه يفكر بضرورة سيئة بل لا يفكر أبدا هو يترجم الحاجات إلى معارف[1].

إنه يرفض الاستمرارية في المعرفة العلمية إن المعرفة العلمية في نظره تتطور عن طريق القطع والهدم والتجاوز أي أنه من خلال أحداث القطيعة يمكن التأسيس لمعرفة علمية جديدة قائمة على النقد والفحص من أجل تكوين فكر علمي جديد. "فالبنسبة للفكر العلمي كل معرفة إلا وهي جواب على مسألة بدون مسائل ليست هناك معرفة علمية فلا شيء يتم تلقائيا بنفسه بل الكل يركب"[2].

إن المعرفة بالنسبة للفكر العلمي ماهو إلا جواب عن بعض الأسئلة التي يطرحها العلماء من أجل الوصول إلى الدقة واليقين إنه يدعوا إلى تجاوز النظريات العلمية الكلاسيكية التي كانت تقوم على الاتصال إنه يدعوا إلى القطيعة الابستيمولوجية بين الفكر قبل العلمي والفكر العلمي.

ولهذا يمكن القول أن الفلسفة الباشلارية في نقدها للفلسفات المعاصرة لها تنطلق من مبدأ فلسفي ولا تستند إلى أرضية فلسفية جاهزة صريحة أو ضمنية بل تنطلق ببنية هدم الركام الفلسفي في التيارات الفلسفية الاحترافية أو في الأفكار الفلسفية التي يتشبث بها العلماء في فهم ممارستهم[3].

لقد كانت فلسفة باشلار بمثابة النهر الذي قذف معه كل شيء يجده في طريقة إنها الفلسفة التي قامت بنقد كل المذاهب التي سبقتها إليها العقلانية التي ترى أن مصدر المعرفة هو العقل ومن زعماء هذا المذهب روينه ديكارت بالإضافة إلى رفض التجربة والمثالية...الخ إن هذا الأخير قام بهدم وتحطيم البنية القديمة للفكر من أجل إعادة بناء معرفة علمية جديدة تتلائم مع معطيات العصر الراهن.

---

[1] – سالم يفوت: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقية، دار الطليعة للطباعة، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 157.

[2] – سالم يفوت: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، المرجع السابق، ص 158.

[3] – المرجع السابق، ص 164.

لقد أعجب باشلار بفلسفة برونشفيك ويظهر هذا الإعجاب من خلال مقال لباشلار نشره في كتابه " **الالتزام العقلاني** " حيث دعا إلى تصحيح نظرته الاتصالية والاستمرارية وتطعيمها بفكرة التقطع يقول في هذا الصدد: "يتكون لدى القارئ الذي يطالع كتاب برونشفيك حول مراحل الفلسفة الرياضية انطباع مفاجئ ومباشر بدقة وملاحقة برونشفيك لتقدم ونمو العلم الفكري كما يشعر بأن برونشفيك يحدد بكيفية حقيقية أحداث العقل[1].

تبين مقولة باشلار هذا الإعجاب والتعظيم لبرونشفيك الذي كان موقفه اتجاه المعرفة العلمية بأنها تتطور عن طريق الاتصال وهذا يتجلى من خلال مراحل الفلسفة الرياضية إلا أننا نجد أن باشلار يؤكد أن العلم أثناء مساره التاريخي يتطور من خلال الانقطاع والهدم لمعارف أخرى.

"إن باشلار يرفض أن يكون هنالك استمرارية بين المعرفة الحسية والمعرفة العامية من جانب والمعرفة العلمية من جانب آخر وكذلك يرفض أن يكون ثمة استمرارية بين الفكر العلمي القديم و الفكر العلمي المعاصر"[2].

إنه يؤكد على القطيعة الابستيمولوجية، ويثبت بأمثلة كثيرة أنه لا يوجد اتصال بين المعارف ولولا كان الأمر كذلك لكان منهج ديكارت صالح لعلم القرن العشرين وسيطر فترة كبيرة على الفكر البشري، إن العلم بحاجة إلى مناهج جديدة معاصرة يستطيع من خلالها بناء نظرية علمية معاصرة.

يقول باشلار: "**ربما ستبدو ملاحظاتنا البرهانية أكثر فيما لو درسنا الحالات العديدة التي يبدوا فيها التعميم سيء التطبيق، وهذه الحالات هي حالات التعميم التي تأتي عن طريق جداول المشاهدة الطبيعية (الخاصة بمنهج بيكون) المستندة إلى نوع من التسجيل الآلي المعتمد على معطيات الحواس**".

والواقع أن فكرة الجداول (جدول بيكون أو القوائم الثلاث في منهج بيكون) هي الفكرة الأساسية في منهج بيكون التجريبي التقليدي الكلاسيكي[3].

---

[1] – نفسه، ص ص 164 – 165.

[2] – شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، المرجع السابق، ص 151.

[3] – يفوت سالم: العلانية المعاصرة بين النقد والعلم، المرجع السابق، ص 152.

إن نقد غاستون باشلار لمنهج بيكون من خلال رؤيته بأنه غير صالح للعصر الراهن، يثبت بأنه يجب إعادة النظر في المناهج الكلاسيكية، من خلال تجاوز بعض الأخطاء التي وقع فيها العلماء سابقا، لأن ذلك المنهج هو صالح لتلك الفترة الزمنية التي ظهر، فيها لأن كل عصر بحاجة لعلم جديد يتناسب مع التطورات العلمية الراهنة.

ويقول باشلار في هذا الصدد: "**أن العلم حين يغير من مناهجه يصبح أكثر منهجية**"[1] إن هذه المقولة تبين على أن تغيير مناهج العلوم، يعطي الصرامة والدقة الموضوعية داخل المعرفة العلمية. "بالإضافة إلى ذلك نجد أن مفهوم القطيعة الابستيمولوجية والعائق الابستمولوجي هما مفهومان يعبران عن استمرارية العلوم، ومفهوم القطيعة بالذات ما هو إلا تفسير لنشأة الثورات العلمية التي تحدث داخل العلم"[2].

إن القطيعة الابستيمولوجية هي عبارة عن تفسير التطورات العلمية التي حدثت في ميدان العلم إنها تعني القطع ولا استمرارية في المعرفة العلمية، إنها تشبه الفأس الذي يقوم بتحطيم البناء الذي موجود أمامه، إنها الرفض بمبادئ العلم الكلاسيكي القديم.

إن باشلار لا يؤمن بوجود أسس ثابتة تنطلق منها لتأسيس المعرفة وهو يرى أن كل المبادئ المعرفية متغيرة ولا تستقر على حال وهو أكده بكل وضوح وجلاء للصيرورة العلمية[3].

إن العلم متغير ومبادئه ليست ثابتة، مثال على ذلك النظريات العلمية القديمة التي كانت سائدة مثل قوانين مندل في الوراثة، ليست القوانين التي يعتمد عليها موغران الآن إن هذا يثبت أنه كلما تطور العلم من مرحلة إلى أخرى لا بد أن يكون هنالك تغير في النظريات، وهذا ما نظر إليه باشلار وهو القطائع بين المعارف.

لقد كانت إعادة النظر التي قام بها مذهب انشتاين، إعادة كلية من زاوية علم الفلك وإن علم الفلك المستند إلى النظرية النسبية لم ينشأ عن علم الفلك النيوتيني، لقد كان مذهب نيوتن يؤلف نظاما مكتملا وهو بتصحيحه قانون الجاذبية جزئيا وبرهانه لنظريات الاضطرابات كان يستطيع أن يبقي رسائل عدة لشرح البعد الطفيف في مدار عطارد حول

---

[1] – شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، المرجع السابق، ص 153.

[2] – شعبان حسن: برونشفيك وباهشلار بين الفلسفة والعلم، المرجع السابق، ص 156.

[3] – عبد القادر بشته: الابستيمولوجيا فلسفة الفيزياء النيوتينية، المرجع السابق، ص 44.

الشمس[1] يشرح باشلار هنا أن العلم دائما في تطور وتجدد مستمر من خلال هذا يقدم برهان حول مذهب اينشتاين في علم الفلك، حيث يرى أن هذا العلم لم ينشأ من نظرية نيوتن، فتاريخ العلم في نظره هو تاريخ تصحيح وإعادة بناء المعرفة من جديد، أي هنالك قطيعة بين نظرية نيوتن واينشتاين ويعطي أمثلة كثيرة على اختلاف القائم بين العلوم الكلاسيكية والعلوم المعاصرة ،فهو يرى "بأن مفهوم السرعة أن هذا المفهوم يعني في الطبيعيات ارسطو غير ما يعنيه في طبيعيات غاليلو كما أن معناه أيضا يختلف كثيرا في ميكانيكا نيوتن عن ميكانيكا اينشاين النسبية"[2].

إن هذه البرهنة التي يقدمها الابستيمولوجية الباشلارية على أنه لا يوجد اتصال بين المعارف إلا أنه يرى أن مفهوم السرعة عند ارسطو، تختلف عن مفهومها عند نيوتن.

لقد تطورت المفاهيم من عصر لآخر مثال على ذلك من الحتمية إلى اللاحتمية. لقد قدم غاليلو خدمة كبيرة للعلم، وهي قطع الصلة بالفكر القديم حيث تخلى عن كل مفاهيم الكلاسيكية التي كانت ترتكز عليها المعرفة العلمية، حيث بدأ هذا الأخير في مجال العلوم الطبيعية باستخدام المنهج التجريبي بالإضافة إلى اعتماده على الرياضيات والفيزياء حيث اعتبر الرياضيات هي القانون الأساسي الذي نستنبط منه قوانين العلوم الطبيعية، ومن بين البراهين التي تدل على قطعه الصلة بالماضي فالقانون الأول يقول: "**إن الأجسام الساقطة في الفراغ حيث تنعدم تمام كل مقاومة تسقط كلها بسرعة واحدة مهما اختلف وزنها وطبيعتها**".

إن هذا الشرح يبين أن التصور الذي كان سائدا في القديم حول كيفية سقوط الأجسام يختلف تمام عن التصور المعاصر حول هذه الأخيرة فيرون أن الأجسام تسقط بسرعة واحدة مهما كان يختلف وزنها وسرعتها.

يقول أرسطوا: "**خفية كامنة أن سقوط الأجسام على الأرض يرجع إلى قوة في الأجسام نفسها أو ربما من طبائع وخصائص الأجسام ذاتها**".

---

[1] – باشلار غاستون، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل عبد الله عبد الدائم، المؤسسة الجامعية، بيروت،ط2، 1983، ص 45.

[2] – شعبان حسن: برزنشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، المرجع السابق، ص 144.

إن مفهوم السرعة هنا فسر بطريقتين مختلفين إن التفسير الأول تجريبي يعتمد على التجربة من أجل صياغة القانون بينما الثاني تفسير ميتافيزيقي هذا يدل على تغيير في المبادئ والقوانين.

ويرى:" بأن النسبية كما نعلم لم تنطلق من خلال البحث في شكل الكون، ولا من أنها علم فلك عام أنها وليدة تفكير يتناول المفاهيم الأولية وليدة الشك في الأفكار البديهية وليدة ازدواج وظيفي في الأفكار البسيطة ومثال ذلك أن عربات القطار تنطلق كلها بآن واحد وأن القبضان الحديدية متوازية أليست تلك حقيقة مزدوجة تمثل بآن واحد فكرتين أوليتين فكرة الموازنة وفكرة المواكبة إن النسبية تهاجم فكرة المواكبة كما هاجمت هندسة لوباتشفسكي أولية فكرة الموازنة[1].

إن باشلار يحدد المجال الذي تختص فيه النسبية وهو البحث في الكون لقد تناولت هذه الأخيرة المفاهيم العلمية التي كانت دائما تدفع الإنسان إلى الشك، إنها تبحث في الأفكار الفطرية البديهية التي يتعرض إليها الإنسان وعلى سبيل المثال على ذلك نجد فكرة البداهة في الرياضيات الكلاسيكية، وهي من نقطة خارج مستقيم لا يمكن رسم خط واحد موازي له، لكن بظهور الرياضيات المعاصرة حطمت فكرة البداهة، وأصبح من نقطة خارج مستقيم يمكن رسم مالا نهاية من المستقيمات.

"فهو يرى بأن مفهوم الكتلة وصفته المباشرة البديهية تصدر في علم القرون الأخيرة عن الحدس الغامض بكمية المادة، وكان الباحثون يثقون ثقة عظمى بسيطرة الفكر المشخص على الطبيعة [2] إن الوحدة مفهوم الكتلة عبارة عن حدس مباشر غامض حول كمية المادة هذا ما دفع العلماء إلى الثقة العمياء حولها وعدم البحث فيها فنجدهم يعرفونها كالآتي: الكتلة النيوتنية: "بأنها حاصل القسمة القوة على التسارع، وعندما عمدوا بعدئذ إلى تحديد الكتلة الموبورتويزية على أنها حاصل قسمة الاندفاع على السرعة وجدوا من جديد الرفض القوي الصادر عن الفكر الغامض نفسه وعن الحدس المضطرب ذاته هنا أيضا كانت النقطة المادية تعارض معارضة أعظم، حيث كان مفهوم الكتلة الأولي

[1] – باشلارغاستون: الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط2، 1983، ص 47.

[2] – المصدر نفسه، ص 49.

وهو يستند إلى ما يبرره في نظرية وفي التجربة معا كان يبدوا وكأنه عصي على كل تحليل[1].

إن هذه المقارنة بين مفهوم الكتلة في القديم عند نيوتن حيث كانت تعني حاصل قسمة القوة على الزمن، بحيث في العلم المعاصر حاولوا أن يحددوا الكتلة الموبورتويزية على أنها حاصل قسمة الاندفاع على السرعة فالأولى كانت مرتبطة بالحدس بينما الثانية يصعب تحليلها لأنها بعيدة كل البعد عن التجربة الحدسية وقد طورت النسبية كذلك مفهوم الكتلة إذا أخذناه في تعريف النيوتيني الصرف فقد دعت في الواقع إلى تمييز الكتلة المحسوبة طوال مسيرة ما الكتلة الطولانية (معناه طول الكتلة) عن الكتلة المحسوبة على عمود المسيرة، ولكن إمكان هذا الاصطناع وهذا التفكيك هو بالذات شيء له دلالته فهو يظهر مدى بعد الفيزياء الرياضيات الجديدة عن الميكانيكا المدرسية حيث تعتبر الكتلة وحدها أساسية مطروحة وكأنها عنصر بسيط بالضرورة.

هنا نجد أن النسبية أخذت مفهوم الكتلة الذي كان عند نيوتن وقامت بتقسيمه إلى قسمين فقد حاولت أن تميز بين الكتلة المحسوبة طوال مسيرتها التاريخية عن الكتلة المحسوبة على عمود المسيرة. حيث تعتبر الكتلة عبارة عن وحدة أساسية لا يمكن تركها والابتعاد عنها.

"لقد كانت حصيلة المعرفة في منظومة القرن التاسع عشر وهي منظومة القرن العشرين ينبغي أن نستخلص أن هذه المفاهيم قد اتسع شمولها بازدياد دقتها وأنه من غير الجائز أن نعتبرها بعد اليوم البسيطة إلا بمقدارما تقتصر على المبسطات"[2].

إن هذه البراهين التي قدمها تثبت أن هنالك انقطاع بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية، لأن المفاهيم التي كان يعتمد عليها العلم طرأ عليها تغير وتحولت إلى مفاهيم تتلائم مع متطلبات العلم المعاصر.

"إذا ألقينا نظرة عامة على العلاقات الإبستيمولوجية بين علم الفيزياء المعاصر وبين العلم النيوتني رأينا ليس ثمة نمو ينطلق من المذاهب القديمة شطر المذاهب الجديدة بل وجدناه بالأحرى احتواء الأفكار الجديدة للأفكار القديمة"[1]

---

[1] – نفسه، ص ص 50–51.

[2] – – باشلار غاستون: الفكر العلمي الجديد،المصدر السابق، ص 60.

إن باشلار لا يرفض العلم القديم ،وإنما يرى بأن هناك دائما احتواء الأفكار أي أن كل جديد في العلم ما هو إلا مأخوذ عن العلم الكلاسيكي القديم وهذا يعني أنه لا توجد انطلاقة من الصفر بل هنالك

بداية لكل شيء.

ينتقد باشلار رغبة الفلاسفة التأسيسية بخصوص العلم، وهو ينتقد مرارا مايرسون لافتقاره للفضول بخصوص العلم أو لجهله بواقعية العلم المعاصر حيث لا شيء معطى مسبقا ولأن المعطى هو شيء خاص بالثقافة وأن العلم لا يتطابق مع الحس المشترك كما يظن ما مايرسون في كتابه الهوية والحقيقة بالإضافة إلى نقده في لكانط الذي يحقق تصوراته في الرمز والمادة التي نفتها الهندسات اللاإقليدية[2].

إذا كان مايرسون يؤكد على الاستمرارية المعرفة العلمية وأن العلم هو عبارة عن سلسلة من التراكمات لا تعرف الانقطاع، بل هي دائما في حركة متواصلة فإن باشلار عكسه يؤكد على القطيعة الابستيمولوجية في المعرفة العلمية، ولقد ركز هذا الأخير على نقده للمذهب الكانطي، من خلال تصوره للمعرفة العلمية.

"ولقد وصف جان هيبوليت الباحث الهيغلي نظرية المعرفة لدى باشلار بأنها فينومونولوجيا أصلية لعلم الطبيعة تمتد بين العلوم الواقعية وظاهرة العلوم ولا يطلب أي إنحراف أو إحساس من العقل أو أي تبرير سوى العلم في تاريخيه فهي ليست تفكير في المعرفة عموما وهي ليست نظرية المعرفة كما في مصطلح الابستيمولوجيا[3].

إن نظرية المعرفة عند باشلار تتمثل في البحث في أصل العلم من خلال اكتشاف الذي وقع فيها العلماء من أجل تجاوزها وقطع الصلة بها، إنها نظرية تهدف إلى إعادة بناء فكر علمي جديد يتلاءم مع التطورات العلمية المعاصرة "وبالنسبة إلى باشلار لا يوجد نهج وحيد لكن هناك مناهج متعددة والأسئلة التقليدية في نظرية المعرفة فهذا الجانب، غير مقبولة وخاصة السؤال التقليدي عن علاقة الموضوع بالغرض وهو منظور الأفكار والموضوع لا علاقة له بالتفكير الديكارتي المؤسس ويجب استبدال كوجيتو

---

[1] –المصدر االسابق، ص 51.

[2] – باتريك هيلي: صورة المعرفة العلمية المقدمة لفلسفة العلم المعاصر، تر: نور الدين شيخ عبيد، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ص 179.

[3] – المرجع نفسه، ص ص 180–181.

الديكارتي بالكوجيتيمس أي من صيغة المفرد الدال على الحاضر إلى صيغة الجمع أي أن العلم ذات جماعية وتاريخية[1].

إن باشلار متأثر بالمنهج الفينومونولوجي الذي أسسه هوسرل الذي يركز على دراسة الظاهرة كما هي موجودة في الشعور والذي استبدل الكوجيتو الديكارتي "**أنا أفكر إذن أنا موجود بالكوجيتو عند هوترل**". أنا أفكر في موضوع ما معناه الذي أفكر فيه موجود هذه دعوة مباشرة للانفتاح على المنهج الجديد للعلم المعاصر، يرى باشلار أن المعرفة العلمية ليست وليدة التجربة ولكنها النتائج المركبة للبنى النظرية والتقنية وهي السبب أن الحس المشترك يحتاج إلى إصلاح الذي يتطلب بالأحرى تحولا وفق المبدأ التقليدي في التغيير المرء حياته نتيجة التوبة أو التحول الروحي وفي العلم نفسه توجد قطيعة مستمرة وطفرة وثورة.

إن المعرفة في نظر باشلار ليست وليدة التجربة اليومية الحسية المباشرة وأنها عبارة عن نتائج مركبة من معارف كلاسيكية وتقنية إن تاريخ العلم يحتوي على القطائع الابستيمولوجية مستمرة.

"يؤكد باشلار أن المنهج العلمي ليس نفسه في الاختصاصات المختلفة إذ يوجد حس مناطقي في المعرفة وأنه توجد مناطق متمايزة في التنظيم المناطقي للمعرفة ويدرس العقلانية الميكانيكية التي برغم انفصالها لها قدرة التكامل بمعنى أنه في كل عقلانية مناطقية توجد بذرة من عقلانية عامة[2].

إن التنوع في المناهج العلمية في كل الاختصاصات أدى إلى تعدد المذاهب المعرفية وأصبح كل مذهب يعطي تصور خاص بالمعرفة أنه ينتقد المذهب الديكارتي ويراه بأنه لا يصلح لعصر التطورات العلمية حيث من سماته القضاء على كل قديم والاتجاه نحو الجديد.

إذن أن كلاهما على ابستيمولوجيا اللاديكارتية لا يزعم الإلحاح على إدانة نظريات الفيزياء الديكارتية ولا على إدانة الآلية التي تظل روحها روحا ديكارتية وإنما يزعم الإلحاح على إدانة مذهب الطبائع البسيطة إن ديكارت لا يؤمن بعناصر مطلقة في العالم

---

[1] – نفسه، ص 183.

[2] – باتريك هيلي: صورة المعرفة العلمية المقدمة لفلسفة العلم المعاصر، المرجع السابق، ص 185.

الموضوعي وحسب بل أنه يحسب أيضا أن هذه العناصر المطلقة تعرف مباشرة وفي جملتها[1].

يرى باشلار أن الابستيمولوجيا الديكارتية لم تدم طويلا، رغم المنهج الذي جاء به ديكارت من خلال كتابه مقال المنهج، رسم من خلاله الطريق الذي نسلكه لبلوغ المعرفة العلمية الدقيقة إنه منهج يقود الفكر بخطواته ويمنعه من الخطأ حسب التصور الديكارتي.

إن الميزة الأساسية للابستيمولوجيا الباشلارية هي متابعتها للتقليد الذي كان قد بدأه برونشفيك أي النظر إلى المفاهيم العلمية في ضوء تاريخيتها وهو ما ينتج عنه قول بتطويرها في التاريخ ونسبية معناها من فترة إلى أخرى، إن ما يميز باشلار هو قوله بعدم اكتمال المعرفة العلمية أو وصولها إلى حالة تمام نهائية[2].

المميزات الأساسية للفلسفة الباشلارية هي أنها نقدت كل المذاهب المعرفة الكلاسيكية بغية تصحيح الأخطاء التي وقع فيها العلماء إن هذه الابستيمولوجيا هي عبارة عن نظرة فاصحة للمعرفة ويقول باشلار: "**بأن الميكروفيزياء لا تبني وسائلها في البحث مجرأة إذ أنها لا تقوم بصفة لاحقة على التجربة بالعمليات الحسابية الملائمة لتلك التجربة بل أنها تجد تلك الوسائل في الرياضيات المعتمدة في هذا المستوى**"[3].

يعطى باشلار نموذج عن أحد العلوم التي عرفت تطورا ملحوظا ومن بينها الميكروفيزياء لأن هذا العلم لا يعتمد على التجربة وإنما البحث فيه يكون بطريقة رياضية حسابية لأن هذا النوع من العلوم قطع الصلة مع الواقع الحسي التجريبي.

"تنطلق العقلانية المعاصرة من نقد النزعة الاتصالية التي تعتبر المعرفة العلمية استمرار للمعرفة الحسية العامة وأن الفرق بينهما هو فقط فرق في الدرجة، درجة التطور والتعقد وليس فرقا في الماهية وهو انتقاد موجه أساسا ومباشرة إلى النزعة الاختبارية التي

---

[1] – باشلار غاستون: الفكر العلمي الجديد، المصدر السابق، ص 42.

[2] – وقيدي محمد: ابستيمولوجيا التكوينية للعلوم، المرجع السابق، ص 193.

[3] – باتريك هيلي: صورة المعرفة المقدمة لفلسفة الفكر المعاصر ، المرجع السابق، ص 139.

ترى المعرفة العلمية استمرار للمعرفة الحسية وترد مختلف التصورات العلمية إلى المحسوس وترى فيها صدورا عن الانطباعات الحسية[1].

يوضح هذا أن نظرية المعرفة العلمية عند باشلار تقوم على الهدم والقطيعة مع المعارف الأخرى إنها ترفض كل اتصال مع المعرفة العامية، ولقد برهن هذا الأخير بأمثلة عديدة أثبتت من خلالها أن العلم الجديد قطع كل صلة تربطه بالفكر القديم، إن بنية العلم المعاصر تحتاج في نظره إلى ابستيمولوجيا نقدية لمعارف سابقة بغية السير وفق متطلبات العلم الجديد. تركز العقلانية المعاصرة على أن العلم يخلق عالما زاخرا من الموضوعات ليستنسخها من الخبرة والإدراك الحسي مباشرة بل يركبها وينشئها وعليه تعد الخبرة كما يقول باشلار: "**لا ينبوع معرفة لا ينفذ، بل ينبوع عوائق الابستيمولوجية تكون المعرفة ملزمة بتحطيمها**"[2].

إن العلم في نظر باشلار يقوم بوصف المواضيع من خلال الابتعاد عن الخبرة والإدراك الحسي وأن التصورات العلمية ناتجة عن علاقات، وهو لا يرجعها إلى التجربة حيث نجد أن المفاهيم العلمية بعيدة كل البعد عن المجال الحسي، إن نظرته هذه مخالفة للنظرة الاختبارية. "بالنسبة للفكر العلمي، كل معرفة هي جواب عن سؤال، ولولا الأسئلة لما وجدت معرفة علمية إذ لا شيء يعطى من تلقاء نفسه بل كل شيء يركب وينشأ من طرف العقل"[3].

إن المعرفة تتولد من خلال طرح الأسئلة ولا وجود لمعرفة دون سؤال، ولولا التساؤلات العديدة في مختلف الميادين لما كانت هنالك معارف، لأن أساس الفلسفة هو طرح السؤال، أن هذا الأخير يركز على دور العقل في المعرفة من خلال الحوار بينه وبين التجربة.

"من القيم الجديدة التي تحملها معها الثورة العلمية المعاصرة المفهوم الذي يمكن أن نستمده منها العقل ذلك لأن المبادئ التي تمت مراجعتها عند القيام الهندسات الاقليمية

---

[1] – يفوت سالم: العلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، المرجع السابق، ص 94.

[2] – يفوت سالم: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، المرجع السابق، ص 96.

[3] – المرجع نفسه، ص 108.

والميكانيكا النسبية وميكانيكا الكوانتا كانت تعتبر في نظر الفلسفات التقليدية مبادئ ثابتة للعقل البشري[1].

إن التطورات العلمية التي حدثت أدت إلى حدوث في الثورة في مجال العلم أنها غيرت المفاهيم والأسس التي كان يرتكز عليها هذا الأخير مما دفع بالعلماء إلى إعادة النظر في قواعد العلم وبناء مناهج جديدة .

"إن اتجاه التطور الفلسفي للمفاهيم العلمية شديد الوضوح لدرجة أنه ينبغي الاستنتاج بأن المعرفة العلمية تنظم الفكر، وأن العلم ينظم الفلسفة ذاتها إذ يقدم الفكر العلمي أساسا لتصنيف الفلسفات ولدراسة وتقدم العقل"[2].

لقد نظر باشلار إلى الثورات العلمية التي أحدثت تطورا في المفاهيم بأنها واضحة لا تحتاج إلى وضوح لأنها المعرفة التي تقوم بتنظيم الفكر وتجعله يستقبل كل المفاهيم دون أي غموض وأن عمل هذا الأخير هو تطوير الفلسفة".

أن غاستون باشلار يرى بأن لأي مفهوم علمي خطأ يتوجب تصويبه وقبل البدء في أية معرفة موضوعية يجب تحليل العقل تحليلا نفسانيا وهذا التحليل لا يكون بشكل عام بل يتعداه إلى المفاهيم الخاصة[3].

إنه يدعوا إلى تحليل بنية العقل من أجل اكتشاف الأخطاء بهدف تصحيحها لأن أي مفهوم علمي يحتمل الخطأ إن المعرفة العلمية حسب باشلار لا بد أن تخضع لعنصر النقد، من أجل تكوين فكر علمي متين الأساس ويقول في هذا الصدد: "بأن القيم الجديدة التي حملتها معها الثورة العلمية المعاصرة قيم نفسية إلى جانب كونها قيما معرفية[4].

يرجع الفضل إلى التطورات العلمية التي غيرت مجرى العلم من خلال تغير الأسس والمناهج والمبادئ وأعطته صبغة علمية من خلال تعدد الابستيمولوجيات في الفلسفة وهذا يؤكد على الانقطاع بين كل فترة وأخرى أي أن هذا يثبت بأن هنالك قطيعة ابستيمولوجية.

---

[1] – وقيدي محمد، الابستيمولوجيا التكوينية للعلوم، إفريقيا الشرق، المغرب، (د،ط)، 2009، ص 162.

[2] – باشلار غاستون، فلسفة الرفض، تر: احمد خليل، دار الحداثة، لبنان، ط1، ص 22.

[3] – المصدر نفسه، ص 26.

[4] – وقيدي محمد، الابستيمولوجيا التكوينية للعلوم، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1999، ص 64.

المبحث الثالث: التحليل النفسي ودوره في المعرفة العلمية والعوائق

لقد كان التحليل النفسي أهمية كبيرة داخل المعرفة العلمية، حيث يركز هذا الأخير على جانب آخر للحياة النفسية وهو اللاشعور الذي يقابله الشعور، بحيث تحتوي هذه الأخيرة على المكبوتات والغرائز التي هي موجودة داخل المنطقة الدفينة، لهذا نجد أن باشلار تأثر بفرويد في هذا الجانب، ورأي أن التحليل النفسي مهم في عملية المعرفة العلمية ومن هنا نطرح السؤال التالي: ما هو الدور الذي يقدمه التحليل النفسي للمعرفة العلمية في نظر باشلار؟ وإذا كان غاستون قد قدم خلال النصف الثاني من مدة احترافه إزاء أعماله الإبستيمولوجية بأبحاث في التخيل الشعري استمع إليها جمهور، عريض فإنه ينبغي أن لا ننسى أنه مهد لهذه الأبحاث بكتاب حول تكوين الروح العلمية، مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية حيث أكب بالاستناد على أسس تاريخية، على تحليل ذي طابع نفساني وأنه على وجه الضبط في هذا الكتاب وهذه المقارنة استخلص أحد المفاهيم الجوهرية في نظرية العلم، وهو مفهوم العائق الابستمولوجي[1].

لقد قام باشلار بتفسير المعرفة العلمية انطلاقا من عملية التحليل النفسي، الذي من خلاله نفسر بعض المعارف الموجودة في أعماق النفس، مثل الحزن الذي هو حالة نفسية لا نستطيع معرفتها إلا عن طريق التحليل النفسي، لبعض الملامح التي تعبر على أن ذلك الشخص حزين ومن خلال ذلك نصل إلى معرفة الأسباب التي دفعت ذلك الشخص إلى الحزن. "إن الجانب النفسي في نظره بما يتضمنه من قوى شعورية ولا شعورية مؤثر في سير العملية المعرفية والعلمية تحديدا، كان له ما تأثر باهتمامه أي كيف يؤسس كعلم جديد من نوع مختلف يجمع بين النقد العلمي والرغبة النفسية[2].

لقد أعطى باشلار الجانب النفسي أهمية كبرى في سير المعرفة العلمية، من خلال ما تحتويه النفس من غرائز ومكبوتات موجودة في منطقة لا شعور، إنه يدعوا إلى المراقبة الفكرية للذات لأحوالها وأفعالها من أجل أن تستطيع أن تحلل المشاكل اليومية التي يتعرض إليها الإنسان.

---

[1] – باشلار غاستون جماليات الصورة، غادة الإمام، مؤسسة ، قانصوا، بيروت، ط1، 2010، ص ص 32–33.

[2] – ابراهيم محمود: النقد والرغبة في القول الفلسفي المعاصر، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص 88.

"إن الواقع كتلة من الاعتراضات على العقل المكون والفكر القياسي نظام مسائل إزاء واقعية نائمة لكن هذا الموقف أمام موضوع المعرفة ينعكس في ثنائية مستمرة تقسم الذات العارفة في الصميم يجب التمييز بين النفسية العرضية والنفسية المعيارية"[1].

إنه يرى أن الواقع هو عبارة عن مجموعة من التناقضات على العقل، والفكر القياسي وهو ينعكس في رأيه على الذات التي تقوم بعملية المعرفة العلمية، من هنا وجب التمييز بين النفس العرضية والنفس المعيارية من خلالها نستطيع أن نقيم دور كل واحدة منهما في المعرفة.

"إن وظائف مراقبة النفس مثلها مثل القوى النفسية التي تستعملها لم يخف على نفاذ بصيرة فرويد وقد أجرى لها دراسة منظمة مكثفة للغاية في محاضرة نشرت في أواخر أيامه بعنوان حيث انطلق هذا الأخير من فحص العصابات النفسية، حيث يعتقد أنه يرى النفسية في سمات مجسمة ومنقسمة إلى كائن مراقب فهو يرى بأن المرضى يتألمون من جنون المراقبة، فهم دائما يظنون أنهم تحت المراقبة إن هؤلاء يعتقدون أن الغير يحذرهم ويحاول أن يعاقبهم على قيامهم بأي فعل"[2].

إن الدراسة التي قام بها الطبيب النمساوي فرويد على بعض الأشخاص يعانون من أمراض نفسية كانت راجعة إلى محاولة وضع مراقب على الذات العارفة من خلال ما تواجهه من ضغوطات تتعلق بالعالم الخارجي، أن فرويد كان يعتقد أن المرضى يتألمون من جنون المراقبة لكنهم كانوا خاطئون لأنهم مصابون باضطرابات نفسية، هي التي تحدث تلك الشكوك في عقولهم إنهم يحتاجون لعلاج نفسي في نظره.

"إن الضمير الأخلاقي كضمير أخلاقي متصلب في جوهره معزز بقوى اجتماعية ومحدد بفعل الامثالية إننا هنا أمام خلط بين الضمير القاضي والضمير الجلاد حيث أن الضمير الأخلاقي العادي هو في الوقت نفسه شعور بالخطأ ولاشعور فالصفح هو قاض يعرف أن يدين عندما يسعى فرويد إلى إقناعنا بضرورة جمعنة المقامات المراقبة، سيترتب

[1] – باشلار غاستون: العقلانية التطبيقية، المصدر السابق، ص 128.

[2] – المصدر السابق، ص 134.

علينا الرد عليه بأن جمعنة الأنا الأعلى تحصل على أسس بدائية للغاية، عبر مماثلة الأنا الأعلى ببدائية اجتماعية هي بلا ريب مؤهلة حيث تفسير العصابات النفسية"[1].

إن من خلال التحليل النفسي للمعرفة العلمية، فإننا نجد أنفسنا أمام ضمير أخلاقي هو الذي يصدر الأوامر والنواهي فهو عبارة عن قاضي بحكم أن هنالك علاقة وطيدة بين الذات العارفة والموضوع الذي يتعلق بالمعرفة، أننا نحتاج إلى تحليل نفسي للمعرفة العلمية.

"إن لباشلار مجموعة من البحوث في علم النفس وأكثرها شهرة وتفصيلا هي تلك التي ظهرت في عام 1938 بعنوان التحليل النفسي للنار وتكوين العقل العلمي، أما الفصل الثاني من الفلسفة الرفض أو فلسفة لا 1940 إن هذا الأخير يرتبط مباشرة بالتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية لعام 1938 وفي كتابه العقلانية التطبيقية والمقصود هنا التحليل النفسي للمعرفة ليس الموضوعية دائما وإنما العقلانية[2].

إن هذا يبين أن الفيلسوف الابستيمولوجي، أعطى أهمية كبرى لعملية التحليل النفسي للمعرفة العلمية ويظهر هذا من خلال مؤلفاته التي ألفها لهذا نجد في كتابه العقلانية التطبيقية يتحدث فيه عن التحليل النفسي للمعرفة العلمية، إنها تحليل لبنية الفكر من أجل بناء فكر علمي جديد".

فعلم النفس كعلم ليس هو الذي يهم باشلار وإنما علم النفس المرضي والطب النفساني باعتباره تقنية طبية لشفاء الأمراض العقلية إن باشلار يهتم بالتحليل النفسي لأسباب عديدة من بينها أنه يكشف الآخر في الأنا، والمجتمع في عزلة الذات وأخيرا فإن علم النفس الباشلاري يتعمق على ما يبدوا على هامش علم نفس وراثي خاص بدراسة العقل كما هو الحال لدى بياجيه، لأن غاستون باشلار وضح علم النفس في خدمة العلم"[3].

إن الهدف الرئيسي من لجوء باشلار إلى علم النفس في حداثته هو اهتمامه بعلم النفس المرضي والطب النفساني لأنهما وسيلتان لعلاج المرضى، الذين يعانون من

---

[1] – باشلار غاستون: العقلانية التطبيقية، ص 35.

[2] – جيل ديديه: باشلار والثقافة العلمية،المرجع السابق،ص 16.

[3] –المرجع السابق،ص 18.

اضطرابات عقلية ولقد كان الدافع الأساسي إلى استخدامه له هو الكشف عن الذات المدركة من أجل فهم الآخر والمجتمع، إنه يطمح إلى تأسيس معرفة علمية مبنية على الأسس والقواعد التي تخص علم النفس".

"إن الإبستيمولوجية يمكن أن تستفيد في نظر باشلار من التحليل النفسي من أجل بلوغ أهدافها من تحليل المعرفة العلمية، وإن أحد المهام الأساسية التي يعين باشلار الابستيمولوجيا أمر القيام بها هي القيام بتحليل نفسي للمعرفة الموضوعية[1].

لقد رأى غاستون باشلار بأن الإبستيمولوجيا يمكنها أن تستفيد من التحليل النفسي للمعرفة العلميةن من خلال تحليل بعض الأشياء التي تعجز الإبستيمولوجيا عن فهمتها فهو يضع علم النفس في خدمة الإبستيمولوجيا.

"فالعمل العلمي في نظر باشلار جانب مهم لا يكون موضع وعي مثلما أن الحياة النفسية جانبها اللاشعوري والكبت في مجال المعرفة العلمية مثلما هو في مجال الحياة النفسية لا يعني إقصاء تام للمكبوتات وإحالتها إلى عناصر ساكنة منعدمة التأثير فيهدف التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية إلى الكشف عن المكبوتات العقلية ليبحث عن مدى أثرها على العمل العملي[2].

إنه يرى أن التحليل النفسي مهم في الجانب المعرفي لأنه يكشف عن المكبوتات الموجودة في اللاشعور إن هذا الأخير أصبح من العلوم التي نجدها في كل الأماكن، على سبيل المثال في السجن عند أطباء نفسانيين يساعدون السجناء أثناء تواجدهم في السجن من أجل تخطي تلك المرحلة.

"إن المعرفة العلمية في نظر باشلار تتعلق بعوامل نفسية، حيث أن التحليل النفسي لتلك المعرفة يدفعنا إلى الكشف عن العوائق المعرفية والتي يعتبرها هي المكبوتات العقلية وأثرها على المعرفة العلمية ويقول باشلار في هذا الصدد: "**عندما نبحث في الشروط النفسية لتقدم العلم، فسرعان ما نصل إلى الاعتقاد بأنه ينبغي وضع المشكلة المعرفية العلمية في صبغة عوائق أو عقبات**"[3].

---

[1] – د/ شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، دراسات نقدية مقارنة، المرجع السابق، ص 146

[2] – المرجع نفسه، ص 147.

[3] – نفسه، ص ص 147.

إنه يؤكد أن البحث داخل الحياة النفسية من أجل اكتشاف العوائق التي تمنع العلم من التطور هذا ما أكد عليه فيلسوف القطيعة، إنه يجب تشخيص العقبات من أجل تجاوزها وتحقيق معرفة علمية.

"إن العوائق الإبستيمولوجية هي إذن صيغة للتعبير عن مشكلة المعرفة العلمية في حالات معينة لها هي حالات تطلعها أو توقفها ولكن العوائق الإبستيمولوجية ليست مع تلك الصيغة الخارجية إنها منبثقة من صميم المعرفة وحتى تظل دائما في مجال المقارنة بين التحليل العام والتحليل النفسي في مجال الإبستيمولوجيا."[1]

لقد نظر اشلار إلى أن العوائق الإبستيمولوجية هي عارة عن تعبير عن المشكلة المعرفية عن صيغة عوائق،حيث إعتبرها تعطل وتعيق تطور المعرفة العلمية،لهذا يجب البحث في الشروط النفسية للمعرفة العلمية.

" إن الكبت يعتبر في المجال الحياة النفسية ضرورة لا غنى عنها للذات من أجل تكيفها مع الواقع،فإن إنتاج العوائق الإبستيمولوجية ناتجة عن صيرورة العمل العملي ذاته"[(2)]

إن التحليل النفسي في نظره هو الذي يكشف عن المكبوتات العقلية للعمل العلمي من خلال مساعدته على معرفة ذلك العائق الذي يمنع العلم من التقدم.

"وفي محاولة باشلار القيام بتحليل نفسي للمعرفة العلمية فهو يتجه إلى الملاحظ العلمي ليبحث عن المكبوتات العقلية التي تلعب دور العائق الإبستيمولوجي، والمكبوت العقلي هنا هو المفاهيم العامة الشائعة واللغة المعتادة، ولكن المكبوت العقلي في ديناميكيته يحاول أن يظهر من حيث هو كذلك فهو يتخذ لبلوغ هدفه طريق التداخل مع المعرفة العلمية واللغة العلمية، فمن خلال هذا النفاذ تستطيع المعرفة العامة واللغة العامة أن تظهر بمظهر العلمية وأن تعوقها بلوغ النتائج الموضوعية والصياغة الدقيقة لهذه النتائج.

كان تركيز باشلار داخل علمية التحليل النفسي على المكبوتات النفسية التي توجد في منطقة لا شعور حيث اعتبرها عوائق ابستيمولوجيا تعرقل تطور المعرفة العلمية، وعن طريق المنهج الاستنباطي اقتطاع النفاذ داخل منطقة اللاشعور من أجل اكتشاف خباياها.

---

[1] – د/ شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، المرجع السابق، ص 149.

[2] – المرجع السابق، ص 148

"ومع ذلك فإن علم النفس العقل العلمي لا ينقل ببساطة التحليل النفسي الفرويدي وينكر باشلار أنه ينتمي إلى كنيسة التحليل الضيقة والسبب الأساسي لذلك هو شعوره بأنه بعيد جدا عما يسميه التشاؤم الفرويدي لقد دمج فرويد على حد قوله بين الضمير الحكم والضمير الجلاء، وقد فات فرويد بدقة إن الضمير الأخلاقي الطبيعي كان في الوقت نفسه ضمير الغلط وضمير المغفرة"[1].

إن باشلار يؤكد على التحليل النفسي للمعرفة من أجل الوصول إلى الدقة واليقين داخل العلم.

فلكي نتحدث عن التحليل النفسي يجب أن تكون الصور الأصلية قد صنفت من دون أن يترك لواحدة منها أثر ميزاتها الأولى كما يجب أن نعين وتحل العقدة التي جمعت لوقت طويل رغبات وأحلاما[2].

إن للتحليل النفسي عند باشلار دور مهم في المعرفة العلمية الموضوعية من خلال استخدام بعض المصطلحات للتعبير أن أهم المواضيع العلمية إنه يوظف الشعر والخيال داخل المعرفة العلمية من أجل التعبير عن الرغبات والأحلام الموجودة في باطن الحياة النفسية، وأن لهذا الأخير أهمية كبيرة في فلسفته.

"إن باشلار يرى أن الفيلسوف العقلاني يعبر الاهتمام الأوهام والأخطاء إنه في نظره دائما إلى حاجة لتمثيل القيم العقلانية والصور بوصفها تنقيحات معطيات خاطئة وهنا لا يظهر التماسك في عقلانية طبيعية آنية وأصلية فنحن لا نحل دفعة واحدة في المعرفة العقلية ولا نعطي الصورة الأساسية وهكذا غدونا من خلال تحليل نفسي للمعرفة الموضوعية وللمعرفة المصورة عقلانيين إزاء النار"[3].

إنه دائما ينتقد المذاهب الفلسفية التي كانت سائدة فيها المثالية والعقلانية التي أعطت الأولوية للعقل في تحصيل المعرفة العلمية إن هذا الأخير في نظره تهتم بالأخطاء والأوهام هو بحاجة إلى إعادة النظر في تلك المعارف التي تم تكوينها من أجل تنقيتها من كل الشوائب والأخطاء التي تكون عالقة بها.

---

[1] –جيل ددييه: باشلار و الثقافة العلمية ،المرجع السابق،ص 42.

[2] – باشلار غاستون: الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادة، تر: علي نجيب ابراهيم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص 21.

[3] – المصدر نفسه، ص 22.

"وفي الحقيقة شروح التحليل النفسي وحدها تتمكن من أن ترى بوضوح الممنوعات التي أعلنها هزيود وليس البرهان ببعيد عنها فالنص الذي استشهدنا به يوجد في الصفحة نفسها حيث أن هذا المحظور الجديد: "لا تبولوا واقفين اتجاه الشمس" إذ ليس لهذا التعليم أي دلالة نفعية لأن الممارسة التي يحضرها لاتخاطر بتكدير نقاوة النور"[1].

إن علماء النفس يشرحون موقف هزيود من خلال أنه مهتم بالصحة الطبيعية للإنسان وأنه ينصحه بأن لايقف مدة زمنية طويلة أما الشمس والاحتجاج الرجولي عند علماء النفس وهو ضد رمز الأب إن هذا هو التحليل النفسي الذي يقوم به علماء النفس من أجل معرفة طبيعية المعرفة.

"وهو يرى عندما نفحص شتى تصاميم تسلسل الحياة النفسية نلاحظ الإنقطاعات في الإنتاج النفساني فإذا كان ثمة تواصل فهو غير موجود أبدا في التصميم الذي يجرى فيه فحص خاص فهو يرى أن الأهواء والمصالح إن التسلسلات الزمنية هي في الغالب فرضيات"[2].

إن باشلار يرى بأن هنالك انقطاع في الحوادث النفسية إذ لا يوجد تواصل بين الحادثة والأخرى مثلا الأحلام التي يراها الإنسان في منامه فهو لا يستطيع بدقة وموضوعية، ربما يتذكر نهاية هذا الحلم وينسى بدايته وهكذا يبقى التحليل النفسي كقاعدة اعتمد عليها باشلار في عرفة العلمية الموضوعية، طالب باشلار بضرورة إنشاء علم للتحليل النفسي للمعرفة من أجل تحرير الفهم والإدراك الإنساني من قبضة المحسوس المحدد والحاصل أيضا أن كل نظريات تفسير الكون أو حركة مكونات الذرة داخلها كما قال أحد الفيزيائيين مؤخرا تحتاج إلى التخلص من سيطرة ما تدركه الحواس حيث لا يمكنها إدراك إشباع كون فضخامة ظواهره أو ضآلة مكونات الذرة[3].

من خلال هذا نستنتج أن باشلار يدعوا إلى توظيف النفس داخل المعرفة العلمية من أجل اكتشاف الظواهر التي تخرج عن سيطرة الإنسان.

---

[1]– باشلار غاستون: الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادة، تر: علي نجيب ابراهيم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص 21.

[2] – باشلار غاستون: جدلية الزمن، تر: خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط3، 1992، ص 08.

[3] – سامي خشبة، مفكرون عصرنا، المكتبة الأكاديمية، مصر، القاهرة، ط1، 2001، ص 155.

يرى باشلار أن الفرويدية ما هي تأويل يقتصر على الجانب الاجتماعي فالمنافسون الحقيقيون عن علماء النفس هم إنسانيون فمثلا الطفل يجد الممنوعات الأولى في عائلته وبصفة عامة المقومات التي تمس بذهن الطفل هي المقومات اجتماعية[1].

من هنا ندرك أن باشلار كأن يهدف من خلال علم النفس إلى إبراز الدور الذي تلعبه الرموز في اكتشاف الظواهر خفايا النفس، لأن هذه الأخيرة تحتوي على الغرائز والمكبوتات التي توجد في منطقة لا شعور من أجل ترجمة محتواها الداخلي.

"لكن التحديد كما يفعله علماء النفس هو خاص بالرموز من خلال ترجمتها إلى رموز إنسانية هو نسيان دائرة بكاملها للفحص، وبين استقلالية الرمزية التي تريد أن تلفت انتباه القارئ إليها فعن عالم الرموز المقاومة إنسانية لكن بين عالم الطاقة والمقاومة مادية" [2].

إن باشلار هنا يبرز الدور الذي تلعبه الرموز داخل علمية المعرفة العلمية.

"لا يمكن تعريف المقاومة إذ لم يكن لها عمق كشف وكبير وهو ذات العمق للمادة نفسها، فعلماء النفس يمكنهم أن يكرروا أما الطفل الذي يغضب ويضرب الطاولة التي أوجعته لكن الغضب المؤقت ولا يدل على التخيل الاعتدائي"[3].

باشلار هنا يوضح الطريقة التي يستخدمها علماء النفس من أجل كشف الظواهر التي تخرج عن قوة الإنسان من بيان أسبابها وعللها.

"نرى مثلا غضب العامل ضد المادية كالصخرة مثلا التي لا تريد أن تكيف حسب ما يرغب فيه فهكذا القصاوة الموجودة في الأحلام هي قصاوة مهاجمة دائما وأبدا وهي تجدد بدون انقطاع لعداوتها فالحلم لهذه القصاوة في شكلها الخارجي بالنسبة إلى حالما ما فهو يعتبر نوع من التحريض وصلابته هي في نفسها إهانة تستحق الانتقاء، فلا يمكن أن تتعامل مع صلابة الصخرة بغضب طفل"[4].

أ- العوائق الإبستيمولوجية في المعرفة العلمية:

---

[1] - dagognet francois, gaston bachelar sa vie, son œuvre avec un expose de sa philosophie , presses universitaires de France, paris ,1965 ;p 86.

[2] Ibid ,p87

[3] - dagognet francois, gaston bachelar sa vie, son œuvre avec un expose de sa philosophie, presses universitaires de France, paris ,1965,p 88.

[4]- ibud ;p89

إن المعرفة العلمية أثناء تطورها تصطدم بمجموعة من العراقيل أو العقبات تمنعها من التطور وعدم اكتمال مسارها، لهذا يجب على الفكر أن يحدد تلك العوائق من أجل تجاوزها بهدف تكوين معرفة علمية موضوعية من هنا نطرح السؤال التالي:

– ماهي هذه العقبات التي تعرقل نمو المعرفة العلمية في نظر باشلار؟

"هنا تنقلنا الإبستيمولوجية الباشلارية إلى مستوى آخر في تكوين نظرتها حول تاريخ العلوم مستوى مفهوم العائق الإبستيمولوجي والحقيقة أنه إذا كان باشلار قد أكد غير ما من مرة وفي غير ما موضع في كتاباته على أن الاهتمام بالخطأ في دراسة الممارسة العلمية، بل في تاريخ تكوينها وتطورها بكثير بالنسبة للابستيمولوجيا ومن الاقتصار على أبرز النتائج والحقائق فإنه بإنتاجه لمفهوم العائق إنما قد خطى خطوة حاسمة لا على صعيد البلورة النظرية الدقيقة أطروحة الخطأ هذه وحسب ولكن أيضا على صعيد إدراك الصيرورة التاريخية الملموسة لتكوين المعرفة العلمية[1].

إن باشلار يرى بأن المعرفة العلمية أثناء تطورها تصطدم بمجموعة من العوائق التي يمنعها من مواصلة مسيرتها التاريخية لأن هذه الأخيرة هي بمثابة عراقيل تعيق الفكر وتمنعها من التقدم.

"إن الفكر العلمي يصطدم بعوائق أساسية عليه تجاوزها كشرط ضروري لقيامه والدراسة الإبستيمولوجية لتاريخ هذا التكوين تقتضي أساسا التعرف على طبيعة هذه العوائق وكيف تم القضاء عليها من أجل تحرير العقل العلمي من تاريخه الماقبل العلمي ومن بين هذه العوائق الإبستيمولوجية التي تعرقل المعرفة العلمية هي كالآتي:

عائق التجربة الأولى يقول باشلار: "إن العائق الأول في تكوين فكر علمي هو التجربة الأولى أي التجربة القائمة قبل وما فوق النقد النقد الذي هو بالضرورة عنصر مدمج للفكر العلمي"[2].

إن هذا القول يوضح أن العائق الأول أمام الفكر هو التجربة التي تمنعه من تكوين معرفة موضوعية إن هذه الأخيرة القائمة على عنصر النقد الذي يهدم الأسس والمبادئ التي كانت تقوم عليها المعرفة العلمية.

---

[1] – محمد هشام: تكوين الممارسة الابستيمولوجية عند باشلار، المرجع السابق، ص 194.

[2] – محمد هشام: تكوين الممارسة الابستيمولوجية عند باشلار، المرجع السابق، ص 196.

"ان أطروحته التي تقرر بأن الفكر العلمي يجب أن يكون ضد الطبيعة، ضد ما يمثل فينا وخارجنا اندفاع وتوجيه الطبيعة ضد الانجذاب الطبيعي ضد المعرفة الملونة والمتنوعة"[1].

إن نقده هذا كان موجه إلى علوم القرن الثامن عشر من خلال تركيزه على العلوم الطبيعية بأن يرى أنه يجب على الفكر أن يكون مستعد المواجهة الطبيعية وما تفرضه عليه من قوانين لأن الفكر في نظره لم يصل إلى المرحلة النضج والتطور في تلك المرحلة.

"في القرن الثامن عشر طرحت بالضبط معادلة جوهرية بين المبادئ الثلاثة النار الكهرباء النور بعبارات أخرى كانت الكهرباء مأخوذة في السمات البديهية للشرارة الكهربائية فإذا الكهرباء نار ونور"[2].

إن الفكر في القرن الثامن عشر كان يعتبر الكهرباء هي عبارة عن نظر طبيعي يجعل منه علما سهلا تشتغل به قطاعات معينة من الناس إن هذا العلم سيطرت عليه التجربة الجوهرية أي لا يبحث فيه عن قانون بل أن مفهوم الكهرباء في ذلك الوقت كان يفسر بطريقة خرافية بعيدة كل البعد عن التفسير العلمي.

هكذا فالمعرفة المتداولة لا تستطيع أن تتطور لأنها راسخة في القيم الأولية وهي لا تستطيع أن تغادر الأولى وعندهما دائما من الأجوبة أكثر مما عندها أسئلة بل أن عندها أجوبة عن كل شيء[3].

إن موقف باشلار من المعرفة العامية هو أنها قابلة للتطور، أي لا تغادر تجربتها الأولى لأن هذه المعرفة أثناء تفسيرها لمعارف أخرى فهي تعتمد على الخرافة والحكاية وهي معارف خيالية بعيدة عن الموضوعية لأن الناس في القديم عندما كان الشخص يريد السفر فينهض في الصباح الباكر وإذا صادفه طائر أسود فيعتقد بأن سوف يحدث له شيء إن هذا التفسير يعتبر خرافي ميتافيزيقي.

---

[1] – المرجع السابق، ص 197.

[2] – باشلار غاستون: العقلانية التطبيقية، المصدر السابق، ص 195.

[3] – المصدر نفسه، ص 194.

بالإضافة إلى أن هنالك صورة أخرى للعائق الإبستيمولوجي يسئمها باشلار عائق المعرفة العامية حيث يقول: لا شيء أبطأ تقدم المعرفة العلمية كما المذهب الخاطئ للعام الذي ساد من ارسطوا سيكون والذي لا يزال يشكل بالنسبة للكثير من المفكرين مذهبا أساسيا في المعرفة[1].

إن عائق التجربة العامية في نظر باشلار هو الذي عرقل تطور المعرفة العلمية لأن الناس كانوا يفسرون المعارف انطلاقا من تصور ميتافيزيقي بعيد كل البعد عن التصور العلمي، لهذا أثبت أن العلم في تلك الفترة كان يعتمد على التفسير الحسي للأشياء.

"ومن بين العوائق الإبستيمولوجية الأساسية التي تعترض تكوين الفكر العلمي هنالك عائقان يشكلان ربما أكثر من الحواجز المعرفية تجدرا وأصعبها تجاوزا وهما مايسميه باشلار على التوالي بالعوائق للجوهري والعائق الإحيائي حيث يقول: "**إن العائق الجوهري ككل العوائق الإبستيمولوجية متعدد الأشكال فهو مكون من تجميع للحدوس الأكثر تبددا بل الأكثر تعارضا ويميل طبيعي جدا يوقف التفكير علمي حول موضوع معين كل المعارف التي لها الموضوع فيها دور دون الاهتمام بتراتب الأدوار التجربية فهو يوجد مباشرة بالجوهر كل الكيفيات المتنوعة السطحية منها والعميقة الظاهرة منها والخفية**"[2].

إنه يظهر خطورة العائق الجوهري والإحيائي حيث اعتبرهما يعرقلان تطور المعرفة العلمية لأن الأول يتعلق بالحدس إن هذا العائق في نظر باشلار يمنع الفكر من التطور والتقدم.

ينبه باشلار في تحليله لهذا العائق على أن المشكل الذي يريد أن يقاربه تحت اسم العائق الإحيائي يتعلق بالكيفية التي جعلت العلوم الفيزيائية تتخلص من الإحيائية والمقصود بالإحيائية هنا هي فهم باشلار هو حدس معين عن الحياة مارس حضور كثيفا

[1] – محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستمولوجية عند غاستون باشلار، المرجع السابق، ص ص 197–198.

[2] – محمد وقيدي: فلسفة المعرفة عند باشلار ، المرجع السابق، ص 112.

في العلم الفيزيائي بواسطة امتداد احتياطي لا مشروع خارج ما يمكن لأن يشكل المجال الخاص لوجوده[1].

لقد أعطى باشلار أمثلة كثيرة تبرهن على أن عائق التجربة الأولى يمنع المعرفة العلمية من التطور بالإضافة إلى أن هنالك عوائق أخرى و مثل العائق الإحيائي والجوهري، الذين اعتبرهما من أكبر العوائق خطورة على بنية الفكر.

"ويرى الحقيقة العلمية تأتى عن طريق عقلنة التجربة من خلال أن الماء هو الذي يقاوم الجسم، وهنا تتولد المعرفة العلمية من خلال هدم المعرفة التي تكون عن طريق التجربة الأولى"[2].

إن المعرفة العامية هي بمثابة العائق الذي يمنع الفكر من الوصول إلى المعرفة العلمية الموضوعية، إنه يدعوا إلى هدم الركام القديم من أجل بناء فكر علمي جديد قائم على إحداث القطيعة الإبستيمولوجية بنيه وبين المعارف السابقة.

"إن باشلار يرى أن للتعميم دورا ديناميكيا في القدم الفكر العلمي وفي فهم الظواهر من خلال نقل الفكر من تبدد الواقع إلى وحدة القوانين التي تفسرها"[3].

من هنا تبرز أهمية التعميم الذي هو عبارة عن صياغة قانون عام ونقوم بتعميمه على كل الظواهر لأن لهذا الأخير دور بارز داخل المعرفة العلمية ويعتبره باشلار في حالة واحدة لا يكون عائقا عندما يقوم بتفسير الظواهر وعندما يتسرع العالم بتعميم هذا القانون على كل الظواهر فإنه يعتبر عائقا.

"ومن بين الأمثلة التي قدمها غاستون على مفهوم التعميم واعتبره بمثابة العائق الإبستيمولوجي نجد المثال الذي يستند إليه أساتذة الفلسفة من خلال استقراء الوقائع الجزئية من أجل صياغة القوانين العلمية العامة من خلال وصفهم سقوط الأجسام المتنوعة فيستخلصون قانون وهو كل الأجسام تسقط"[4].

---

[1] – محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية عند باشلار، ص ص 201 –203.

[2] – المرجع نفسه،ص 112.

[3] – نفسه، ص 113.

[4] – محمد هشام: تكوين الممارسة الابستيمولوجية عند باشلار، المرجع السابق، ص 114.

يرى باشلار أن هذه التعميمات غير دقيقة ولا توصلنا إلى معرفة علمية ودقيقة فإننا نجد في الفيزياء من خلال التجارب التي كان يقدمها العملاء حول سقوط الأجسام أو لا يصلون إلى نفس التعميم بل يقدمون تعميمات أكثر دقة ووضوح وهي أن كل الأجسام تسقط بنفس السرعة.

"بالإضافة إلى تعميمات أخرى يستخدمها علماء القرن الثامن عشر وكانت بمثابة عوائق ابستيمولوجية منعتهم من الوصول إلى الدقة العلمية لأنها تعميمات متنوعة وسهلة وغير معقدة وهو يبرهن على ذلك، لقد عرف أحد علماء القرن الثامن عشرالإختمار كالآتي: "**حركة داخلية تحدث من تلقاء نفسها بين الأجزاء غير المحسوسة بجسم ما فينتج عنها توافق جديد وتركيب جديد لنفس الأجزاء**"[1].

ماهو ملاحظ هنا أن علماء القرن الثامن عشر كانوا يعممون ظاهرة إلا على كل الظواهر فهي في نظرهم تحدث بنفس الطريقة والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل نستطيع أن تقول أن كل الظواهر لها نفس الطريقة في الاختمار؟ أن التعميم هنا يحتاج إلى الدقة وهنا نرى أن التعميم في القرن الثامن عشر والتاسع ليس نفسه بل هنالك تطور في المعارف وفي صياغة القوانين بدقة وصرامة.

"بالإضافة إلى هذه العوائق فهنالك عائق آخر هو العائق الفلسفي ويظهر من خلال مايلي بأن الفلسفة في تاريخ علاقتها بالعلوم قد قدمت كثير من الأفكار والنظريات العامة التي يمكن أن تعتبرها عوائق ابستيمولوجية أما بالنسبة لتطور المعرفة العلمية بصفة عامة أو بالنسبة لتطور هذا العلم الخاص أو ذلك[2] إن علاقة الفلسفة بالعلوم الأخرى أثناء مسيرتها التاريخية هي بمثابة العائق الإبستيمولوجي الذي منع الفكر من القدم لأن الفكر الفلسفي القديم جاء بنظريات مختلفة كل واحدة تفسر المعرفة حسب الاتجاه الذي تريده أن هذا التعدد والتشعب في ميدان الفلسفة اعتبر عائق. "بالإضافة إلى هذه العوائق فهنالك عائق آخر حيث اعتبره باشلار عائق غريب وهو العائق اللفظي الذي

[1] – وقيدي محمد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار،المرجع السابق، ص 115.

[2] – وقيدي محمد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، المرجع السابق، ص 126.

ينتج عن امتداد غير موضوعي لمفهوم أو للفظ يجعلهما يعبران عن ظواهر غير تلك التي وجد لأجلها أصلا وكمثال على ذلك لفظ الإسفنجة"[1].

لقد اعتبر باشلار العائق اللفظي عائق غريب والمقصود به هو استخدام الألفاظ في غير موضعها مثال على ذلك لفظ النمو لا يمكن أن نستعمله داخل العبارة التالية فنقول العلم ينمو نحو اتجاه التقدم بل الموضع الصحيح لها اللفظ هو كالآتي الطفل الصغير ينمو بسرعة فيصبح اللفظ الأول عائق يمنع العلم من التطور ويعرقل مساره التاريخي.

"ويؤكد باشلار على أن العائق اللفظي يمنع من الوصول إلى الموضوعية العلمية في مثال يعطيه في قوله الآتي يقول: "**هنا تتناول كلمة الاسفنجة البسيطة وسنرى أنها تسمح بالتعبير عن الظواهر الأكثر تنوعا ذلك أنه عندما نعبر عن هذه الظواهر نعتقد أننا قمنا بتفسيرها وعندما نعترف بها نعتقد أننا نعرفها بدأ أن العقل في إطار الظواهر المشار إليها بكلمة اسفنجة ليس ضحية خداع والقوة الجوهرية فوظيفة الاسفنجة هي من البداية الواضحة والمتميزة بحيث لا نشعر أننا في حاجة إلى تفسيرها وعندما نفسر الظواهر من خلال الاسفنجة فإننا لا نشعر بأننا نغرق في جوهرانية مبهمة كما أنه لا يتولد لدينا الانطباع بأننا نصنع النظريات لأن هذه الوظيفة اختيارية برمتها**"[2].

إن هذه المقولة تبين أن كيف يمكن للفظ أن يكون بمثابة العائق الإبستيمولوجي للمعرفة العلمية ويعطي باشلار مثال على ذلك مثل لفظ الاسفنجة التي خاصيتها هي شرب الماء لكن نجدها توظيف آخر من أجل التعبير عن ظواهر أخرى كالهواء من خلال التسرب لكن هذا الخلط في مواطن استعمال الألفاظ تولد عنه عوائق منعت العلم من تحقيق الدقة والموضوعية في المعرفة العلمية إن باشلار يريد أن ينبه إلى أكبر مشكلة وهي أنه يجب على العلماء أن يستخدموا المفاهيم والألفاظ بدقة وموضوعية.

"غاستون باشلار في التعريفات والشروط التي تتجلى داخل الروح العلمية من أجل أن يقدم العلم كأي عمل صارم يعترض المعرفة العلمية من عقبات ابستيمولوجية تمنعها

---

[1] – مهيبل عمر: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2005، ص 89.

[2] – المرجع السابق، ص 90.

من التطور ومن أجل ذلك استخدم النقد للكشف عن العوائق ا لابستيمولوجية من أجل طرح المشكل داخل المعرفة العلمية حيث اعتبر أخطاء الماضي التي وقع فيها العلماء هي السبب في عرقلة نمو العلم وهو يدعوا إلى تدمير المعرفة الماضية التي منعت الفكر من التقدم من أجل تحقيق الروح العلمية داخل المعرفة العلمية[1].

من خلال هذا نستنتج أن باشلار داخل المعرفة العلمية من أجل تحديد العقبات التي تمنع هذه الأخيرة من التطور حيث اعتبر المعرفة الماضية هي بمثابة الحاجز الذي يمنع من تحقيق الروح العلمية داخل المعرفة العلمية.

[1] – jean marc besse,precis de philosophie ; nathan,p 133

الفصل الثالث

المؤديدون والمعارضون للمشروع الباشلاري

المبحث الأول: الثورة والتعدد البراديغمات عند توماس كون

المبحث الثاني: القطيعة واللاتواصل عند تويسري وميشال فوكو وكانغيلام

المبحث الثالث: أهم الإعتراضات العلمية التي أنتقد عليها باشلار

المبحث الأول: الثورة والتعدد البرديغمات عند توماس كوهن

لقد ظهر تيار آخر في القرن العشرين، يرى أن المعرفة العلمية تتطور عن طريق الإنفصال، بمعنى أنه لا يوجد إتصال بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية، ويعتبر توماس كوهن من أهم مناصرين هذا التيار، الذي نادى بالثورة وتعدد البراديغمات في المعرفة العلمية ، إنه يؤيد باشلار فيما ذهب إليه، لكن بطريقة مختلفة وبنظرية، أخرى ومن هنا نطرح السؤال الآتي:ماهي النظرية العلمية التي جاء بها توماس كوهن(*)؟ التي من خلالها أثبت أن العلم يتطور عن طريق الانقطاع والانكسار. "إن المعرفة العلمية عنده هي مجموعة من الظواهر المترابطة، وعليه على الأرجح أن يواجه نوعا ثانويا من نمط من تاريخ علم البصريات الفيزيائية، فنجده في الكتب المدرسية المتعلقة بالفيزياء مثل قصة الضوء مؤلف من فوتونات، أي أن الأجسام كمية حركية تتمتع ببعض خصائص الموجات وبعض الخصائص الجسميات"(1). إن توماس كوهن هنا يضع مقارنة بين النظريات العلمية القديمة والمعاصرة، ويعطى مثالا على ذلك حول مفهوم الضوء، حيث كان تفسيرا قديما عن طريق اعتبار أن هذا الأخير عبارة عن الجسميات الصغيرة، ولكن التطور الذي حدث في القرن العشرين، جعل مكانة تلك النظريات تهتز، ويعاد مراجعتها من أجل تجاوز ثغرات الموجودة في بنيتها، مما أدى إلى التغيير في محتوى هذه النظرية وأصبح ينظر على الضوء نظرة مخالفة للأولى.

---

* توماس كون ولد (1922–1996)مفكر أمريكي أنتج بغزارة في تاريخ العلوم وفلسفة العلوم، نال شهادته الجامعية في الفيزياء من جامعة هارفارد عام 1943،ثم الماجستير في 1946، ومن ثم درجة الدكتوراه في 1949، شهرته العالمية من خلال كتابه بنية الثورات العلمية 1962. طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة ،الفلاسفة ،المناطقة المتكلمون اللاهوتيون المتصرفون،ص 540

1– توماس كون: بنية الثورات العلمية،تر،حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، 2007، ص 65.

"خلال القرن الثامن عشر وفر نيوتن الذي حمل عنوان البصريات براديغم لهذا العقل المعرفي، علما أن الضوء هو عبارة عن جسميات مادية، وقد وجد علماء الفيزياء آنذاك الدليل على صحة رأيهم في الضغط الذي تبذله جسميات الضوء لدى اصطدام بأجسام الصلبة، وهو مالم يحاول فعله علماء النظرية الأوائل". [1] "إن توماس كون يؤكد أن الثورات العلمية غيرت مجرى العلم، أن مفهوم الضوء عند نيوتن ليس هو في القرن العشرين إن نموذج العلمي الجديد هو أن علماء الفيزياء اكتشفوا أن الضغط الذي تبذله الجسميات، ليس كما كان سابقا". "وقد وصف توماس معظم تاريخ العلم الذي قابله بأن قيمته لا تتعدى قيمة الدليل السائح، وهو مضلل أساسا، فالمبدأ الموجه في وصف تاريخ العلم، وكذلك مفهوم التطور عن طريق التراكم، كان عرضه لهجوم قاسي من قبل ثورة التاريخ المكتوب التي كانت بادئة لتوها، إن العلم العادي بالنسبة لكون هو محاولة شاقة ومتفانية لسجن الطبيعة في علب تصوراتي تقدمها التربية المهنية، والمبنية على أساس فرضية أن المتحد العلمي يعرف ما هو عليه"[2]. إن تاريخ العلم في نظر توماس كون، هو منعرجات وإنكسارات وإنفصالات وأزمات، حيث ينتج عن ذلك ثورات علمية، تؤدي إلى تغيير في بنية الفكر العلمي،مما تتولد عنه قطيعة إبستيمولوجية بين كل فترة وأخرى إنه يؤكد على أنه لا يوجد إتصال علمي، بدليل هذا التغير الذي حدث عقبه مباشرة ظهور نظريات والمناهج جديدة، أحدثت قطيعة مع العلم الكلاسيكي.

"إن تفحص لحظات الإنعطاف الرئيسية في التطور العلمي في أعمال كوبرنيكوس ونيوتن واينشتاين، يبرز كون الملامح الآتية التي يعتبرها صفات الثورة العلمية هنالك

1– توماس كون: بنية الثورات العلمية، تر: حيدر الحاج اسماعيل، المرجع السابق، ص 66.

2- باتريك هيلي: صورة المعرفة مقدمة لفلسفة العصر المعاصر، المرجع السابق، ص ص 155–156.

رفض لنظرية مفصلة لصالح أخرى غير متوافقة معها، هنالك انزياح في المشكلة لصالح التمحيص ومعايير التقويم"[1]

إن كون يبرز ملامح الثورة العلمية، من خلال أعمال اينشتاين وغاليلي ونيوتنمن خلال النظريات العلمية التي جاؤوا بها حيث غيرت مجرى التاريخ، وحدث انقلاب على النظريات الكلاسيكية، مما أدى إلى تغيير في الأسس والقوانين، التي كان يعتمد عليها العلم إنها بمثابة الهزة التي قضت على كل ما بناه العلماء.

"استخدم كون مصطلح البراديغم* في مجال عريض من المعاني المتباينة فإضافة إلى كونه نموذجا، فهو مساعد على الكشف، وهو مجموعة من إيضاحات محورية، وشبه معيارية لنظريات مختلفة في تطبيقاتها التجريبية والرصدية والتصوراتية " [2]

لقد وضف كون مفهوم النموذج بمعاني مختلفة، من أجل الكشف عن بنية المعرفة العلمية، حيث برهن على أن النموذج العلمي يستخدم إيضاح أو إكتشاف نظريات مختلفة، لأن هذا الأخير يوظف من أجل تفسير أي نمط من أشكال المعرفة العلمية، لهذا نجده يتخذ معاني مختلفة من خلال استعماله داخل تارة يفهم على أساس أنه مثال للتوضيح، ومرة أخرى هو بمثابة نظرية علمية، ومرة أخرى نعتبره شكل من الأشكال وضح من خلاله أي معنى .

"إن البحث القائم على البراديغم يكون موجها جدا، وتقتضي البراديغمات تعريفا جديدا وأكثر صلابة للمجال، بتشكيل المجلات والجمعيات التخصص العالي، التي لا تطلب الحاجة لإرساء مبادئ أولية أو لكل مفهوم كما طرح، وهو أمر يمكن أن يترك

---

[1]– باتريك هيلي: صورة المعرفة مقدمة لفلسفة العصر المعاصر، المرجع السابق، ص ص 160.

*– براديغم: هو مجموعة قوانين، وتقنيات وادوات مرتبطة بنظرية المعرفة العلمية والتي بها يمارس الباحثون عملهم ويديرون نشاطاتهم (توماس كون، بنية المعرفة العلمية، المرجع السابق، ص 340.)

[2]– المرجع نفسه، ص 160.

للكتب المدرسية، والفجوة بين المعلمين المهنيين، والمجتمع تنتهي من ثم إلى آلية متأصلة في التقدم العلمي"[1].

يدعو توماس هنا إلى مفهوم النموذج ، ضبطا جيدا من خلال الموضع الذي استخدم فيه، إن هذا العمل يجعل من المتخصصين في أي ميدان أن يكونوا على علم بما يجري داخل أماكن العمل، ولهذا أن النموذج هو بمثابة المقياس الذي تقاس به الأعمال اليومية، سواء كان ذلك في الحياة المهنية أو الخاصة.

"لقد كتب توماس في ترتيب الثورات العلمية ، يصف لنا ما يحدث داخل العلم قائل: "**إن العلماء خلال الثورات العلمية يشاهدون أشياء جديدة ومختلفة حيث ينظرون بالآلات المألوفة، من نفس الأماكن التي نظروا منها من قبل والسبب في ذلك أن تغيرات النموذج،تجعل العلماء فعلا يشاهدون عالم أبحاثهم الخاصة بطريقة مختلفة تماما ،عن ذلك العالم الذي كانوا ينتمون اليه من قبل**"[2].

إن هدف كون من خلال كتابه بنية الثورات العلمية ،وهو وصف ما يحدث داخل العلم من تطورات مست كل الميادين ،خاصة الفيزياء والكيمياء و البيولوجيا، مما تولد عنه في النموذج المستخدم من طرف هؤلاء بهدف بناء صرح علمي يقوم على الموضوعية العلمية.

"وكانت النتيجة جعل تاريخ العلم يبدو خطيا أو تراكميا، وهو الميل الذي يؤثر في العلماء الذين يعيدون النظر في أبحاثهم أيضا، فمثلا أظهرت شروح دالتون الثلاثة

---

[1]– باتريك هيلي: صورة المعرفة مقدمة لعلم معاصر، المرجع السابق، ص 164.

[2]– محمد علي ماهر:عبد القادر، نظرية المعرفة العلمية درا النهضة العربية، بروت، (د،ط)، ص 75.

المتناقضة لتطور مذهبه الذري الكيميائي أنه كان مهتما منذ وقت مبكر بتلك المشكلات وحلولها لم تخطر على فكره إلا عندما أشرف عمله الخلاق على النهاية تقريبا"[1].

إن هذه الأدلة التي يقدمها كون من خلال كتابه بنية الثورات العلمية، كدليل قاطع على أن العلم يتطور من خلال الانفصال والثورة على القديم، أي استبداله بالجديدة، إن كون يعطي مثالا على نظرية دالتون، منة خلال شروحه الكميائية التي توصل في الأخير على أنها متاقضة، ولا يمكن تطبيقها. إن كون يرى أن العلم المعاصر هو بحاجة إلى نموذج جديد، يفرض نفسه من خلال المساهمة بالجديد.

"وبفضل مصطلح البراديغم تمكن كون من شرح وجهة نظره في تاريخ العلم، فرآه عبارة عن تاريخ البراديغمات المتعاقبة مختلف أحدها على الأخر اختلافا نوعيا إلى الحد الذي لايمكن مقارنتها، كما قال:**(وليس العلم كما قاله آخرون من مؤرخين العلوم وفلسفاتها العملية التراكمية الممتدة لا يعتريها انقطاع** "[2].

إن تاريخ العلم في نظر كون هو عبارة عن أزمات و انقطاعات،ولا يعرف الاتصال بل أن أصحاب الاتجاه الاستمراري كانوا خاطئون حين اعتبروا أن المعرفة العلمية تتطور عن طريق التواصل مع المعارف الأخرى ،بل إن مسار العلم هو عبارة عن انزلا قات وتراجع حيث نجد أن موقف كون يشبه غاستون باشلار الذي تصور أن تاريخ العلم، هو تصحيح أخطاء العلم ،دعا إلى إحداث قطيعة إبستمولوجية بين المعرفة العامية و المعرفة العلمية ،من أجل تحقيق الموضوعية العلمية في المعرفة العلمية ،لقد إعتبر توماس كون إن كل مرحلة من مراحل العلم يوجد لها براديغم معين ،وإن هذا الأخير يدوم مدة زمنية معينة ،ثم يزول بحلول نموذج اخر الذي يكون أكثر قوة وسيطرة

[1]– توماس كون: بنية الثورات العلمية، المرجع السابق، ص 283.

[2]–المرجع نفسه،ص240.

من الأول، وهكذا دواليك، لأن العلم هنا بحاجة إلى التحديد في مناهجه وقوانينه، من أجل مسايرة الفكر العلمي الجديد.

"إن موقف توماس كون يكمن في القول أن كل فترة من تاريخ العلوم تتميز بما دعاه براديغم، وهو ما يعني وجود تصور خاص يؤسس النموذج المثالي للنظرية العلمية، ويوضح المعايير التي يمكن أن يعتبرها كل بحث علميا والمعايير التي تحدد خطوط البحث وتوجهاته فالبراديغم هو الإطار المعرفي الذي تتبلور ضمنه المعارف العلمية في فترة معينة من تاريخه"[1].

إن برهنة توماس كون على أن تاريخ العلم هو تاريخ العلم هو تاريخ قطائع، من خلال التنوع في البراديغم المستخدم من طرف العلماء، إن هذا الأخير يدل على العلم في مساره التاريخي يعرف الإظطراب والإنزلاق، مما يتولد عنه التعدد والتنوع في المناهج والنماذج، إن كون يؤكد على أن العلم على أن العلم المعاصر بحاجة إلى المناهج والنموذج، إن كون يؤكد على أن العلم المعاصر بحاجة إلى نموذج أكثر دقة ويقين، من النماذج الأخرى.

"إن بياجي لا يعترض على إستخدام مصطلح البراديغم، للدلالة على الإطار المعرفي بل يرى أن هنالك براديغم آخر وهو البراديغم المجتمعي، ويقصد بياجي بذلك الإشارة المجتمعة العامة التي تؤثر في تطور الأفكار العلمية وتوجيه مسارها التاريخي وهنا بياجي لا يتفق مع توماس كون بل يجد نفسه قريبا من فيلسوف القطيعة غاستون باشلار من خلال ما دعاه بالعائق الإبستيمولوجي الذي يمنع المعرفة العلمية من تطور، إنه عائق يوجد داخل المعرفة العلمية وليس من الخارج"[2] .

---

[1]– وقيدي محمد:الإبستيمولوجيا التكوينية للعلوم،المرجع السابق،ص 257.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 257–260

إن الثورة العلمية التي حدثت داخل العلم جعلت النماذج تتغير الزمان والمكان، مما أدى إلى إحداث قطائع إبستيمولوجية بين كل نموذج وآخر،وهكذا نجد أن بياجي لا يعترض على مصطلح البراديغم، بل إنه لا يتفق مع كون من خلال تصور عمل النموذج، بل إن هذا الأخير يؤكد على أنه قريب من التصور الباشلاري، الذي رأى أن المعرفة العلمية تعترضها مجموعة من العوائق الإبستيمولوجية التي تمنعها من تحقيق الموضوعية العلمية". يرى توماس كون أن المعرفة مهما تراكمت فلا زيادة فيها، بل هي تكرار لنموذج واحد، وأن المعرفة لا تنموا إلا عن طريق الثورات، معناه الخروج من النموذج القديم إلى النموذج الجديد".[1]

لقد رأى كون أن المعرفة العلمية مهما تطورت عن طريق الإتصال وتراكمت، فإنها تبقى كما هي دون أن يحدث أي تغيير ويبقى النموذج يتكرر في كل وقت، والسبيل للخروج من ذلك هو أن يحدث داخل العلم إنقلاب في البنية التكوينية للفكر القديم، من خلال تجاوز البراديغم القديم بآخر جديد.

وهكذا قسم كون العلم إلى نموذجين هما نموذج قياسي ونموذج ثوري، والنموذج القياسي هو العلم الذي رسخ بنيانه على إنجاز أو اكثر من إنجازات الماضي العلمية، وتعتبر هذه الأخيرة الأساس للممارسات العلمية مستقبلا [2].

كان كون يهدف من خلال تقسيمه للعلوم إلى إبراز النموذج الثوري الذي زعزع النظريات الكلاسيكية ، التي كانت ترى بأن بنية العقل ثابتة ومطلقة ، ومن هنا رآى أن تاريخ العلم هو تكرار للأفكار والنظريات، إذ لابد من ثورة علمية تغير مجرى العلم ، وتستبدل النماذج القديمة بأخرى جديدة، وإنه ليس من السهل التخلي عن القديم من أجل

[1]– شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم، مدحل لفلسفات العلوم، المرجع السابق، ص 141.

[2]– المرجع نفسه ، ص 142.

الجديد، لأن أصحاب النظريات الكلاسيكية لا يتخلون على مواقفهم، التي كانت مسيطرة لمدة زمنية معينة. "أما كيفية ظهور النموذج الجديد، فهو كما يقول كون:(حدث فجائي نسبيا، وغير محدد المعالم تماما مثله مثل تحول الجشطالتي ، أي إنقلاب في رؤية الأشكال ، وغالبا ما يتحدث العلماء عن سقوط الغشاوة عن العين، أو عن ومضة البرق[1].

يرى كون أن التغير في النموذج ليس سهل بل إن هذا الأخير يحدث عندما يصبح العلم، يعيش أزمة علمية، فهو بحاجة إلى التخلي على النموذج، الذي كان يعتمد عليه من أجل إستبداله بآ خر، مثل مافعل بقوانين الوراثة عند مندل، حيث أصبح هذا النموذج لا يتلائم مع التطورات العلمية، فظهر براديغم آخر والمتمثلة في أعمال مورغان، التي تفسر الجينات الوراثية .

"إن كون يرى أنه من الطبيعي ظهور نموذج إرشادي جديد وإذا ظهر فلا بد له من مقارنته مع النموذج القديم، وهذا في نظره مستحيل، وهذا راجع إلى أن النظريات الكلاسيكية لاتتجانس مع النظريات العلمية الجديدة لأن كل واحدة منهما تختلف في التعريف والمفهوم الذي تعطيه للعلم" [2].

يوضح هذا مهما كان الإختلاف بين النموذج القديم والجديد إلا أنه توجد أشياء مشتركة بينهما:أولا النموذج الأول يولد دائما عن النموذج القديم معناه إنطلاقة الأول تأتي من حيث إنتهلى النموذج القديم وهذا يؤدي إلى تغير في اللغة والمفهوم، من النموذج القديم إلى النموذج الجديد.

[1]– شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم، المرجع التسابق، ص 143.

[2]– المرجع نفسه، ص 144.

ويقول توماس كون:"**وحتى يكون أكثر دقة، فإننا قد نضطر إلى التخلي عن الفكرة القائلة ،صراحة أو ضمنيا، إن تغيرات النموذج الإرشادي تقود العلماء وهم من يتلقون العلم عنهم، في سبيل تقترب بهم أكثر فأكثر من الحقيقة** "[1] .

إن هذه المقولة تبين أن النموذج الإرشادي، لا يعطي الحقيقة التامة التي لا يمكن الطعن فيها، بل هو كذلك يمكن أن يزول ويظهر من خلاله نموذج آخر يحل محله، إن تطور المعرفة العلمية يكون من خلال الثورة التي تخرجها من الأزمة إلى الدقة والموضوعية. "لم يقدم كون في كتابه تركيب الثورات العلمية لتميز العلم لقد أزاح جانبا فقط ، معيار التكذيب لبوبر وهو يقدم الآن معيارا بديل من عنده".

كان كون يهدف من خلال كتاب الثورات العلمية ، إلى إزاحة المبدأ الذي جاء به كارل بوبر وهو معيار التكذيب داخل المعرفة العلمية، فنجد كارل بوبر يرى أن علم التنجيم، هو علم كاذب ويحتاج إلى فحص دقيق لأن المنجمون عندما يفسيرون العلم فينطلقون من العوامل الذاتية لديهم من خلال هذا يريد كون أن يقدم بديل آخر متمثل في الثورة العلمية على القديم من خلال إستبداله بالجديد، في سبيل تطوير العلم.[2]

يرى كون إن المجتمع العلمي على خط متوازي مع المجتمع الديني، ويرى العلم كعقيدة للعالم فإذا كان الأمر كذلك، فإن المرء يستطيع الآن يرى لماذا يرفع من مكانه العلم السوي فوق الشاذ، لأن العلم الشاذة يوافق بالنسبة للجانب الديني، فترة الأزمات والإنشقاق والإضطراب واليأس وكارثة روحية [3].

---

[1]– شمس الدين جلال: البنية التكوينية لفلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 145.

[2]– محمد علي ماهر عبد القادر ، مقالات نقدية في التركيب الثورات العلمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 71.

[3]– المرجع نفسه، ص 79.

لقد وضع كون العلم بمثابة العقيدة التي تسير العالم، وأن المجتمع العلمي في تساوي مع المجتمع الديني، من هنا يستطيع الإنسان أن يميز لماذا وضع العلم هنا كأساس للمجتمع، عندما كان الدين يعرف فترة من الاضطرابات والأزمات، كان لابد من العودة إلى العلم، من أجل وضع قوانين تتلائم مع متطلبات الدينية لأن الدين يحتاج إلى العلم منة أجل بناء تصوره الديني، لقد اعتبر توماس كون أن كل مرحلة من مراحل العلم، يوجد لها براديغم معين، وإن هذا الأخير يدوم مدة زمنية معينة، ثم يزول بحلول نموذج آخر الذي يكون أكثر قوة وسيطرة من الأول، وهكذا فإن العلم هنا بحاجة إلى التجديد في مناهجه وقوانينه من أجل مسايرة الفكر العلمي الجديد. إن برهنة توماس كون على أن تاريخ العلم هو تاريخ فضائح، من خلال تنوع البراديغم المستخدم من طرف العلماء. إن هذا الأخير يدل على أن العلم في مساره التاريخي يعرف الإضطراب والإنزلاق، مما يتولد عنه التعدد والتنوع في المناهج والنماذج، إن كون يؤكد على أن العلم الماصر بحاجة إلى نموذج أكثر دقة ويقين، من النماذج الأخرى.

"وإلى مثل هذا المنظور ينتمي"توماس كون"الذي نظر للعلم على أنه يعمل من خلال نموذج معين، فالعلماء في الفترات العلم السوي، يعملون وفق نموذج ثابت يكشف عنم الخصائص تختلف عن فترة أخرى، يسودها علم سوي آخر، وفترات الثورات العلمية، لايسودها نموذج معين، وإنما هي فترة تحول جذري في تاريخ العلم والنظرية العلمية أيضا[1].

من خلال هذا نستنتج أن العلم في نظر كون يتطور من خلال الثورة العلمية التي هي بمثابة القضاء على القديم وإستبدال بالجديد، إن هذا الأخير يفترض أن لكل مرحلة من مراحل يسود نموذج معين حيث يكون بمثابة ثورة على النموذج.

[1]– محمد علي ماهر عبد القادر: فلسفة العلوم قراءة عربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص 119.

المبحث الثاني: القطيعة واللاتواصل في المعرفة العلمية (فوكو، التوسير، كانغيلام):

إستفادت البنيوية كثيرا من الإبستيمولوجيا الباشلارية، التي كانت تقوم على النقد و إحداث قطيعة إبستيمولوجيا مع التراث القديم، من أجل بناء فكر علمي جديد يتلائم مع التطورات العلمية الراهنة، هذا ما دعى بالبنيوية إلى أن تقيم إبستيمولوجيا للعلوم الإنسانية، و من هنا نطرح الإشكال التالي: فيما يتمثل المشروع التأييدي الذي جاء به فوكو*والتوسير وكانغيلام؟.

أ- فوكو والقطيعة الإبستيمولوجية:

"تتفق الإبستيمولوجيا خاصة إبستيمولوجيا باشلار والبنيوية في محاربتها للنزعة الذاتية في الفلسفة ، فباشلار يعلن الحرب على الإختيارية، والفينومينولوجيا والوجودية ويقدم مفهوم جديدا وهو مفهوم العقل العلمي بوصفه مبدأ أساسيا للبحث"[1]. إن هذا يوضح أن الإبستيمولوجيا الباشلارية، لم تبقى مقتصرة فقط على الدراسات العلمية وإنما إمتد إستخدامها داخل العلوم الإنسانية، حيث تأثر تلاميذته به، وحاولوا إن ينقلوا مفهوم القطيعة الأبستيمولوجية إلى ميادين أخرى، من أجل تحقيق الموضوعية العلمية داخل العلوم الإنسانية، فنجد أن توسير حاول أن يطبق هذه النظرية على الماركسية. القطيعة الإبستيمولوجية داخل العلوم الإنسانية من خلال رؤية يقول فوكو: "**في هذا المجال لقد أدركنا فجأة ودون أسباب واضحة إننا قد بعدنا إلى حد كبير عن الجيل الذي سبقنا جيل سارتر وميرلوبنتي ،ومجموعة مجلة العصورالحديثة، الذي وضعوا قواعد الفكر ونماذج**

---

*- فوكو مفكر فرنسي (1926-1984) حصل على شهادة التبريز في الفلسفة ودرس في كلية الآداب في كاليرمون ولديه مجموعة من المؤلفات الداخلية، تاريخ جنون في العصر الكلاسيكي، 1961، (الطرابيشي جورج: معجم الفلاسفة، المناطقة، اللاهوتيون، المتصرفون/ المرجع السابق، ص ص 469 - 470).

[1]- بغورة الزواوي: المنهج البنيوي حث في الأصول والمادئ والتطبيقات، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، ط1، 2001، ص 56.

للحياة من قبلنا، وتمثلت القطيعة بين الجيلين عندما أخذ كل من ليفي ستراوس في تحليله الأنثروبولوجي للمجتمعات وكان في دراساته عن اللاشعور يؤكدان لنا أن ما نعده معنى للأشياء قد لا يكون سوى أثر ودعوته عابرة"[1] .إن فوكو هنا يتحدث عن القطيعة الإبستيمولوجية التي حدثت مع سارتر وميرلوبنتي ،و فترة العصور الحديثة إن تبلور هذه الأخيرة يظهر من خلال الممارسة العلمية لدى ليفي ستراوس أثناء التحليل الذي كان يقوم به في مجال الأنثروبولوجيا ،أي تحليل البنية الإجتماعية لدى المجتمعات،و من بين الأمثلة التي يوضح بها فوكو على أن العلوم الإنسانية أصبحت تعرف الدقة العلمية في موضوعها.

"نجد الطب فهو يرى أن الطب كان يتميز إبتداءا من القرن التاسع عشر بإعتماد أسلوب معين و بخصائص و سمات ثابتة تطبع طريقة التعبير أكثر مما كان يتميز بموضوعاته أو مفاهيمه و لأول مرة لم يعد الطب قائما على مجموعة من الأعراف و الملاحظات و الوصفات غير المتجانسة ،بل أصبح يمثل مجموعا متماسكا و منسجما من المعارف يستند إلى نفس النظرة الواحدة و المنسجمة للأشياء و بنفس التنظيم للحقل الإدراكي وبنفس التحليل للظاهرةالمرضية حسب الجانب المنظور من الجسم".[2]

إن هذا بين أت التطورات التي عرفتها العلوم خلال القرن التاسع عشر ،تثبت على إحداث القطيعة الإبستمولوجية بين الفكر القديم و الفكر العلمي الجديد ،وأبرز مثال على هذا أن الطب عرف تطورا كبيرا من خلال أساليبه و طرقه ووسائله ،يثبت هذا أنه تخلى عن الملاحظة البسيطة ،و مجموعة الوصفات التي كان يعتمد عليها ،فنستنتج من هنا أن هنالك قطيعة بين الطب القديم و الطب الجديد.

[1]– بغورة الزواوي: المنهج البنيوي حث في الأصول والمادئ والتطبيقات، المرجع السابق، ص 53.

[2]– فوكو ميشال: حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005، ص 33.

"و يرى ميشال فوكو بأنه كان يبدو له أن الطب يتكون أساسا من عبارات وصفية لكن إنتهت إلى ضرورة التخلي عن هذا الذي إنطلقت منه"[1]

إنه يؤكد على أن الطب تخلى عن كل الملاحظات البسيطة و الوصفات التي كان يعتمد عليها من أجل بناء نظرة طبية قائمة على الوح العلمية الجديدة "إن نظرية التطور في صنعها الأعم ربما هي واحدة لدى كل من بونوا دومايي و داروين لكن شروط تناسقها ليست متماثلة لديهم جميعا،ففب القرن الثامن عشر كان مضمون هذه النظرية وجود قرابة بين الأنواع تجعل تطورها تطورا متصلا، تتحدد منذ البداية ،أما خلال القرن التاسع عشر إهتمت هذه الأخيرة بوصف المجموعات المنفصلة و بتحليل وجود التفاعل بين الكيان العضوي متراص الأعضاء،وبين الوسط الذي يوفر له سائر شروط الضرورية للحياة أكثر من إهتمامها بإعطاء صورة متصلة للأشياء"[2]. إن فوكو هنا يضع التمييز بين النظرية التطورية لدى داروين وبونوا، فهو يرى أن الإنسان عندما ينظر إلى الأسس و المبادئ التي تأسست عليها تلك النظرية،يظن أنها واحدة و لكنها عكس ذلك لأن من خلال التطور الذي عرفته العلوم في القرن التاسع عشر تغير مضمون هذه النظرية فأصبحت تهتم بوصف المجموعات المنفصلة من خلال تحليل التفاعل الذي يحدث بينها ،إنه يؤكد أن التطور الذي حصل في الآونة الأخيرة هو إنقطاع وعدم التواصل بين النظريات القديمة و النظريات العلمية الجديدة". إن تاريخ الأفكارهو عبارة عن وصف للصراع بين القديم والجديد من خلال محاولة إحداث القطيعة مع كل تراث بالي هش، وذلك عن طريق القمع الذي يسلط عليه، والأقنعة التي يلبسها له ليضفي عليه صورة القديم بإضافة إلى وصفة كل التسهيلات التي هيأت بصورة مبهمة وغامضة، من بعيد والآثار المترتبة عن

[1] – فوكو ميشال: حفريات المعرفة، المرجع السابق، ص 34.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 35–36.

الإكتشافات العلمية"[1].إنه يؤكد على أن هنالك دائما صراع بين الفكر القديم والفكر الجديد ويظهر هذا الأخير من خلال تغيير الأسس والمبادئ التي كان يرتكز عليها العلم الكلاسيكي، وعلى سبيل المثال نظرية داروين التطورية لم تبقى محافظة على قوانينها، بل غيرت وظهرت نظريات أخرى لها رؤى مغايرة، فالأولى أزاحت هذه الأخيرة وحلت محلها.

"وينظر فوكو إلى التطورات البطيئة التي تؤدي إلى حلول أفكار محل أخرى، إنه يهدف إلى وصف إندماج الجديد في حقل القديم التام البناء والتركيب [2].

إن التطور الذي حدث في نظر فوكو جعل العلم يسير وفق متطلبات العصر، مما تولد عنه نظريات علمية جديدة، كانت ابتعدت كل البعد عن النظرية الكلاسيكية للعلم، وحاولت أن تدمج القديم داخل الجديد."إن الإنفصال في نظر فوكو لا يشكل عائقا أمام المؤرخ بل هو ميزة منهجية تتناسب وخصائص تحليل الخطاب القائم، على الندرة والحدث والمادية والخاريجية والقبيلي والتاريخي، وإنه ليس فقط مفهوما إجرائيا بل ميدان للبحث التاريخي"[3]. إنه يرى أن الإبستيمولوجية لا تعتبرعائق إبستيمولوجي يمنع المؤرخ من مواصلة عمله، بل هي عبارة عن ميزة أساسية تتناسب مع مميزات الخطاب العلمي وتدفعه إلى التطور.

"والحقيقة أن فوكو لا ينكر التاريخ وإنما ينكر تاريخيا أو تصورا معينا للتاريخ ذلك التصور القائم على الإنفصال والسيادة الوعي والذات ليقول:"ليس إختفاء التاريخ، بل إنقراض ذلك الشكل من التاريخ الذي كان يحيل ضمنيا إلى النشاط التركيبي للذات"[4].

---

[1]– فوكو ميشال:حفريات المعرفة، المرجع السابق، ص131

[2]– المرجع نفسه،ص 132

[3]- بغورة الزواوي: ميشال فوكو في الكر العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001، ص 31.

[4]– بغورة الزواوي: ميشال فوكو في الكر العربي المعاصر، المرجع نفسه، ص ص 31–32.

لقد أكد فوكو أن تاريخ العلم هو إنقطاعي، ولا يعرف الإستمرارية في مساره، إن هذا الأخير يرفض فكرة التواصل مع الفكرالقديم وسيادة الأفكار لمدة زمنية طويلة، إنه يؤكد على القطيعة بين كل فترة وأخرى من فترات المعرفة العلمية، وأن الفكر يحتاج إلى معارف جديدة، من أجل التخلي عن القديم وبناء فكر علمي جديد قائم على الرفض للأفكار البالية الهشة.

"لقد بدا فوكو مسيرته من خلال دراسات شاملة لكل المفاهيم والخطابات، من خلال إمتحانها، وإختبار فاعليتها في بنية المجتمع، فضلا عن إهتمامه بالبنى الهامشية الإجتماعية كالإهتمام بالأمراض العقلية، ودراسة الجنون...إلخ ثم عمد إلى تحليل إستخدماتها، فحص تأثيراتها على صياغة الموقف الإجتماعي، فضل عن دراساته التي طالت تاريخ النشاط الجنسي في الحضارة الغربية[1].

إن هذا يثبت على أن الدراسات التي كان يقوم بها فوكو كانت عديدة ومتنوعة ومن بين هذه الأعمال مثل دراسة الأمراض العقلية، التي كان يصاب بها الأشخاص من أجل تحديد تأثير كل هذا على البنية الإجتماعية، والهدف من وراء ذلك هو صياغة نظرة علمية من وراء ذلك.

" ومن بين المفاهيم التي استخدمها مصطلح الإبستيمية[*] لأجل تحقيب المراحل الثلاثة الكبرى التي عرفها الفكر الغربي الحديث والمعاصر، ويعرف فوكو الإبستيمية

[1] – سعد عبد الله محمد سالم: الأسس الفلسفية ما قبل البنيوية، دار الحوار سوريا، ط1، ص 2007، ص 288.

[*] – الابستييمة هي وحدات أسايسية تتشكل من التقائها أنساق المعرفة ينطوي هذا المصطلح على مفهوم الشحنة الدلالية التي تتضمنها الوحددات المعرفية التي تظل في حالة تغير مستمر مع التقدم وعلى نحو أبنية معرفية جديدة وقد استخدم هذا المصطلح بشكل منهجي ميشال فوكو 1984 أنظمة الخطاب المعرفي (محمد سالم سعد الله: الاسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، المرجع السابق، ص 330)

بقوله:"**إن ما نريد تبيانه هو العقل المعرفي الإبستيمية حيث المعارف منظور إليها خارج أي معيار يستند إلى قيمتها العقلية أو إلى صورها الموضوعية**"[1].

لقد وظف فوكو هذا المصطلح من أجل بيان الحقل المعرفي الذي نريد البحث فيه من أجل إبراز القيمة الموضوعية للمعرفة العلمية، بحيث تكون بعيدة عن العوامل الخاريجية."إن مهمة الإبستيمية هو توضيح مجال المعرفة العلمية، وتحديد شروطها الموضوعية، بعيدا عن كل التأثيرات الخاريجية.

"ومن خلال كتابه الكلمات والأشياء، يطرح فوكو هذا السؤال كيف تحصل القطيعة في تاريخ الفكر؟ ما معنى أن يتوقف البشر عن التفكير بالطريقة التي فكروا فيها سابقا طيلة عشرات وربما مئات السنين".[2].

لقد طرح فوكو مجموعة من الأسئلة كان يهدف من وراء ذلك إلى تحديد مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية التي كانت تعني الإنقطاع لفترة معينة عن التفكير، أو الإلتحاق بشيء ما، وكان يبحث السبب الذي يدفع البشر إلى الإنقطاع عن التفكير لمدة زمنية معنية، إن هدفه هو البحث عن معنى لهذه الأخير.

"إن فوكو لا يوضح لنا كيف يتم الإنتقال من نظام الفكر السابق إلى الاحق إنه يقول:"لقد إنهار نظام الفكر القروسطي وتصدع وإنحسر وكإنه لم يكن، وحل محله نظام الفكر الكلاسيكي أو الديكارتي، الذي سينهار بدوره بعد مائة وخمسين سنة لكي يحل محله نظام فكر الحداثة "[3].

---

[1] –مسرحي فارح:الحداثة في الفكر محمد أركون مقارنة أولية،الدار العربية للعلوم،بيروت،ط1،2006،ص 69.

[2]–المرجع نفسه ،ص 70.

[3]– صالح هشام: مخاضات الحداثة التنويرية القطيعة الإبستيمولوجية في الفكر والحياة،المرجع السابق،ص 117.

إنه يتحدث عن القطيعات الإبستيمولوجية التي شهدها العلم، إنها قطيعة تلوى الأخرى بيرهن هذا أن النظريات العلمية التي شهدها التاريخ، لم تدم طويلا بدليل ظهور نظريات أخرى محلها، إن مسار العلم الإنقطاع والقضاء على العلم الكلاسيكي، من خلال تجاوز كل ما هو قديم ويجب أن يكون محتوى داخل الجديد.

"إن فوكو لا يتحدث عن قطيعة واحدة في تاريخ الفكر الأوروبي، وإنما عن قطيعتين إثنين هما: الأولى تتموضع حوالي عام (1963) تاريخ صدور مقال في المنهج والإنقلاب الديكارتي على أرسطو والتابعين ،وأرسطو طاليسيين، والثانية تتموضع في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، تاريخ انبعاق العلوم الإنسانية في الساحة الأوروبية وظهور كتب كانط الأساسية" [1]

لقد حدد فوكو القطيعة الابستيمولوجية على مستويين هما:

– لإحداث القطيعة مع منط أرسطو لظهور الفلسفة الديكارتية والثانية انبثاق العلوم الإنسانية وظهور الفلسفة الكانطية.

– " وكان ميشال فوكو قد أعلن عام 1966م في مقالة له بعد صدور كتابه الشهير "الكلمات والأشياء" بأن الفلسفة بمعنى قديم وحتى بمعناها عند سارتل قد إنتهت وحلت محلها العلوم الإنسانية، كعلم الاقتصاد و الاجتماع و الإنتروبولوجيا والتاريخ ...ألخ.

فهذه العلوم تبدو أكثر دقة ومصداقية لأنها تدرس الإنسان بشكل علمي واستخرج القوانين التي تضبطه وتنبثق عليه[2] إنه يعلن على انتهاء الفلسفة الكلاسيكية، وابتداء علم جديد آخر هو العلوم الإنسانية التي تمتاز بالدقة، والموضوعية في نتائجها، حيث درست هذه الأخيرة الإنسان بطريقة علمية مثلها مثل العلوم الأخرى من حيث الدقة.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 128.

[2] – صالح هشام: مخضات الحداثة التنويرية، المرجع السابق، ص 128.

"إن فوكو لا يعترف بالتواصلية المتدرجة التي تربط بين مختلف أطوار الفكر البشري وإنما يركز كل إهتمامه على مسألة القطيعة التي تتخذ عن محيرا"[1]

إنه يرفض فكرة التواصل في العلم إن المبدأ الأساسي هو القطيعة الابستيمولوجية في المعرفة العلمية، فهو يتفق مع أستاذه باشلار حول هذه النقطة، وهي أن العلم يتطور عن طريق الإنقطاع بين كل معرفة عامية ومعرفة علمية.

"لقد عامل التاريخ الميتافيزيقي الوثيقة على انها لغة الصوت، لكن الفكريات لا تبتغي تأويل الوثية ولا تعيد مدى صدقها ويمتها التعبيرية وفحصها من الداخل وتدبيرها، إنها لا تنظر إلى الوثيقة على أنها تلك المادة الخام التي تحفظ الماضي، ولا تسعى إلى أن تجعل من أثبات الماضي فتحولها إلى وثائق وتحت تلك الآثار على تكلم[2].

إن فوكو هنا يدعو إلى تجاوز ميتا فيزيقا من اجل بناء الماضي بنظرة مختلفة، إنها دعوى إلى هدم كل موقف ميتافيزيقي قائم على الوحدة والاستمرارية إنه ينظر إلى العلم نظرة مغايرة لأصحاب النزعة الاستمرارية، فهو يرفض التواصل ويدعو إلى اللاتواصل في إطار العلم إن الحيات تطمح إلى بناء ماض من زاوية تتجاوز الميتافيزقيا وتهدم منط الوحدة والاستمرارية[3] رفض لفكرة التواصل داخل المعرفة العلمية، وتأكيد على القطيعة الابستيمولوجية كشرط لبناء المعرفة العلمية.

"عوضا عن تاريخ منسجم وزمان متصل نحن هنا أمام تاريخ شذرات إننا لسنا امام سلسلة لا متكافئة من التحولات يا لها من مفارقة تطبع مفهوم الانفصال لأنه أداة البحث

---

[1] – المرجع نفسه، ص 129.

[2] – بن عبد العالي عبد السلام: أسس الفكر الفلسفي المعاصر ومجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال، المغرب، ط2، 2000، ص 64– 65.

[3] – بن عبد العلي عبد السلام: أسس الفكر الفلسفي المعاصر ومجاوزة الميتافيزيقا ، المرجع السابق، ص 65.

وموضوعه في الوقت ذاته، ولأنه هو الذي عيد حدود المجال الذي يتولد فيه، ولأنه يسمح بتعيين تفرد الميادين ولكن لا يمكننا تحديد إلا بفضل المقارنة بينهما"[1]

لقد كاعتبار ان الأداة التي يستخدمها الباحث هي الانفصال من اجدل تطوير المعرفة العلمية وهمي بمثابة الركيزة الأساسية التي تمكننا من تجاوز العلم الكلاسيكي، بهدف بناء فكر علمي جديد.

"ليس القطيعة إذا سلبا يتعين تجاوزه او إحتوائه وإنما هي أداة إجرائية تفعل في التاريخ بشكل إيجابي، وتولد الاختلال فيما رأت فيه الميتافيزيقا تطابقا، فتحول دون الحضور في الحدث وإستمراريته"[2] .

لقد اعتبر القطيعة كشيء ايجابي يحدث الجديد داخل المعرفة العلمية، من اجل تجاوز العلم الكلاسيكي وبناء علن فكري جديد.

ب- التويسري والقطيعة في الفكر الماركسي:

كان التويسري يرى ان الماركسية في حالة ازمة لذا وجب إعادة قراءتها من جديد راءة تشخيصية، تكشف عن البنية الدفينة في عمل ماركس فيقول: "لقد بدأنا ندرك منذ عهد فرويد، ماذا يعني الاستماع وبالتالي ماذا يعني الكلام فلم يعد خافيا علينا أن من سمات دلالة الكلام هو الاستماع والكشف في ما وراء المظهر الساذج او البريء للكلام والاستماع عن وجود أعماق دفينة يمكن تحديد أبعادها ألا وهي أعماق الخطاب الآخر هو خطاب أو حديث اللاشعور"[3].

[1] – المرجع نفسه ، ص 66-67.

[2] – نفسه، ص 68.

[3] – بغورة الزواوي: مدخل غلى فلسفة العلوم، دراسات ونصوص، منشأة المعارف، دط، 2000، ص 390.

لقد حاول التويسري * تطبيق القطيعة الابستيمولوجية على النظرية الماركسية، التي كانت تعيش حالة أزمة واضطرابات غقتصاية منة خلال المعاملة التي كان يتلاقاها العامل داخل النظام الرأس مالي الاستبدادي الظالم، إن ماركس من خلال نظرياته هاته أعاد الاعتبار لحق العمال من خلال الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج. (لقد بين التويسري في دراسة ماركس الشاب الذي نشرها في سنة 1961 اهمية فيرو باخ في التطور النظري لماركس، وعلاقة لمعدة التي تربطه بهيجل ؛فمن فيور باخ إستعار مقولة الإغتراب التي استعملها في تحليلاته الإقتصادية حيث الإنسان الإجتماعي موضوع فقار في المجتمع الرأسمالي يعني هذا ان النظرية تعتمد الاقتصاد في اللغة الفلسفية بعيدا عن إجراءات التجربة العلمية وسيتم القطع مع هذه النظرية بواسطة أطروحات حول فيرباخ والإديولوجيا الألمانية حيث يقطع ماركس هذا التحليل[1])

إن التويسري هنا يوضح بأن الفلسفة الماركسية ماهي إلا فلسفة فيوربانخ حيث نجد ان ماركس استعار مفهوما أساسيا وهو الإغتراب، والمقصود به أن العالم يعيش في حالة غربة داخل النظام الإقتصادي الرأسمالي بالفقر والاضطهاد مما يتولد عنه ثورة ضد ذلك النظام، وتولد عن ذلك قطيعة ابستيمولوجية مع النظرية الماركسية ونظرية فيرباخ. " وفي نظر تويسري أنه مع االقطيعة يورباخ نتج من جديد وهو علم التاريخ. والمادية التاريخية وعلى هذا الأساس أعتبر تويسري ان ماركس افتتح قارة جديدة وهي قارة التاريخ وأس سعلم جديد يشابهها للعلوم الدقيقة هما : علم التاريخ والفلسفة الجديدة هي مادية جدلية[2] هكذا نتج عن القطيعة التي حدقت بين يورباخ وتويسري فلسفة جديدة تمثلت في المادية

* – التويسر فيلسوف فرنسي ولد في الجزائر (1921–1990م)، نشر في مطلع 1966م كتابه بعنوان ماركس وحصل على شهادة التبريز في الفلسفة، وعمل في دار المعلمين العليا، من مؤلفاته عناصر لنقد الذات 1974. (طرابيشي جورج: معجم الفلاسفة ، المناطقة والمتكلمين ولالاهوتيين والمتصرفون، المرجع السابق، ص 88)

[1] – بغورة الزواوي: مدخل غلى فلسفة العلوم، المرجع السابق ، ص 391.

[2] – بغورة الزواوي: مدخل غلى فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 393.

الجدلية، التي يقال عنها ان الجدل عند هيغل كان ينشي على راسه وعندما جاء ماركس فأصبح يمشي على رجليه، إن فلسفة التاريخ لدى ماركس كانت تدور دول موضوع واحد وهو الوضعية الاجتماعية لدى العمال، داخل الدولة الراسمالية التي كانت ظالمة في حق العمال. " وهكذا ادخل تويسر الماركسية ضمن البحث الإبستيمولوجي مستفيدا بذلك من قراءاته لباشلار وكانغيلام وحاول ان يحدد كيف يمكن للعلم من العلوم أن ينبث من التاريخ وكيف يتخلص من الذاتية ليؤسس الموضوعية[1] .

إن التوسير أخذ مفهوم الابستيمولوجيا وحاول أن يطبقه على الماركسية من خلال قراءاته للأستاذ باشلار الذي أكد على ان القطيعة الابستيمولوجية في المعرفة العلمية ، محاولا بناء فكر علمي جديد قائم على الموضوعية العلمية ومبتعدا عن الذاتية، إنه نفس العمل الذي قام به التوسير من أجل تأسيس لعلم جديد وهو المادية الجدلية. "إن التوسير استعار من باشلار مفهوم القطيعة الابستيمولوجية لاستخدامه كأداة معرفية طريفة وفعالة لإعادة قراءة ماركس قراءة جديدة، تفصل فصلا تاما بين الخطاب العلمي في هذا الأخير وبين الخطاب الايديولوجي، وعليه يقيم القطيعة الابستيمولوجية بين ماركس الشاب وماركس البالغ الايديولوجي وماركس العلمي"[2] .

لقد أكدت دراسة ألتوسير عن ان القطيعة الاستيمولوجية لم تبقى محصورة فقط على المجال العلمي وإنما تم توظيفها داخل علوم أخرى مثل فلسفة التاريخ من خلال أخذ مفهوم القطيعة ومحاولة إسقاطها على النظرية الماركسية. التي نتج عنها قطيعة بين ماركس الشاب وماركس العلمي.

[1] – المرجع نفسه، ص 394.

[2] – مهيبل عمر: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 75.

"إن التوسير يدعو في البداية إلى مراجعة مفهوم التاريخ وتحديد النظرية، التي نعتمدها من خلال تحليلاتنا، لأن هذا المفهوم سائد لكونه مفهوما اديولوجيا فهو لا يسمح بالمعرفة، بل على العكس يعمل على حجب الواقع الحقيقي للامور والاقتصاد على المدى والوقوف عنده مباشرة[1].

لقد كان هدف التوسير من دراسته هذه إعادة قراءة التاريخ بطريقة علمية تختلف عن التصور الكلاسيكي له، من خلال تأسيس نظرية تدرس هذا الأخير بطريقة علمية، من اجل تحقي الموضوعية العلمية داخل المعرفة التاريخية. "هذه القطيعة وظفت عند التوسير خارج سياقها الفلسفي الذي رسمه باشلار في بداية الأمر نفسه تقريبا نجده عند ماركس الذي قام بتوظيف الإيروس توظيفا يختلف عن سياقه عند فرويد. [2]

كان هدف التوسير من خلال توظيفه مفهوم القطيعة يختلف عن التصور الذي كان باشلار يطمح له من خلال نظريته في القطيعة الابستيمولوجية لأن التوسير يحاول تحقيق الموضوعية العلمية في العلوم الإنسانية. " غن هذا المفهوم الذي أغرى التوسير لاستخدامه في ميدان مغاير لميدانه الأول مع باشلار، ومجال التفسير البنيوي للماركسية، وفي هذا المعنى احد دارسي باشلار: " لد اخذ هذا السؤال أي سؤال الطيعة منذ باشلار أهمية محورية ضمن الفلاسفة الفرنسية المعاصرة وخاصة في المؤلفات المتعتلقة بالعلوم التاريخية، إن فكرة ألا وجود في تاريخ العلوم وتاريخ والفكر وكون المعرفة العلمية في حالة طيعة تامة وفقا لباشلار، امر يدعو غلى طرح التساؤلات حول التارب بين باشلار والمادية التاريخية". [3] وهذا كله يدل على أن توظيف مفهوم القطيعة الابستيمولوجية ليس

---

[1] – عهبد السلام ابن عبد العالي: حوار مع اللفكر الفرنسي، دار توبقال، المغرب، ط1، 2008، ص ص 71–72.

[2] – عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 75.

[3] – عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية، ص ص 106–107.

واحدا بل غن عملها يحدد من خلال الميدان الذي استخدمت فيه والهدف من هذه الدراسة داخل العلوم الإنسانية هو من اجل تحقيق الموضوعية العلمية.

ج) موقف جورج كانغيلام من خلال تصور الخاص لصريخ العلوم:

" يرى كانغيلام [*]، تاريخ العلوم ينبغي أن يكون متحفظا لأخطاء العقل بقدر ما فهرس او سجل لأخطاء الماضي لأنه لن يكفي على ان يكون ذلك إلا إنه وجدت حالة نهائية للمعرفة تستطيع ان تنصب نفسها كمحكمة لإصدار الحكم على معرفة الماضي لطن ليس ثمة في هذا المجال لحكم أخير لان النظريات العلمية لا تنبث من وقائع خالصة تعطيها حقيقية في لحظة من تاريخها بل تتولد من نظريات سابقة وقديمة العهد في الغالب ومنتهية إلى ميادين علمية أو تقنية مغايرة جدا" [1] يرى كانغيلام أن تاريخ العلوم يجب عليه أن يتخلى عن الأخطار التي وقع فيها العلماء من اجل تجاوزها وتأسيس المعرفة العلمية الجديدة قائمة على أنقاض المعرفة السابقة لها من خلال إحداث ما يسمى بالقطيعة إنه يلجأ إلى أسلوب الاستيراد والتراجع من اجل بناء تاريخ العلم غن الطرية التي استخدمها كانغيلام في كتابه تاريخ العلوم هي الاستيرادية والتراجعية إلى انه توجد طريقة أخرى لكتابة تاريخ العلوم هي تلك التي تسعى إلى إقامة التواصل لتقدم الفكر من خلال جعل الجدة الوضعية ما قابلة للإدراك ومؤثرة بالإضافة إلى سلطة الطيعة المتميزة لابتكارها[2] إنه يرى ان التقدم تاريخ العلوم يكون من خلال التواصل بين المعارف السابقة بالإضافة غلى إحداث قطيعة ابستيمولوجية التي تكون لها سلطة في

---

[*] – كانغيلام فيلسوف ومؤرخ فرنسي للعلوم (1904–1995) تخرج من دار المعلمين العليا، تحصل على شهادة التبريز في الفلسفة وشهادة الدكتراه في الطب وشهادة الدكتراه في الادب وهو واحد من مؤسسيا الإبستيمولوجيا الفرنسية المعاصرة ."طرابيشي جورج : المعجم الفلاسفة ؛المناطقة ؛النتكلمون؛اللآهوتيون ؛ المتصرفون؛المرجع السابق؛ص 513 .

[1] – جورج القرابيشي: معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة ، المتكلمون ، اللاهتيون والمتصرفون)، المرجع السابق، ص 513.

[2] – جورج كانغيلام: دراسات في تاريخ العلوم، المرجع السابق، ص 17.

تطوير المعرفة العلمية " إنه يؤكد على الاستيراد والتراجع كشرط منت شروط بناء العلم إن جورج يطبق القيمة المنهجية المستخلصة وإنه بعيد كل البعد طريقة البحث عن السلف المبشر من خلال البحث عن المفاهيم والتحولات من سياق إلى آخر بالإضافة إلى الاعتماد على النصوص الأصلية للمبدعين بصورة مباشرة وإبراز شروط نشأة العديد من المفاهيم مثل مفهوم الغدة الدرقية[1]إن جورج هنا يرجع دائما إلى أصل المفاهيم من خلال إبراز دور الذي تقوم به بلورة المعرفة العلمية إنه يجد لذلك معرفته بما يسمى في بداية هذه المقدمة بالمكتبة المثالية المتخصصة التي يستطيع المؤرخ من خلالها أن يستوعب وينقل بكل حرية تقطة القطيعة وإنطلاق معرفة جديدة[2].

"إنه يركز على أن استيعاب للميدان الذي يعمل فيه هو الذي يجعله يطب مفهوم القطيعة في اي موضع يشاء من اجل بناء نس علمي جديد يرى جورج إن الوجه الوضعي لعلم النفس على انه يعادل الفلسفة ولكن من دون صرامتها ودقتها ويعادل الأخلاق لكن من دون مطالبها ويعادل الطب ولكن من دون عملية التثبت[3]غنه يضع مقارنة بين العلم الوضعي لعلم النفس والفلسفة والأخلاق والطب من ناحية الدقة الموضوعية والصرامة العلمية إن جورج يلخص موقف باشلار من خلال نظرية المعرفة العلمية والأولوية لهذه النظرية إن الحيقة لا توجد بشكل منفصل وإنما هي مطموسة تحت ركام من الأخطاء أو محاطة بنسيج من الأخطاء ولهذا يقول اشلار :" **لا يمكن تشكيل معرفة علمية صحيحة إلى على انقاد معرفة خاطئة.**[4]"إن الخطأ هو الذي يولد المعارف الصحيحة ولا وجود لمعرفة دون خطأ إن الإنسان الذي لا يخطا لا يتعلم، وينقد المعرفة الناتجة عن طريق الحواس أو الحدس ويدعو إلى تدمير هذه الأخيرة لأن المعرفة العلمية

---

[1] – المرجع نفسه، ص 31.

[2] – نفسه؛ص 33.

[3] – ليشته جون: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية غلى ما بعد الحداثة، ص 41.

[4] – صالح هشام: مخضات الحداثة التنويرية، المرجع السابق، ص 90.

ليست حدسية أو عفوية بل هي مصنوعة من خلال التجربة والممارسة واستخدام آلات القياس العلمي. [1]

إن باشلار يرفض المعرفة الحسية التي تعطيها لنا الحواس ويدعو غلى تدميرها من خلال إحداث طيعة ابستيمولوجية بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية، لا يمكن فهم الواقع إلا من خلال الواقع ذاته من إعطاء حق الكلام الواقع أولا من اجل فهم الضرورة الكامنة في أحشاء الواقع[2].

إنه يدعو إلى فهم الواقع الحسي الملموس من خلال الواقع بحد ذاته أي الرجوع له ومطابقة الذات المراد معرفته هذا هو التصور الذي أعطاه جورج لتاريخ العلوم.

المبحث الثالث: الاعتراضات العلمية على باشلار

رغم الانتقادات التي وجهها باشلار للنظريات العلمية التي كانت سائدة قبله أو بعده إلا أن فلسفة هذا الأخير هي الأخرى لم تخلو من النقد والاعتراض على ما جاء به حيث نجد الدكتور سالم يفوت يوجه انتقاد إلى فيلسوف القطيعة حول نظريته العلمية هنا، نطرح السؤال التالي فيما تتمثل الاعتراضات العلمية حول الفلسفة الباشلارية؟

[1] – المرجع السابق، ص 91.

[2] – نفسه، ص 92.

أ- نقد سالم يفوت باشلار:

"يرى سالم يفوت أن لقد توعد باشلار بأن تكون هنالك فلسفة مطابقة للفكر العلمي العاصر ومتطور باستمرار وهذه تظل مجرد وعد ومكانها بقي شاغرا فعقلانيته إذ مارست نفسها على مستوى النقد والصراع والهدم، استنفذت قواها دون أن تتمكن من ممارسة نفسها على مستوى البناء والتشييد، لأنها لم تمتلك أسلحة لذلك بل استعملت أسلحة الخصم[1] ". إن النقد الذي وجهه سالم يفوت للمشروع الباشلاري كان متمثل فيما يلي: بأن فلسفته كانت عبارة عن وعد يتكرر في كتاباته دون أن يتحقق على أرض الواقع،لأن فلسفته كانت تقوم على الهدم دون أن تأتي بالجديد، وتبقى هذه الأخيرة فارغة المحتوى ولا جديد يذكر فيها. "بالإضافة إلى أن باشلار ربما يكون قد غادر الموقع المثالي في فلسفته، لكنه بقي لا يدري شيئا عن موقعه الجديد،بل لا يدري شيئا عن حرب مواقع الفلسفة"[2].

إن سالم يفوت هنا ربما يقصد بأن باشلار توفي وهو لا يعلم شيء عن فلسفة العلم، رغم ما حققه من انتصارات داخل العلم، لأن العلم هو بمثابة البحر إذا علمت شيء غابت عنك أشياء أخرى.

أن سالم يفوت يرى بأن باشلار لم يأتي بأي فلسفة جديدة،حيث لجأ إلى الفلسفات التقليدية من أجل إقامة فلسفته التلفيقية من أجل الإتيان بفكر فلسفي جديد يعتمد فيه على الفلسفات السابقة،وتنخرط فيه المذاهب الفلسفية التقليدية[3].

---

[1] – بن عبد العالي عبد السلام: بين الاتصال والانفصال، دراسات في الفكر الفلسفي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 84.

[2] – المرجع نفسه، ص 85.

[3] – عبد السلام بن عبد العالي، بين الاتصال والانفصال في الفكر الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 85–86.

إن القارئ لفلسفة باشلار يرى أنه ينتقد المذاهب الكلاسيكية، التي ركزت منذ زمن طويل على أفكار هشة سيطرت على الفكر الإنساني، مثل فكرة الوجود يسبق الماهية، إنه يوجه الرفض المطلق لمحتوى النظريات القديمة، إلا أن الجديد في فلسفته لا تذكر لأن مؤلفاته جميعا ما هي إلا نقد للمعارف التي كانت سائدة قبله أو بعده.

وخلاصة القول فإن باشلار يحاول تغطية عجزه، ويأسه من إمكانية إيجاد هذا الموقف الفلسفي المطابق للعلم، والذي ليس استمرارا للفلسفة بترقيعه من فتات الموائد الفلسفية التقليدية، ومحاولة إظهاره بمظهر الجديد[1].

إن عجز باشلار على إقامة فلسفة، هو الذي جعله يعود إلى الفلسفات القديمة، والاعتماد عليها من اجل بناء موقف علمي جديد، يلاءم العلم المعاصر. ليست هنالك فكر باشلار لأن الفكر الفرنسي حصر نفسه في البحث الإبستيمولوجي، دون أن يتجاوزه من أجل يقيم سوسيولوجي معرفية وتاريخا للايدولوجيا[2] إن هذا يبرهن أن الجديد في فلسفة باشلار لا يذكر وأن فلسفته ماهي إلا تكرار واجترار للفلسفات القديمة، التي سيطرت على الفكر البشري مدة زمنية طويلة.

الإبستيمولوجيا الباشلارية تحاول هدم مفاهيم الفلسفة التي سكنت جهة معينة من جهات المعارف العلمية لنحيا فيها وتستمد قوتها مثل مفهوم البداهة والحقيقة والجوهر والفكر فمثلا حينما كان الحديث في فرنسا الخمسينات عن مادية فلسفية دوغماتية، ألف

[1] – المرجع السابق، ص 86.

[2] – نفسه ، ص 87.

باشلار كتاب المادة العقلانية لا يأخذ من الفلاسفة مفهوم المادة وإنما ليوقظهم من سباتهم الدوغماتي*[1].

لقد كانت الفلسفة الباشلارية عبارة عن تكرار للمفاهيم، وهي بمثابة التيار الهادم لما حوله وبعده من النظريات العلمية التي كانت سائدة، إنها تكرار لباقي الفلسفات الأخرى بنظرة علمية جديدة، لكن دون وجود الجدة في محتواها. إن الانتقادات التي وجهها غاستون باشلار للفلسفات التقليدية لا يصدر عن إطلاع جيد بتاريخ الفلسفة والمعرفة الدقيقة لمذاهبها فعندما يتحدث عن التحديات الكلاسيكية للعقل، يبقى حديثه عاما وفضفاضا غير ذي محتوى معين، وهو بذلك أن لا يدخل في جزئيات لا تاريخية ولا مذهبية[2].

من خلال هذا نستنتج أن الإبستيمولوجيا الباشلارية ما هي سوى نظرية تكرارية في محتواها العلمي، حيث أنها ركزت على النقد لكل المذاهب الفلسفية، دون أن تعطي أهمية كبرى لإضافة الجديد، فهي عقلانية معاصرة بفلسفة كلاسيكية.

إن باشلار يتبنى فلسفة برونشفيك مع محاولة تنقيتها وتطهيرها من الشوائب، من العناصر التي تعوقها على أن تصبح فلسفة مطابقة للعلم المعاصر، أما العناصر التي تصلح منها لمعارضة المفهوم التقليدي للعقل فيحتفظ بها وهذا أول مظهر من مظاهر السلبية في فلسفة باشلار الإبستيمولوجية ويتلخص في الانتقائية والتلفيقية[3]. إن مضمون الفلسفة الباشلارية هو تكرار للفلسفات الأخرى من أجل تأسيس لعلم معاصر، إنها تغير

---

* – الدوغماتية: نظرة عقائدية أو جزمية، بدون دليل أو مبرر أو تمحيص ، إنها وجهة نظر أو مجموعة من الأفكار مبنية على المقدمات الغير محمصة تمحيصا كافيا (ليتشييه جون، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، المرجع السابق، ص 519)

[1] – عبد السلام ابن عبد العلي بين الإتصال والإنفصال، دراسات في الفكر الفلسفي، المرجع السابق، ص 88.

[2] – سالم يفوت: العقلانية المعاصرة، بين النقد والحقيقة، المرجع السابق، 163.

[3] – يفوت سالم: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة،المرجع السابق، ص ص 163 – 164.

المفاهيم وتدخل عليها بعض التعديلات حتى تناسب التطورات العلمية المعاصرة وفي الحقيقة الفلسفة الباشلارية ما هي إلا فلسفة برونشفيك في محتوى لكنها بمصطلحات علمية.

إن فلسفة باشلار تقوم بتجاوز الفلسفات التقليدية دون أن يبرحها من خلال الإحباط الذي يصيب القارئ باشلار حيث أن الفلسفة هي عبارة عن وعود براقة ومتكررة بخلاف فلسفة الفكر العلمي الجديد[1].

إن الفلسفة الباشلارية كانت عبارة عن وعود متكررة دون إضافة الجديد للفكر العلمي بخلاف كتابه الفكر العلمي الجديد، الذي كان يضيف معاني علمية تناسب العلم المعاصر.

إن الفلسفة الباشلارية في نقدها للفلسفات المعاصرة لها لا تنطلق من مبدأ فلسفي، ولا تستند على أرضية جاهزة صريحة أو ضمنية، بل تنطلق ببنية هدم الركام الفلسفي المتمثل في تيارات الفلسفية الاحترافية أو في الأفكار الفلسفية التي يتشبث بها العلماء في فهم ممارستهم،لهذا فهي فلسفة تتحدد بالفلسفة اللا[2].

من خلال هذا نستنتج أن الفلسفة الباشلارية ما هي سوى تكرار لباقي الفلسفات التي سبقتها، لأن محتواها هو نفسه هو محتوى الفكر القديم، ولا يوجد الجديد داخل العقلانية المعاصرة.

لقد استخدم غاستون باشلار مبدأ النقد من خلال نقد المذاهب الفلسفية الكلاسيكية، مثل لا ديكارتية، ونقد الفلسفات المعاصرة له، ويتجلى ذلك من خلال كتابه فلسفة الرفض.

---

[1] – المرجع السابق، ص 64.

[2] – سالم يفوت: فلسفة العلم والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة، بيروت،ط1، 1982، ص 159.

إن باشلار يبشرنا بهذه الفلسفة منذ كتاباته الأولى فهو يفتح كتاب فلسفة اللا الذي ألفه سنة 1940 بالتبشير والوعد ، بفلسفة تكون مطابقة حقا للفكر العلمي المتطور باستمرار[1].

لقد تكررت الوعود في جل كتاباته بأنه سوف يقدم فلسفة جديدة، تناسب التطورات العلمية التي عايشها، من خلال القضاء على المذاهب القديمة التي كانت في نظره ما هي سوى عبارة عن عائق، منع الفكر من التقدم،لكن ما هو ملاحظ أن هذه الأخيرة في جوهرها هي فلسفة كلاسيكية.

"إن الفلسفة التي تحدث عنها باشلار لم تنجز يوما أو تخرج إلى حيز التطبيق، إننا لا نجد في كتب باشلار أسس هذه الفلسفة الموعودة ولا فرضياتها، إلا وتكون إذن فلسفة وإبستمولوجيا لا فارغة المضمون تخفي فراغا فلسفيا ونقصا أو انعداما ما للمضمون"[2].

إن هذا يوضح أن فلسفة التي تحدث عنها باشلار لا توجد على أرض الواقع،أن القارئ له يجد نفسه وكأنه يقرأ الفلسفة الكلاسيكية، لقد ألبس هذا الأخير هذه الفلسفة ثوب جديد بلغة علمية معاصرة، تناسب طبيعة الفكر العلمي الجديد. "إن الإبستيمولوجيا الباشلارية بقيت تمارس نفسها على مستوى النقد والهدم، وتعد بنفسها على مستوى النية لا الفعل، إنها إبستمولوجية بحث دائم على نفسها ، وفي إنتظار طويل لميلادها[3]".

الفلسفة الباشلارية حسب سالم يفوت، لم تأتي بالجديد وإنما كل مقام به هو النقد، والهدم للركام القديم. "إن باشلار لم يكن ذا تكوين فلسفي، بل ذا تكوين علمي ، ومعارفه

---

[1] – سالم يفوت فلسفة :العلم والعقلانية المعاصرة، المرجع السابق،160.

[2] – المرجع النفسه،ص 161.

[3] – سالم يفوت فلسفة :العلم والعقلانية المعاصرة،المرجع السابق، ،ص ص 161.162.

الفلسفية لم تكن معمقة بما فيه الكفاية، انه لا يقف على الأسئلة الفلسفية في ذاتها كأسئلة فلسفية ولا يحاول البحث في تاريخ الفلسفة وطبيعة الأنساق الفلسفية حيث كان ينظر إليها من خلال عدم مطابقة الفلسفة للعلم"[1].

من خلال النقد الذي وجهه سالم يفوت لباشلار نستنتج أن الفلسفة الباشلارية ما هي في حقيقتها سوى نقد هدام لكل التيارات الفلسفية كانت قديمة أو معاصرة بحلة جديدة بلغة علمية.

"إن باشلار في انتقاده للفلسفات التقليدية لا يصدر عن إطلاع جيد لتاريخ الفلسفة ومعرفة دقيقة بلونيات مذهبها، فعندما يتحدث عن تحديدات الكلاسيكية للعقل، يبقى حديثه عاما وفضفاضا غير ذي محتوى معين، وهو بذلك يريد أن لا يدخل في الجزئيات لا التاريخية ولا المذهبية"[2]

إن الانتقادات التي وجهها باشلار للمذاهب القديمة، تدل على أنه ليس على إطلاع واسع بتاريخ الفلسفة، كما توضح كذلك أن هذا الأخير تكوين علمي في الأساس. نقد لوكور لباشلار في كتابه باشلار النهار، الليل. حينما يبرز إبهامات باشلارية بهذا الصدد إن الاصطدام المباشر كما يرى لوكور بين المقولات التقليدية للفلسفات الكلاسيكية وبين التصورات العلمية الجديدة، أدى إلى حدوث هوة بينهما تظهر في عجز المقولات التقليدية على إستيعاب تصورات العلم الجديد[3].

إن لوكور يؤكد أن باشلار وقع في مغالطات عندما إنتقد المذاهب القديمة، حيث وجد نفسه في حقيقة الأمر يتبناها لكن بلغة علمية مخالفة للأولى إن هذا الأخير أحدث

---

[1] – المرجع نفسه، ص ص 162،163.

[2] – المرجع نفسه، ص 163.

[3] – سالم يفوت فلسفة :العلم والعقلانية المعاصرة، المرجع السابق ص165.

فجوة كبيرة بين الفكر القديم، والفكر الجديد، مما تولد عنه عدم التمكن من فهم التصورات العلمية الجديدة. "بإضافة إلى سقوطه في وهم المطابقة، أي أن كل فلسفة طابقت علم عصرها، ولما كان تقدم العلوم لا يتم عن طريق رفض الجديد كلي للقديم،وما دام القديم يحتفظ بنفسه داخل الجديد ففي كل فلسفة كانت تطابق عصرها، عصر يطابق القديم الذي لا يزال يحتفظ بصلاحيته داخل العلم الجديد.[1]

ب–نقد دومينيك لوكور* لباشلار:

لقد أكد لوكور أن باشلار وقع في وهم المطابقة حينها أصدر حكما بأن كل فلسفة تلائم عصرها، ولو كان الأمر كذلك لما كانت هنالك قطيعة إبستمولوجية التي تعني قطع الصلة مع القديم، وبناء فكر علمي جديد يلاءم التطورات العلمية المعاصرة. يقول لوكور:"نؤكد إراديا أن باشلار لدينا هو غير باشلار لديهم، ونضيف فوق ذلك هذا التدقيق، يبدو لنا أن القراء المادية لباشلار تتميز بقدرتها على أن تقدم الإبستيمولوجيا الباشلارية في أنيتها"[2]. لقد أكد لوكور على أن التصور العلمي لدى باشلار يختلف من مذهب لأخر، لأن أنصار المادي لديهم معنى أخر للفلسفة الباشلارية. "إن القراءة المادية لباشلار في نظر لوكور نفي لفلسفة العلوم لديه من التأويلات المتقاطعة التي تخضع لها، سواء كانت مثالية أو روحانية أو وضعية، لكن إذا كانت القراءة المادية هي وحدها القادرة على إبراز إيجابيات فلسفة باشلار فإنها بالمقابل قادرة و بالقوة ذاتها على إظهار حدودها وتناقضاتها الداخلية، والكشف عن أسباب هذه الحدود والتناقضات معا[3].

المرجع نفسه،ص 166.

[2] – مهيبل عمر:إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المرجع السابق ص 117.

[3] – مهيبل عمر: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 118.

إن لوكور[1] هنا يبين أن المذاهب الفلسفية تختلف في قراءتها للفلسفة الباشلارية، وهي في رأيه تنفي وجود فلسفة العلم، وهذا حسب التصور المادي الباشلاري.

ج–ميشال فادي حول باشلار الذي يحمل عنوان باشلار أو المثالية الإبستيمولوجية الجديدة:

ومن خصوم باشلار نذكر أيضا ميشال الذي ألف كتابا خاصا ينتقد فيه الفلسفة الباشلار (1975) .إن البعض قد رأى بأن باشلار قد أهمل وتجاهل الوضعية الجديدة، ويخبرنا أيضا بأن باشلار"حكما ثابتا على الفلسفات" وهو"أن كل الفلسفات، حتى المعاصرة منها،متقادمة متجاوزة،تبسيطية ، ساذجة" حكم باشلار هذا في نظر فادي يعود إلى نظرته إلى العلم المعاصر، وإلى نظرياته الجديدة و ثوراته.

يعتبر الموقف الباشلاري في عمومه موفقا مثاليا،في إبراز هذه المظاهر التي يتم فيها التجاوز[2].

لقد أعتبر ميشال فادي أن الفلسفة الباشلارية في جوهرها فلسفة مثالية، معناه فهي بعيدة كل البعد عن الدراسات الواقعية، لأن النقد الذي وجهه باشلار للفلسفات الكلاسيكية من خلال إعتبارها فلسفات غير ملائمة للفكر العلمي الجديد، لكن التناقض الذي وقع فيه هو أنه الأصل كان يتبنى إشكاليتها بغية صياغة موقف جديد يلاءم العلم المعاصر.

ويقول ميشال فادي في هذا الصدد:"علينا أن نعترف مع الباشلارية بالخطوة التي دفع فيها باشلار بالفلسفة المثالية إلى أن يدمج عددا من العناصر المادية، والجدلية

---

[1] –دومينيك لوكور(05–02–1944) بفرنسا وهو أستاذ الفلسفة بجامعة دونيس ديدروا 7، ومدير المركز georges canguilhem ،يتمجور إهتمامه حول العلم ونتائجه السياسية والأخلاقية والإيديولوجية وكذا علاقة العلم ببعض المعارف الدينية والقانونية والفنيية...عمل أستاذ زائرا لمجموعة من الجامعات العالمية:في بوسطن، بروكسيل ....إلخ حاز على جوائز عديدة ،له العديد من المؤلفات :.

[2] - وقيدي محمد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، المرجع السابق،ص 216.

ضمن عدد من المواقف، ترك كل مفهوم قبلي للعقل، إنتقى بعض المقولات المنطقية المطلقة، وانتقاد بعض التصورات المثالية للمادة،الإتراف بالتغيرات التاريخية للعلم والوعي، والخصائص التقنية للعمل العملي"[1].

هذه المقولة تبين أن الفلسفة الباشلارية في جوهرها هي فلسفة مثالية حسب وجهة نظر ميشال وهو يعتبر التطور الذي حققته المادية راجع إلى باشلار، من خلال الإبعاد عن المفاهيم القبلية التي كان يرتكز عليها العقل، عن طريق تجاوزها والنقد الموجه إلى المذهب الأرسطي حيث دعا إلى التخلي عن قواعده، من أجل مسايرة العلم المعاصر. " إن ميشال فادي يرى عدم الربط الكافي عند باشلار بين تاريخ العلوم و المعطيات التاريخية والمجتمعية، وإثباته للعلم كما لو كان العلم قيمة في ذاته لا يقبل الإرجاع إلى مثل تلك الشروط مفهوم باشلار لبناء الواقع الذي هو موضوع المعرفة العلمية وإعطاء الأولوية للمنهج العلمي وللفعاليات العقلية والتقنية التي تعتمدها علمية بناء موضوع المعرفة العلمية على وجود ذلك الموضوع ذاته، الدور الذي يستند باشلار للعلوم الرياضية والذي يعطي فيه الأولوية للفعالية الرياضية على الفعالية التجريبية، مفهومه الميتافيزيقي للزمن،موقفه إلى جانب التأويل اللاحتمي لنتائج الفيزياء المعاصرة[2].

من خلال هذا نستنتج أن الفلسفة الباشلارية لم تكن تعطي الأولوية لتاريخ العلم، وعلاقته بالظروف التاريخية والاجتماعية.

يرى ميشال في كتابه عن باشلار أن نفهم مثالية باشلار يتطلب منا أن نفهم المفهوم المركزي الذي تتمحور حوله هذه الفلسفة، وفي نظره إن هذا المفهوم هو الزمان بحيث يتبنى باشلار مفهوما ميتافيزيقيا للزمان، فعندما ينتقد باشلار الموقف العقلاني أو

---

[1] -- وقيدي محمد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار المرجع السابق ، ص 217.

[2] – وقيدي محمد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، المرجع السابق، ص ص 217–218.

الموقف الواقعي فإنه لا ينتقد بدقة الفلاسفة معنين، ولكنه فيما يخص مفهوم الزمان يخصص كتابين يبدو المنتقد فيهما واضحا وهو برغسون[1].

من هنا نستنتج أن النقد الذي وجهه باشلار برغسون هو من خلال الديمومة، لأن رؤية باشلار للزمن كانت رؤية ميتافيزيقية، لكن النقد الذي وجهه كان لا يعني فئة معينة، إنما نقد عام.

"وفي سياق هذا يقدم باشلار دلائل فلسفية فحول هذا المفهوم الميتافيزيقي للزمان يرى ميشال فادي كل المواقف الأخرى ذات الطابع المثالي وهي تنحصر فقط في موقفه من مفهوم الواقع واللاحتمية فحسب بل تمتد إلى نظريته في الثورات العلمية التي يمثلها مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية، فهنالك كما يرى فادي علاقة بين المفهوم الميتافيزيقي الباشلاري للزمان ، كما يعبر عنها بفضل مفهوم القطيعة[2].

إن التصور الذي أعطاه باشلار للزمن كان تصور ميتافيزيقي، فهو مخالف للرؤية البرغسونية من خلال ربط الزمن بالشعور الذي يقوم به الإنسان. "إننا لا نريد أن نقصي مثل هذا التفسير بصفة مطلقة ولكننا نقول أنه غير كافي لتفسير هذا التناقض الداخلي لفلسفة العلوم الباشلارية فهذا التفسير يكتفي بإبراز الناحية المعرفية الخاصة بفلسفة باشلار عندما يحاول أن يجد في أحد مفاهيمها نقطة إرتكاز لتفسير موقفه من بقية المفاهيم[3]. لقد حدد ميشال فادي التناقض الموجود داخل الفلسفة الباشلارية، عن طريق التصور الميتافيزيقي للزمن، لكن هذا يتجلى في اعتباره النقطة المركزية لفلسفته هي إحداث القطيعة مع التراث القديم.

---

[1] – المرجع نفسه، ص ص 204–205.

[2] – المرجع نفسه، ص 206.

[3] – [3]– وقيدي محمد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار المرجع السابق ،ص 207.

"والواقع هو التناقض الداخلي لفلسفة باشلار يكمن في علاقة الفلسفة الباشلارية مع مجموع الفلسفات التي يحاورها وينتقدها، فهو يحاور وينتقد الفلسفات العقلانية والواقعية وهذه الفلسفات وإن كانت تتعارض فهي لا تختلف فيما بينها في بعض الخصائص العامة ويمكن أن نرجعها جميعا إلى الاتجاه المثالي، إن باشلار لم يحاور أبدا الفلسفات مادية ذات موقف علمي، لقد إستعرض الفلسفات الواقعية الساذجة[1].

من خلال هذا نستنتج أن الفلسفة الباشلارية لم تكن على إطلاع واسع بكل الفلسفات التي عاصرتها، أو لم تعاصرها، إن هذا الأخير إحداث قطيعة لإبستيمولوجية مع الفكر القديم، والهدف من وراء ذلك هو التأسيس لعلم جديد. وصف تقدم مخطط يوضح موضع العقلانية التطبيقية والمادية التقنية والفلسفات التي تحاورها المثالية الصورية الشكلانية العقلانية التطبيقية والمادية التقنية الوضعية التجريبية الواقعية.

إن هذا يوضح موقع باشلار الفلسفي بين أنماط المواقف الفلسفية الممكنة يضع نفسه مباشرة بين الفلسفة الوضعية من جهة، وبين الموقف الفلسفي ذي الإتجاه الصوري من جهة أخرى فكل من هذه الموقفين هو الذي يؤدي من جهته إلى الموقفين الأساسين المتعارضين"[2].

مخطط يوضح موضع العقلانية التطبيقية والمادية التقنية:

المثالية

.الموضعاتية

.الصورية الشكلانية

الشكلانية العقلانية التطبيقية والمادية التقنية

الوضعية

التجريبية

[1] –نفسه، ص 208

[2] – وقيدي محمد: فلسفة باشلار، مرجع سابق،ص 29.

مخطط [1]

" مخطط المثالية والواقعية والوضعية هي التي تؤدي من جهة ثانية إلى المواضعاتية والمثالية، وهكذا بالقياس إلى الإتجاهات فلسفية من ضمنها الفلسفة الوضعية[2]

إن هذا التخطيط يوضح الموقع الذي تحتله الفلسفة،وبين باقي التيارات.

د-محمد الو قيدي:

أما محمد في تقديمه لكتابه "فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار"المعزز بالعبارة "الإبستيمولوجيا الباشلارية وفعاليتها الإجرائية وحدودها الفلسفية"فظهر وكأنه المعجب بباشلار في تجديده.

يرى محمد الوقيدي أن "التناقض الداخلي"وفي فلسفة الباشلارية يرجع إلى موقف باشلار من الفلسفات التي يحاورها وينتقدها.وهذه الفلسفات وإن تتعارض فهي لا تختلف فيما بينها في بعض الخصائص العامة ويمكن أن نرجعها جميعا إلى الإتجاه المثالي.إن باشلار لم يحاور أبدا فلسفات مادية ذات موقف علمي، لقد إستعاض عن هذه الفلسفات بما دعاه هو ذاته بالفلسفات الواقعية الساذجة.

---

[1] – عيمر مهيبل:إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المرجع السابق،ص 49.

[2]– وقيدي محمد: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، المرجع السابق ، ص ص 29-30.

"فكما يدعونا باشلار إلى ملاحظة الهوة التي تفصل فلسفات عصره عن علم عصره، ينبغي أن نلاحظ في فلسفته ذاتها الهوة التي تنفصل بين ما أعلنت عنه كمشروع وما أنجزته كحقائق..

إننا نستخلص من قراءتنا ل دومينيك لوكور، ميشال فادي، وسالم يفوت ومحمد الوقيدي،أن ما يعاب على باشلار ويؤاخذ عليه، كما لخصه سالم يفوت هو أنه"لم يقرأ علم عصره في ضوء قضايا الفلسفة ومشاكلها التاريخية" إذ كان عليه أن يدرك بأن النسق الفلسفي لا يبحث في العلم إلا عما يؤكد غاياته الفلسفية ويدعمها، لأن الفيلسوف يقرأ علم عصره في إطار ظروف وشروط محددة،تاريخية وإجتماعية" فتجاهل باشلار عن قصد لهذه المسلمات هو الذي جعله، حسب رأي هؤلاء النقده، يخفق في بناء صرحه الفلسفي الجديد[1].

[1] – محمد أزرق:فلسفة غاستون باشلار(تأسيس فلسفة الفكر العلمي الجديد من خلال فلسفة اللا)، إشراف د. عبد اللاوي محمد، جامعة وهران، كلية العلوم الإجتماعية قسم الفلسفة،2003–2004.ص ص 168–171.

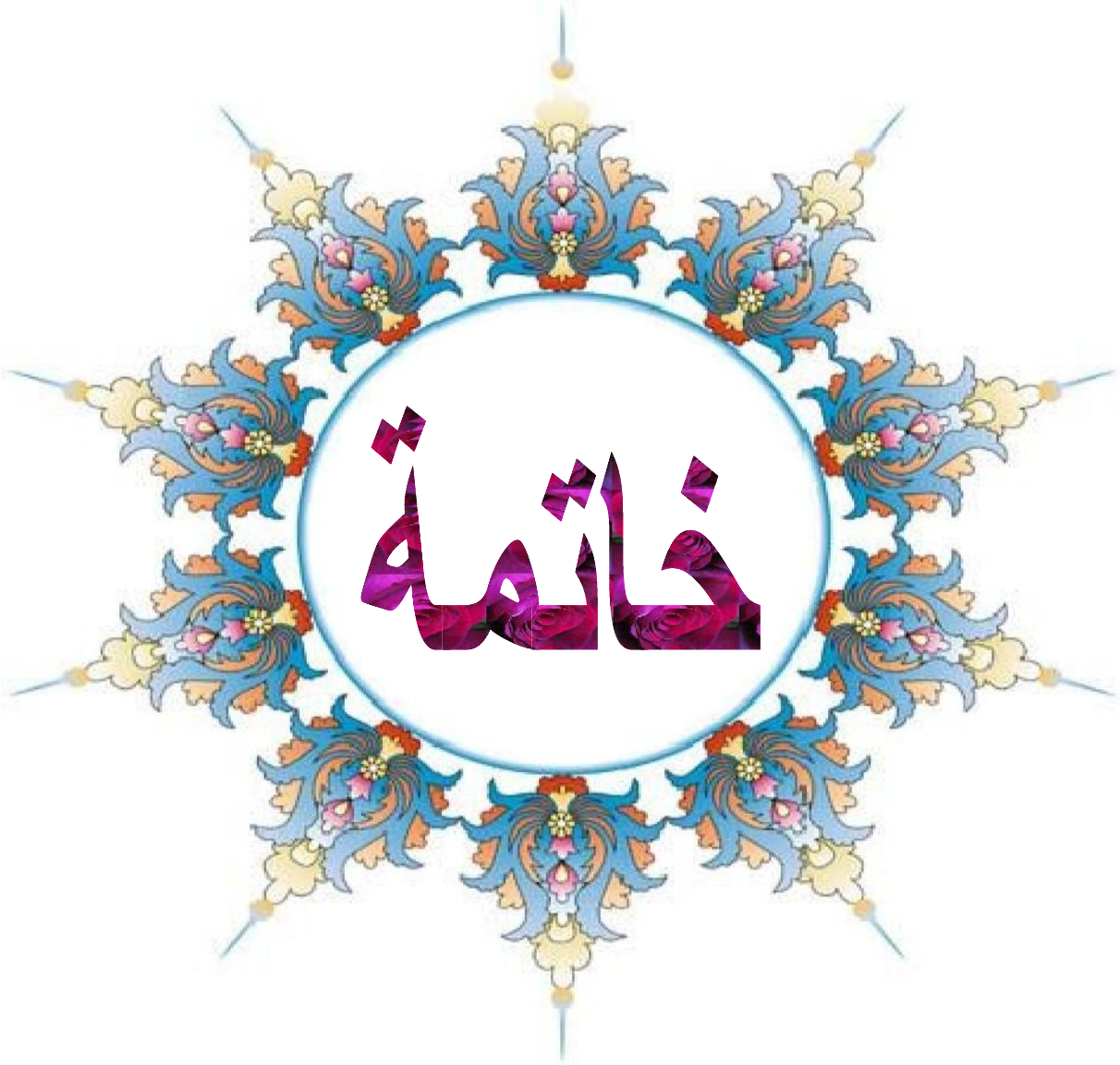
خاتمة

إن الإبستيمولوجيا تعني الدراسة النقدية للعلم من خلال نقد الفروض، والأسس التي يقوم عليها، والمناهج التي يستخدمها، فإن لهذه الأخيرة علاقة وطيدة بالفروع الأخرى ونت بينها نظرية المعرفة لأن العلم الإبستيمولوجي يبحث في شروط قيام المعرفة علمية، والمصادر الأساسية لها فنجد أصحاب المذهب العقلي وعلى رأسهم ديكارت يرون أن المصدر الأساسي للمعرفة هو العقل، أما الإتجاه التجريبي يعتبرون التجربة هي المصدر الأساسي للمعرفة، لكن هنالك تيار آخر يرفض العقل والتجربة معا، هو التيار المثالي لقد أدى كل هذا إلى ظهور إشكالية أخرى داخل المعرفة العلمية وهي إشكالية الإتصال، والإنفصال في المعرفة العلمية، فنجد الإتجاه التوالي، يؤكد على إستمرارية المعرفة العلمية، وبأنه لاتوجد قطيعة في تاريخ العلم، لأن ما وصل إليه العلم المعاصر، ما هو سوى إستمرار للنظريات الكلاسيكية، ومن بين أصحاب هذا الإتجاه.

نجد أوغيست كونت الذي رأى أن تقدم الفكر البشري ليس إلا تقدم الفكر، والتقدم الفكري لا يسبق التقدم الإجتماعي فحسب، وإن المعرفة الإنسانية تمر بثلاثة مراحل، المرحلة لاهوتية، والميتافيزيقية والوضعية، ففي الأولى تكون لدينا معارف محدودة يسيطر عليها الخيال، ويصبح الناس يفسرون الظواهر من خلال وهمية، مثل الآلهة والأرواح، أما المرحلة الثانية حيث يعتبر الله العلة الأولى والطبيعة ما هي إلا ماهية مجردة تتفرع عنها مختلف القوى الفيزيائية والكميائية، أما المرحلة الأخيرة وهي نظرة أسمى مراحل تطور المعرفة والمجتمع بصفة عامة، في هذه المرحلة يتخلى العقل عن التفسير اللهوتي، والميتافيزيقي، ويفسر المعرفة من خلال مبادئ عقلية.

لقد قسم كونت العلوم إلى ستة أقسام، فأعطى الأولوية للعلوم التجريدية منها الرياضيات، والفيزياء ، ....إلخ. وأطلق عليها العلوم الوضعية من خلال ما وصلت إليه من الدقة، واليقين.

إن التصور الذي أعطاه كونت لفلسفة العلوم، هو عبارة عن نظرة يلقيها المرء على جميع العلوم، بهدف إكتشاف قوانينها والمناهج التي تستخدمها.

أما ما يرسون يقدم حجج يثبت من خلالها أن هنالك إتصال بين المعارف وهي كالأتي ما قرره كتابه الذي ينتمي من خلال المنهج المستخدم فيه إلى فلسفة العلوم، إنه دائما يدافع عن نظرية المطابقة في العلوم التي تقوم بدورها بنفي كل جدة داخل النظريات المعاصرة، وتعتبرها مستمدة من نظريات العلمية السابقة عنها.

لقد أكد هذا الأخير على إستمرارية المعرفة العلمية من خلال ما يلي إستمرارية من التفكير العامي إلى التفكير العلمي، وإستمرارية بين التفكير العلمي الجديد، وبين التفكير العلمي السابق.

أما برونشيفيك أنه يحرس عن إظهار الرغبة في العودة إلى النظرة الروحية، من خلال ملاحظة التقدم العجيب للعلوم، والفنون العلمية، فهو يرى أن العلم هو دائما في تطور مستمر من خلال تصحيح الأخطاء وإدراكها، حيث إعتبر أن العلم هو بمثابة المبدأ الصحيح لكل حياة روحية، ويدعوا الإنسان أن يعلم كيف ينتقل من مجال الحياة الأخلاقية، والحياة الدينية، من خلال أن يتسم بالحذر والدقة، التي تنمو في نفسه من سبب نقد العلم، إن الآخير رأى أن العقل تطور من خلال مرحلتين، مرحلة الطفولة، ومرحلة العمر الناضج، من خلال الأولى يفهم الأمور الخارجية المحسوسة، أما الثانية هي مرحلة عصر الإنسان الذي توصل إلى العلم.

أما برغسون أثبت إتصالية المعرفة من خلال الديمومة والحدس، لأن الحياة النفسية، هي عبارة عن تيار متدفق من الشعور، لا يعرف الإنقطاع، لأن مادام الإنسان يشعر، فهو يفكر، إن هذا الأخير يرفض التفرقة بين الذات، والموضوع بوصفهما قطبين خاصين بالمعرفة.

لقد إستخدم الحدس الذي يعني إدراك الذات لأحوالها وأفعالها،من أجل الولوج داخل النفس، الإكتشاف أغوارها.

أما الإتجاهالإنفصالي الذي كان يمثله فيلسوف القطيعة غاستونباشلار، يرى أن العلم يتطور عن طريق الإنفصال، أي فصل بين المعرفة العامية، والمعرفة العلمية، ولقد تحدث هذا الأخير عن الثورة العلمية، المتمثلة في الهندسات لا إقليدية، ونظرية النسبية لدى أينشتاين، ولكونتا، وكان يهدف إلى بناء فكر علمي جديد قائم على مفهوم معين للمعرفة، من خلال إبستمولوجياللاديكارتية، والتأسيس إلى فلسفة النفي، وإعتبر هذا الأخير أن تاريخ هو تاريخ أخطاء العلم، إن المعرفة تبدأ من العقل إلى الواقعي، وأنها قابلة للتحقيق، ولقد رأى بأنه يجب إعادة النظر في المبادئ العقلية العامة، وإن العقل في نظره يتأثر في بنية بتطزر الأفكار العلمية.

لقد ركز هذا الأخير على الجانب النفسي بما يتضمنه من قوى شعورية، ولا شعورية وأهمية في المعرفة العلمية، بهدف التأسيس لعلم جديد يختلف عن العلوم الأخرى، إن باشلار يطالب بإنشاء علم من أجل التحليل النفسي للمعرفة العلمية، بغية تحرير الفهم والإدراك، من العوامل الخارجية.

ومن بين أعماله كتابة التحليل النفسي للنار، الذي من خلاله دعا إلى تحليل موضوعي للمعرفة العلمية، والمقصود بها ليست الموضوعية وإنما العقلانية.

لقد إكتشف هذا الأخير من خلال عملية التحليل النفسي للمعرفة العقلانية، بأن هنالك، عراقيل تعوق وتمنع المعرفة العلمية من التطور، أطلق عليها العوائق الإبستمولوجية وهي مايلي: عائق التجربة العامية، عائق المعرفة العامية، والعائق الإحيائي والجوهري، والعائق اللفظي.

إنه يرى بأنه يجب إحداث قطيعة إبستيمولوجية، مع كل تراث قديم، من أجل التأسيس إلى علمي جديد، وهذه الأخيرة تتجلى من خلال رفض كل المذهب الديكارتي،

والتيار الأرسطي، بالإضافةإلى العلوم التي عاصرها، إنها قطيعة تتجلى على المستوى الفكري، من خلال قطع كل صلة مع القديم، ومن بين مظاهر القطيعة هي قيام فكر علمي أكثر شمولية، من خلال مراجعة المفاهيم الأساسية للعلم السابق، وإن نظريته تقوم بمراجعة التي تتعلق بالعلم الكلاسيكي، أي أن القطيعة الإبستيمولوجية التي تحدث عنها باشلار تعني مراجعة للمفاهيم العلمية في الفكر العلمي السابق، أي أنها تدعوا إلى الإنتقال إلى فكر علمي أكثر تفتحا.

وهكذا كان الإتجاهالإنفصاليمؤيدون ومعارضون، فنجد موقف توماس كون الذي أيد الإنفصال عن طريق وجهة نظر مختلفة تختلف تمام الإختلاف عن موقف باشلار، أنه يرى أن العلم يتطور من خلال الثورة العلمية، لأن تاريخ في نظره بأن القيمة لا تتعدى قيمة دليل السائح، لأن العلم العادي هو محاولة شاقة ومتفانية، أنه يستخدم مصطلح البراد يغم، الذي يساعد على الكشف، وهو عبارة عن مجموعة من إيضاحات عودية وشبيه معيارية، إن وجهة نظره من تاريخ العلم، هو أنه ببراد يغم معين، من خلال تصور خاص للنموذج المثالي للنظرية العلمية، فهو يرى أن المعرفة مهما تراكمت ما هي سوى تكرار لنموذج واحد، وأنها لا تنموا إلا عن طريق الثورات من خلال الخروج من القديم، والتوجه نحو الجديد.

وهكذا نجد أن مفهوم الإبسيمولوجيا لم يبق محصور فقط على الدراسات العلمية، بل أخذه فلاسفة آخرون وطبقوه على علوم أخرى، يعني هنا أنه وظف داخل العلوم الإنسانية، ومن بين هؤلاء نجد ميشال فوكو الذي إعتبر تاريخ الأفكار، ما هو إلا صراع بين القديم والجديد، من خلال إحداث القطيعة مع كل تراث قديم بالي هش، من خلال رؤيته إلى التطورات العلمية البطيئة التي أدت إلى حلول أفكار محل الأخرى، لقد اعتبر هذا الأخير أن الإنفصال لا يشكل عائقا، أما المؤرخ بل هو الذي يؤسس منهجية تتناسب مع خصائص تحليل الخطاب.

إنه يعتبر الإبستيمية هي مهمة تاريخية، تكشف عن الإمكانيات، والشروط التاريخية لظهور المعارف. بالإضافة إلى أحد تلامذته الذين أخذوا مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية، ووظفوه على درسات أخرى فنجد أن التو سير الذي رأى بأن الماركسية في حالة أزمة، لذا دعى إلى قراءتها من جديد من أجل إكتشاف البنية الدفينة في عمل كارل ماركس، لقد نظر التو سير إلى أهمية فيور باخ في تطور كارل ماركس، من خلاله إستعار مفهوم الإغتراب.

لقد أدخل هذا الأخير الماركسية ضمن البحث الإبستمولوجي، مستندا بذلك من قراءته لباشلاروكانغيلام، لقد دعا إلى مراجعة مفهوم التاريخ، وتحديد النظرية.

أما كانغيلام إنه يعتمد على الطريقة الإسترادادية، والتراجعية في كنابة تاريخ العلوم، حيث يعتبر هدف هذه الأخيرة هي الطريقة التي تجعل التواصل الخفي لتقديم الفكر.

أما النقد الذي وجهه لبشلار من خلال مذهب إليه كا متمثل أولا في نقد الدكتور سالم يفوت له من خلال كتابه "العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة"، فرأى أنه لا توجد جدة فلسفية عند باشلار، وأن فلسفته بقيت سوى وعد يتكرر ومكانها بقي شاغرا، لأنه لم يأتي بالجديد، وإنما محتوى فلسفته ماهية في حقيقة الأمر إلا فلسفة كلاسيكية، إنها فلسفة تلفيقية في نظر الدكتور سالم يفوت.

أما دومينيك لوكور، الذي رأى أنه هناك إبهام داخل الفلسفة البلاشلارية، من خلال الإصطدام الذي وقع بين العلم الكلاسيكي، والعلم المعاصر، فنتج عنه هوة كبيرة بينهما، بالإضافة إلى التناقض الذي وقع فيه هذا الأخير، عندما يقنعنا بأن الفلسفة التقليدية لا تستطيع أن تساير التطورات العلمية الكبيرة الراهنة، لكنه يقدم البديل من خلال فلسفة جديدة، تجمع بين باقي الفلسفات الأخرى.

أما موقف ميشيل فادي الذي تمثل في باشلار أو المثالية الإبستيمولوجيا الجديدة، رأى أن التصور البشلاري للزمان كان تصورا ميتافيزيقيا، وإن النقد الذي يوجهه هذا الأخير كان لا يخص شخص معين، وإنما هو نقد عام، ومن خلال هذا كله نطرح سؤال التالي ماهو مستقبل الفلسفة لاباشلارية، في ظل التطورات العلمية الراهنة؟ وهل سوف يأتي وقت ويظهر مناصرون من عصرنا يؤيدون الإتجاهالإنفصالي فيما ذهب إليه؟

ملاحق الأعلام والمصطلحات

غاستون باشلار: فرنسي عظيم الشأن حقا، أبوه كان اسكافيل وجده كان فلاحا[1] وفي موسوعة الدكتور عبد الرحمن بدرى يقول عنه: فيلسوف علوم فرنسي ولد في بار علة نهر لاوث في سنة 1884[2]، كان يعمل ويتعلم وعانى الأمرين وصف حياته وصفا مريرا ومأساويا في تلك الأيام في كتابه " لهيب شمعة"، عمل موظفا في البريد سنة 1913، حيث حصل على ليسانس في الرياضيات والعلوم وفي إثر ذلك عين مدرسا للفيزياء والكيمياء في مدرسة بار " الثانوية"، ثم حصل في الدكتوراه في الأدب" قسم الفلسفة " في السربون عام 1967 وأصبح أستاذ فلسفة في جامعة " ديجون"، واستمر في هذا المنصب إلى وقت تقاعده في سنة 1954، ويذكر الدكتور حنفي أنه لما انتهى من الدراسة وانفتحت أمامه الأبواب تزوج ويأبى الله إلا إذ تموت زوجته وتترك له بنتا جميلة توفر على تعليمها وخروجها فيلسوفه من المبرزات تحتل مكانتها في دوائر المعارف، وتشغل مؤلفاتها مساحة على رفوف المكتبات وابنته إسمها لسوزان باشلار" وهي صاحبة كتاب " وعي العقلانية عند فينومينولوجيا هوسرل" وهي مازالت اليوم أستاذة الفلسفة في السربون وتوفي باشلار عام 1962 في باريس، وحول مؤلفات باشلار يقول الدكتور بدوي: "أن مؤلفاته تدور حول موضوعين أساسيين هما: نظرية المعرفة العلمية والنزعة الشعرية المقترنة بالتحليل النفسي".

وعنده أن الموضوعين مترابطان فإن ما يكشف عنه التحليل النفسي من إسقاطات لرغباتنا على نفوراتنا للعالم هو ما يكشف عنه العلم عن طريق مجهود دؤوب، وفي اتجاه مضاد لأن النظريات العلمية تدمير للنظرات " أو للقصائد الشعرية".[3]

سالم يفوت:

---

[1] – حنفي عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2010، ص 259.

[2] – عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، الأردن، عمان، ط1، 1996، ص292.

[3] – المرجع السابق، ص 293.

(1947–2013) بالمغرب ثم تابع دراسته العليا في الفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط حيث حصل على جائزة سنة 1968 وعلى دبلوم الدراسات العليا سنة 1978 ثم على الدكتوراه الدولة 1985 ثم عمل أستاذ بالجامعة نفسها خلف الفقيد جهدا فكريا وعلميا رزينا تضمنتها قائمة من الكتب الهامة في مجال التأليف والترجمة مثل : مظاهر النزعة الإخبارية في بنيوية ليفي ستروس 1976 وكتاب "مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر 1980" "الفلسفة والعلم والعقلانية المعاصرة 1982" العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة1989 " ابن الحزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس 1986. الفلسفة والعلم في العصر الكلاسيكي حفريات المعرفة العربية الإسلامية 1986– 1990[1].

http/www .assafir. Com.

توماس كوهن:

(1922–1996) فيلسوف ومؤرخ أمريكي للعلوم عرف بشهرة مع كتابه بنية الثورات العلمية، ميز بين العالم الإستيوائي والإستثنائي حيث الأول يتقدم بالتراكم المعرفي يتقدم الثاني بالثورة، اتهمه نقاده بالنزعة النسبية واللاعقلانية لكنه يبقى يمثل مرحلة حاسمة في تطور الإبستيمولوجيا في القرن العشرين[2]

برا نشفيك ليون:

ولد سنة 1869–1944 مثل ما يسمى بالمثالية النقدية في فرنسا كما مارس تأثيرا في الأوساط الجماعية الفرنسية من خلال تدريس في السور بون، ومن خلال إشرافه على مجلة

---

[1] – http/www .assafir. Com.

[2] – جورج الطرابشي: معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص 54.

الميتافيزيقا والأخلاق من مؤلفاته: مراحل الفلسفة والرياضة المثالية المعاصرة، مدخل إلى حياة العقل[1].

نيقولاي لوبا تشيفسكي:

هندسي روسي ولد في نين نوفغورود 1792 أسس الهندسة غير الإقليدية التي سماها الهندسة الخالية، وكان من أعظم الهندسيين، تخرج من جامعة قازان عام 1911 وفي سن 32 سار أستاذ وظل لمدة تسعة عشر عاما عميد الجامعة، قلب لوبتشفيسكي بجرأة حدود المسألة وانتهى إلى الإستنتاج بأن المسلمة عن المتوازيات في الرياضيات خلافا للمسلمات الأخرى ،أهم مؤلفاته:المبادئ الجديدة للهندسة، الهندسة الكلية، توفي في عام 1856[2].

ريمان:

ولد عام (1826–1866) هو عالم رياضي ألماني اشتهر بأعماله في الرياضيات الحديثة وخاصة في نظرية الدالات والهندسة الإقليدية، صاحب فكرة لا يمر من نقطة خارج مستقيم أي موازي،وان زوايا مجموع زوايا المثلث يساوي أكثر من قائمتين، يرى أن المكان كروي محدب فالمثلث عنده أكبر من 180 درجة، قامت فلسفته على أنقاض الفلسفة الإقليدية[3].

---

[1] – جميلة رحابي:أزمة العقلانية في الفكر الفلسفة الغربية المعاصرة، إشراف إبراهيمي عبد التطيف، رسالة ليسانس في الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة ، جامعة سيدي بلعباس، جزائر،غير منشورة،2010، 2009، ص 80.

[2] – جورج الطرابشي:معجم الفلاسفة،المرجع السابق، ص585.

[3]- جمال الدين بقلي حسن:إشكاليات فلسفية،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،الجزائر،(د،ط) 2008، ص290،

2- ملحق المصطلحات:

باللغة العربية	باللغة الفرنسية
الإبستيمولوجيا	Epistemologie
العائق الإبستيمولوجي	Obstacleepistemologique
تاريخ العلوم	Histoire des scienes
فلسفة العلوم	Philosophie des scirnes
العقل	Raison
العقلانية	Rationalisme
الفلسفة الغربية المعاصرة	La philosophie contamporine
الفكر العلمي	Esprit scientifique
العلم	Science
القبلي والبعدي	Apriorisme et posteriori sme

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم

المصادر باللغة العربية :

1- باشلار غاستون:العقلانية التطبيقية، تر.د.بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، (د،ط)،1999

2- باشلار غاستون:الفكر العلمي الجديد،**تر**. عادل العوا،المؤسسة الجامعية، بيروت،ط2، 1983.

3- باشلار غاستون:الفكر العلمي الجديد، تر.عادل العوا مر عبد الله عبد الدائم، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط2، 1983.

4- باشلار غاستون: الماء و الأحلام، دراسة عن الخيال و المادة، تر. علي نجيب إبراهيم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.

5- باشلار غاستون:جدلية الزمن، تر.خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط3، 1992.

6- باشلار غاستون: جماليات الصورة، تر.غادة الإمام، مؤسسة قانصوا ، بيروت،ط1،2010.

7-باشلارغاستون: فلسفة الرفض، تر.أحمد خليل، دار الحداثة، لبنان، ط1.1985.

المصادر باللغة الفرنسية :

8-bachelard ,le nouvel esprit scientique ,ENEG_editions ,1990

9-guston bachelard ,la dialectique de la duree,bibiotheque de la philosophie contemporine,presses,universitaires de France,pris,1950.

10-jean marc besse ;precis de philosophie ;nathan.

المراجع باللغة العربية:

9- إ.م بوتشيفسكي : الفلسفة المعاصرة في أروبا ، **تر،د عزت قرني ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون**،الكويت(د،ط)،1978.

10- إبراهيم شوريا زينب :الإبستمولوجيا دراسة تحليلية لنظرية العلم في التراث ، دار الهادي، بيروت ، لبنان، ط1،2004.

11- إبراهيم محمود: النقد و الرغبة في القول الفلسفي المعاصر ، دار الحوار، سوريا ط1،2007.

12- أبو أصبح صالح خليل: الإتصال الجمهوري ، دار الشروق ،عمان،الأردن ط1،1999 .

13- أبو عطيات السعود :الحصاد الفلسفي للقرن العشرين ،شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية (د،ط)،(د،س).

14-إسماعيل صلاح: نظرية المعرفة المعاصرة ،الدار المصرية السعودية ، القاهرة، ط1، 2005.

15-إميل بريبه :إتجاهات الفلسفة ،المعاصرة ،تر دمحمد قاسم، دار الكتاب ، مصر ،(د،م)1956.

16- انس عبدو شكشك : فلسفة الحياة ،دراسة الفكر و الوجود، دار الشروق عمان،الأردن، ط1،2009.

17- الجابري محمد عابد: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط6، 2006.

18- البغدادي محمد: تاريخ العلوم و فلسفة التربية العلمية، دار الفكر العربي ، القاهرة ط1،2003.

19- باتريك هيلي :صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصر ، تر.دنورالدين شيخ عبيد مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،ط1،2008.

20- بدوي عبد الرحمن :دراسات في الفلسفة الوجودية،المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

21- بشته عبدالقادر: الإبستمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية ، دار الطليعة، بيروت ، لبنان، ط1، 1995.

22- بغورة الزواوي :المنهج البنيوي بحث في الأصول و المبادئ و التطبيقات، دار الهدى، عين ملية، الجزائر،1ط ،2001.

23- بغورة الزواوي : ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر ، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2000.

24- بغورة الزواوي : مدخل إلى فلسفة العلوم، دراسات و نصوص، منشأة المعارف،(د،ط)،2000.

25- بلانشي روبير: نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، تر.د محمود اليعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،(د،ط).

26- بن مزيان بن شرقي و آخرون: من مناهج النقد الفلسفي، دار الغرب ،وهران، (د،ط)؛(د،س).

27.- بنعيد العالي عبد السلام: أسس الفكر الفلسفي المعاصر مجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال، المغرب،ط2، 2000.

28- بنعبد العالي عبد السلام: بين الإتصال والإنفصال دراسات في الفكر الفلسفي بالمغرب،الدار البيضاء،المغرب،ط1، 2000.

29- بنعبد العالي عبد السلام: حوار مع الفرنسي، دار توقال، المغرب، ط1، 2008.

30- بوحناس نورة: إشكالية القيم في فلسفة برغسون، دار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010.

31- جعفر عبد الوهاب: أضواء على الفلسفة الديكارتية، دارالفتح ، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1990.

33- جلال شمس الدين:البنية التكوينية لفسفة العلوم، مدخل لفلسفات العلوم، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،(د،ط)، 2009.

34- خشبة سامي: مفكرون من عصرنا ، المكتبة الأكاديمية، مصر،القاهرة،ط1،2001.

35- ديدييه جيل: باشلار والثقافة العلمية،تر.صاصيل محمد، المؤسسة الجامعية، بيروت،ط1، 1996.

36- زكريا إبراهيم: برغسون، دار المعارف للتوزيع، مصر، القاهرة،ط2،1968.

37- سعد الله محمد سالم: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوبية، دار الحوار،سورية، ط1، 2007.

38- شرف عبد العزيز، نماذج الإتصال في الفنون والأعلام والتعليم وإدارة الأعمال، الدار المصرية اللبنانية،ط1، 2003.

39- شعبان حسن:برونشفيك و باشلار بين الفلسفة والعلم، دراسة نقدية مقارنة، دار التنوير للطباعة،بيروت، ط1، 1993.

40- صالح هشام: محاضرات الحداثة التنويرية، القطيعة الإبستيمولوجية في الفكر والحياة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

41- عبد العاطي السيد وآخرون:أسس علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، (د،ط)،2005.

42- عبد الفتاح محمد ديدوي، فلسفة العلوم، دار قباء، القاهرة، (د،ط)،2001.

44- علي حسين: فلسفة العلم عند هانز ريشنباخ، الدار المصرية السعودية، القاهرة،(د،ط)، 2005.

45- عمر هبيل ،إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الأختلاف، الجزائر، العاصمة، ط1، 2005.

46- غالب مصطفى: برغسون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2،1982.

47- فوكو ميشال: حفريات المعرفة، تر.سالم يفوت، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، ط3،2005.

48- كانغيلام جورج: دراسة في تاريخ العلوم وفلسفتها، تر.بن ساس محمد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

49- كون توماس: بنية الثورات العلمية، تر.حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007.

50- ليشته جون: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر.فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

51- ماشيري بيار: كونت الفلسفة والعلوم، تر.سامي أدهم ، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

52- محرز الحمدي : الفكر والحياة في فلسفة العلوم الإنسانية، التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

53-محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي: الحداثة الفلسفية، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

54- محمدعبد الفتاح بدوي: فلسفة العلوم، دارقباء، القاهرة، (د،ط)،2001.

55- محمد علي ماهر عبد القادر :فلسفة العلوم قراءة عربية ، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997.

56- توماس كون: مقالات نقدية في تركيب الثورات العلمية، تر.محمد علي ماهر عبد القادر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،1997.

57- محمد علي ماهر عبد القادر : نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة النهضة العربية، (د،ط)،1985.

58- محمد قاسم محمد: المدخل إلى فلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،(د،ط)،2006.

59- محمد هشام: تكوين مفهوم الممارسة الإبستيمولوجية عند باشلار، إفريقيا الشرق، المغرب،(د،ط)،.2006

66- مسرح فارح: الحداثة في الفكر محمد أركون مقارنة أولية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006.

61- نتشه فريدريك: الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تع.سهيل القش، المؤسسة الجامعية، ط2، 1982.

62- نصر الله عمر عبد الرحيم: مبادئ الإتصال التربوي والإنساني، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2001.

63- وقيدي محمد: الإبستيمولوجيا التكوينية للعلوم، إفريقيا الشرق، المغرب، (د،ط)، 2009.

64- محمد وقيدي: جرأة الموقف الفلسفي، إفريقيا للشرق، بيروت، لبنان،(د،ط)، 1999.

65- يعقوبي محمود: المختار من النصوص الفلسفية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2004.

66- يفوت سالم: المناهج الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

67- يفوت سالم: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، دار الطليعة للطباعة، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

68- يفوت سالم: فلسفة العلم والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة، لبنان، ط1، 1982.

المعاجم والموسوعات:

71- ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطية، بيروت، ج3، ط1، 2000.

72- ابن منظور: لسان العرب، دار المترسطية، بيروت، ج1، (د،ط)، (د،س)،

73- جوليا ديدييه: قاموس الفلسفة، دار لاروس، باريس، ط1، 1992.

74- بدوي عبد الرحمن: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت،ج1، ط1، 1984.

75- بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفية والفلاسفة مكتبة مدبولي، قاهرة ،ج1، ط3، 2010.

76- صليبا جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، (د،ط)، 1982.

77- عباس فيصل: موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

78-العراقي عاطف: نحو معجم للفلسفة العربية، دار الوفاء،الإسكندرية، ط1، 2002.

79- مذكور إبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، (د،ط)، 1982.

80- نعمة أنطوان: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت،ط2، 2001.

81- وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة، القاهرة، (د،ط)، 2007.

82- يعقوبي محمود: معجم الفلسفة، الميزان، الجزائر،ط2، 1998.

المواقع الإلكترونية:

83-http/www.assafir.com.

84-http/www.albanna.ma.

85-http/ar.wikipedia.org/wiki. .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر وتقدير
كلمة لابد منها
مقدمة.....أ
مدخل مفاهيمي.....06
الفصل الأول: الابستيمولوجيا وإشكالية تطور المعرفة
المبحث الأول: كرونولوجيا الابستيمولوجيا والعلم.....20
المبحث الثاني: وضعية أوغست كونت.....32
المبحث الثالث: تواصلية المعرفة العلمية عند ماريسون ، برغسون، برونشفيك.....42
الفصل الثاني: المشروع الفكري لدى باشلار
المبحث الأول: مفهوم القطيعة عند باشلار.....61
المبحث الثاني: نظرية المعرفة لدى باشلار.....77
المبحث الثالث: التحليل النفسي ودوره في المعرفة العلمية والعوائق الابستيمية.....91
الفصل الثالث: مؤيدون ومعارضون المشروع الباشلاري
المبحث الأول: الثورة والتعدد البراديغمات عند توماس كون.....107
المبحث الثاني : القطيعة واللاتواصل عند تويسري وميشال فوكو، كانغيلام.....117
المبحث الثالث: أهم الإنتقادات العلمية التي انتقد عليها باشلار.....132
خاتمة.....146
قائمة الملاحق 154
قائمة المصادر.....159
فهرس الموضوعات